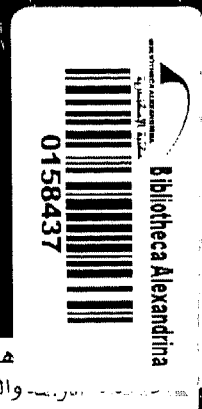


محسن محمد أسيرة المحارر



هرام

س.س. والنشر

اهداءات ١٩٩٨

مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع

القاهرة

محسن محمد



Library (GOAL)
Worldwide Circulation

فقه
الاسلام
المعاصر

الطبعة الأولى

١٤٠٦ هـ - ١٩٨٥ م

الطبعة الثانية

١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

الناشر : مركز الأهرام للترجمة والنشر

مؤسسة الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة

تليفون ٧٤٨٢٤٨ - تلكس ٩٢٠٠٢ يوان

تصميم الغلاف

مصطفى حسين

المحتويات

٥	□ وادى الملوك .. بلا ملوك !
٢٢	□ نهب مصر
٥٠	□ قانون ماسيرو !
٦٩	□ الكشف
٨٦	□ التسلل .. غلسة !
١٠٤	□ صاحب الجلالة
١٢١	□ حكومة فى حكومة !
١٤٢	□ سحر الماضى
١٥٧	□ هنيئاً .. للعيون التى رأت
١٧٤	□ وفاة اللورد
١٩٣	□ لعنة تحمى الفرعون !
٢١٦	□ المواجهة
٢٣٧	□ إغلاق المقبرة
٢٥٣	□ طرد كارتر
٢٧٤	□ القضية
٣٠٠	□ الوساطة

- ٣١٨ في النفي ☐
- ٣٣٥ تابوت الذهب ☐
- ٣٥٩ القانون الموقوف ☐
- ٣٧٤ مؤامرة على المتحف ☐
- ٣٩٢ تمثال نفرتيتي ☐
- ٤١٣ كادت الصفقة أن تتم ☐
- ٤٣٠ اللصوص ☐
- ٤٤٧ حي الملكة تنحني ! ☐
- ٤٦٧ الاعتراف ☐

وادی الملوك.. بلاملوك !

القدر وحده جاء بهذين الرجلين من إنجلترا ليجتمعا في وادی الملوك .. بالاقصر .

الأول : اللورد كارنارفون واسمه الكامل « جورج ادوارد ستانهوب هربرت كارنارفون » !

ماتت أمه وعمره ٩ سنوات ، وكان أبوه وزيرا للمستعمرات مرتين .

تعلم في أشهر كليتين في بريطانيا ، ولكنه لم يحصل على شهادة جامعية أبدا . ثرى يملك عزبة مساحتها ٣٦ ألف فدان . متعدد الهوايات ، والمواهب .

يهوى الطائرات والسيارات . شجع أحد مواطنيه على بناء طائرة أقلعت من عزبته . يملك سيارات في أوروبا قبل السماح بملكيتها في بريطانيا . وعندما سمح بذلك حملت سيارته رقم ٣ في لندن .

يحب سباق الخيل وله حظيرة حافلة ، اعتاد أن يقود أحد خيوله قبل السباق .. تفاؤلا ! وفازت خيوله لأول مرة في ١٢ سباقا عام ١٩٠٢ وربح ٥٣٧٠ جنيهها . وفي عام ١٩٠٤ ربحت خيوله مبلغ ١٢١٤٣ جنيهها في ٢٩ سباقا !

يهوى الصيد والفلاحة ويعتبر خيرا في التصوير ، أقام بعضى

معارضه فقال المحترفون أنهم تعلموا كثيرا من هذا الفنان الهاوى !
يجمع اللوحات والكتب النادرة وكتب الفن ، ومكتب نابليون الذى
كان يجلس عليه فى منفاه بجزيرة البا . . وعليه أثر أظافر الامبراطور !
تزوج وعمره ٢٩ عاما من فتاة جميلة اسمها المينا فيكتوريا مارى
الكسندرا . وشهد حفل الزفاف أصحاب الألقاب والثروات يتقدمهم
أفراد اسرة روتشيلد .

أنجب ابنا وبناتا .
وساعدته ثروته على الطواف بمعظم دول العالم . وحصل على وسام
من السلطان التركى عبد الحميد !

كان فى طريقه للقاء زوجته فى الريفيرا الفرنسية ، عندما سقطت
السيارة فى حفرة بألمانيا .
ظن السائق أنه مات فألقى عليه صفيحة ماء . . فأفاق .

ولكن الحادث ترك أثارا فى صدره ، ومعدته ، وقدميه ، فأصبح
يتألم بصفة دائمة
وقال الأطباء إن صعوبة التنفس ، أو أزمة انفلونزا يمكن أن تقضى
على حياته .

نصحه الأطباء بالابتعاد عن رطوبة إنجلترا والاستشفاء جنوب
فرنسا ، ولكن صحته لم تتحسن وقيل له : الجو فى مصر جاف واكثر
دفئا . .

وكانت سيدة بريطانية غنية هى الليدى لوسى داف جوردون قد زارت
مصر لتشفى من مرض صدرى ، ونشرت كتابا اسمه « رسائل من
مصر » طبع عدة مرات وأدى إلى زحف أغنياء الانجليز على مصر .

وظهرت في لندن أيضا دراسة مقارنة بين مدن الاستشفاء . .
نيس ، وسان ديجو ، وصقلية ، ومالطة ، والجزائر فأكدت النتائج
أن مصر - كمشتى - تحجب كل هذه المدن .

وانشئء فندق ونتر بالاس في الاقصر ليشتهر كفنادق هذه الأيام :
هيلتون وشيراتون وغيرهما !
أقيم الفندق على النيل ليضم ٤ أدوار تضم مائتى حجرة ارتفعت
أسقفها . وكل حجرة لها « فرانده » تطل على النيل .
وقيل للورد :

- مصر تطيل عمر المرضى ، زارها والدك فلم لا تفعل أنت .
وهكذا جاء اللورد كارنارفون إلى مصر بعد ٤ سنوات من حادث
السيارة !

* * *

في ذلك العهد كان أغنياء الأجانب يسعون إلى إمتلاك الآثار المصرية
بالتنقيب عنها وشرائها ، وتهريبها

نصحه القنصل البريطاني العام في مصر اللورد كرومر بتمويل بعض
عمليات البحث عن الآثار .

وقال له عالم الآثار السير بيرسى نيوبرى أستاذ التاريخ القديم
بالجامعة المصرية والخبير بالمتحف المصرى :

- أفضل إكتشاف قبر فرعونى على الفوز فى سباق الدربى الشهير فى
بريطانيا .

أعجب اللورد بالفكرة ورأى أن ينقب عن الآثار ليحصل على مزيد
منها . . بطريقة قانونية .

قام اللورد بحفريات في أحد المواقع ، ستة أسابيع ، فلم يجد إلا مومياء قطعة فعلق على ذلك قائلا :
- هذا كشف فريد !

* * *

أراد اللورد أن يكون معاونه .. بريطانيا أيضا .
هنا يتدخل القدر ليظهر البطل الثانى فى الرواية : هوارد كارتر .
ولد عام ١٨٧٣ فى قرية بإنجلترا تعدادها ٢٥ ألفا .
أبوه فقير لم يستطع إرساله إلى أية مدرسة فتعلم فى البيت . ولقنه أبوه فن الرسم بالألوان المائية .
كان متوقعا أن يظل « كارتر » .. طول حياته .. يحترف هذه المهنة مثل أبيه فيرسم الحيوانات والمناظر الطبيعية .. وبيعها .
ويمضى حياته كلها فى قريته ، أو المدن المجاورة ، وإذا ساعده الحظ ينتقل إلى لندن .

ولكن عاد الأستاذ « بيرسى نيوبرى » إلى إنجلترا فى أجازة .
أخذ « نيوبرى » يتحدث إلى صديق له عن الحفريات التى يقوم بها فى قرية « بنى حسن » .. وقال إنه فى حاجة إلى من يساعده لنقل اللوحات التى توجد على جدران المعابد والآثار المصرية .
إقترحت زوجة الضيف عليه شابا يقيم فى قرية مجاورة هو « هوارد كارتر » .

التقى الاثنى « بكارتر » وتعاقدا معه على الفور .
... وهكذا دخل كارتر إلى الآثار المصرية من هذا الطريق الغريب !

دريه نيوبرى ٣ شهور فى المتحف البريطانى فى لندن ثم جاء به إلى مصر عام ١٨٩٠ فى بعثة أثرية يمولها صندوق البحث عن الآثار المصرية التابع للمتحف البريطانى .

كان عمر « كارتير » أيامها ١٧ سنة .

ويتدخل الحظيرة أخرى فى حياة كارتير ليعمل مع واحد من كبار علماء الآثار المصرية هو السير « ويليام فلاندرز بيتري » ٧ سنوات كاملة .

وينتهى المطاف بكارتير عام ١٨٩٩ ليعين - وعمره ٢٥ سنة - مفتشاً للآثار فى صعيد مصر والنوبة ، ومقره الأقصر ، ليشرف على عديد من الحفريات ويشارك فيها . . وينقل الرسوم من جدران المعابد المصرية ، ويتقن اللغة العربية ، ويتعلم أسس اللغة المصرية القديمة لهيروغليفية .
وللمرة الثالثة يتدخل القدر فى حياة « كارتير » .

فى سنة ١٩٠٣ كان السير « بيتري » مع زوجته وثلاث من السيدات يساعدنه فى عمله بسقارة عندما إقتحم خيامهم فى المساء ثلاثة من الفرنسيين السكارى .

وأراد أحدهم أن يدخل خيمة النساء .

أسرع « بيتري » « فأرسل إلى هوارد كارتير » الذى جاء ومعه بعض معاونيه من المصريين العاملين فى مصلحة الآثار .

لم يتمالك « كارتير » نفسه . . ضرب أحد الفرنسيين وأوقعه على الأرض .

أسرع السكير إلى القنصل الفرنسى يشكو . خاف القنصل بولنيير أن

تنشر صحف فرنسا القصة وتثير أزمة حوله فطلب إلى كارتر أن يعتذر للفرنسيين .

رفض كارتر وتدخل مدير عام مصلحة الآثار الفرنسي فقال لكارتر :

- أرجوك .. قدم إعتذارا شكليا وتنتهي المشكلة .

ولكن هوارد كارتر رفض .. وأصر على ذلك قائلا إنه كان يؤدي

واجبه وأن الفرنسيين أولى بتقديم الاعتذار

طلب مدير الآثار من اللورد كرومر الحاكم الحقيقي لمصر

التدخل .

إستدعى اللورد كارتر « وأمره » بالاعتذار .

ولدهشة كرومر أبى كارتر الاعتذار وأصر على ألا ينحنى للفرنسيين

السكرارى !

إضطر مدير الآثار إرضاء للقنصل الفرنسي إلى طرد « كارتر » من

مصلحة الآثار ! الذى وجد نفسه عاطلا وعمره ٢٩ عاما ، فتوجه

للاقامة فى الاقصر التى يحبها .

* * *

خلال السنوات الأربع التالية إضطر « هوارد كارتر » إلى العمل

مرشدا للأفواج السياحية يقف على باب فندق ونتر بالاس يبيع رسومه

المائية وإشتغل بتجارة الآثار والتحف

وفى وقت الفراغ يتجول باحثا عن قبور الفراعنة !

ساعده بىترى فاستأجره حيناً . واستمر الصندوق البريطانى للبحث

عن الآثار ينشر رسومه ويدفع ثمنها .

وحاول الحصول على ترخيص بالبحث عن الآثار ولكن الفرنسيين الذين طردوه من عمله ویرأسون مصلحة الآثار أبوا منحه الترخيص .
 وينتقل كارتر حيناً للعمل مع المحامي والمليونير الأمريكى « تيودور دافيز » الذى حصل على ترخيص بالحفر فى منطقة وادى الملوك عام ١٩٠٢ . . وظل ١٢ سنة ينقب فوجد مقابر تحتتمس الرابع ، وحوور محب ، والملكة حتشبسوت ، والملك سيتى . . ولكن المقابر كانت خالية فإن اللصوص سبقوا المليونير الأمريكى .



كان كارنارفون يبحث عن يتولى عنه مهمة التنقيب .
 وكان كارتر يبحث عن عمل فى وادى الملوك الذى نقب فيه كبار الأثريين والمغامرين .
 درس كارتر كل الحفريات التى تمت فيه وعرف كل ما يمكن معرفته عن الملوك المدفونين فيه .
 وكان لابد أن يحدث لقاء بين كارنارفون وكارتر فى وادى الملوك ،
 فإن مدير الآثار أصر على عدم تسليم الترخيص للورد إلا إذا إستخدم خبيراً يعاونه .
 كانت العداوة قد زالت ، أو هدأت حدتها ، بين الانجليز والفرنسيين بسبب خوف الأثنين المشترك من الخطر الالمانى القادم ولم يعد مدير الآثار غاضباً على كارتر .
 وكان يحب اللورد الذى يتحدث باللغة الفرنسية ولذلك قدم مدير الآثار كلا من الرجلين للآخر

وهكذا التقى الرجلان لا فى عزبة « هاى كليرك » التى يمتلكها

اللورد ، أوفى سوق الماشية في قرية سوافهام البريطانية التى ولد فيها كارتر ، بل بين بقايا الحضارة المصرية القديمة في الأقصر !
وبقى اللورد والرسام متعاونين ١٦ عاما نال عنها اللورد ١٦ سطرا أشادت به في دائرة المعارف البريطانية بينما حصل كارتر على ١٨ سطرا في هذه الدائرة و ٤٠٠ جنيه أجرا سنويا من اللورد !
بحث الاثنان في الضفة الغربية للنيل في الاقصر خمس سنوات كاملة من ١٩٠٧ حتى عام ١٩١٢ ونشرا في ذلك العام كتابا عنوانه « خمس سنوات من البحث في طيبة » .
وينتقل كارتر إلى سخا ولكن تظهر ثعابين الكوبرا لتطرده والعمال من المنطقة .

وتكون هذه مصادفة أخرى تدفعه إلى الاقصر ، في الوقت الذى يدرك فيه اليأس دافيز من منطقة وادى الملوك . وبقي عامين لا يحفر فيها وظل كارنارفون ينتظر حتى تنازل دافيز عن الترخيص .

* * *

تقدم « كارنارفون » عام ١٩١٤ إلى مدير مصلحة الآثار - يطلب ترخيصا بالتنقيب عن الآثار في المنطقة التى تنازل عن إمتيازها تيودور دافيز . . وكان على مسافة بضعة أقدام من أخطر الاكتشافات الاثرية المصرية . . على الاطلاق .

وافق مدير الآثار على منح الترخيص الذى سلم للورد في ١٨ أبريل عام ١٩١٥ لمدة عام ويجدد الترخيص سنويا حسب مشيئة المصلحة .

وفي عقد الامتياز هذه النصوص :

- الحفر والتنقيب على نفقة اللورد . والعمل يتم بعناية كارتير .
- إبلاغ باشمفتش الوجه القبلى فى الاقصر عند إكتشاف مدفن أو بناء آخر .
- المكتشف أول من يدخل المدفن أو البناء .
- منذ فتح المدفن ، وعند ظهور الحاجة ، يضع باشمفتش الآثار الحراس عليه .
- مومياوات الملوك والأمراء وكبار الكهنة وتوابيتهم ونواويسهم تبقى ملكا للمتحف المصرى وكذلك التحف ذات الأهمية التاريخية الكبرى .

- * باقى التحف تقسم مناصفة بين مصلحة الآثار وصاحب الترخيص مكافأة لتعبه ، فيحصل على نصف الآثار أو نصف الثمن .
- * المدفن السليم وجميع تحفه تؤول لمصلحة الآثار .
- * كل مخالفة لهذه الشروط تؤدى ، بدون إعلان أو إجراءات لالغاء الترخيص ولا حق لصاحبه فى تعويض أو مكافأة .
- وقال مدير الآثار للورد وهو يسلمه إمتياز التنقيب :
- لن تجد يا سيدى اللورد من الآثار ما يعادل نفقات الحفر .

* * *

- بدأ كارنافون وكارتير يستعدان للتنقيب . .
- كانت عملية البحث عن الآثار يدوية . .
- الحفر بطريقة بدائية . بالفؤوس والمعاول والسلال (القفف)
- والتراب ينقل بعيدا .

وكان الاثريون يتقبون بالوادي يزيلون التراب فإذا وجدوا ما يدل على وجود قبر إستمروا فى الحفر ، وإذا لم يجدوا إنتقلوا إلى نقطة أخرى .

ولم يكن أحد يترك خريطة بالمنطقة التى حفر فيها !

وكان الحفر يتم فى فصل واحد . . هو فصل الشتاء . . ويمتد ٧ شهور ويسمى موسما . ويتقاضى العامل ٣ قروش يوميا ويتكلف تأجير مئات العمال للعمل موسما واحدا ٥٠٠٠ جنيه . .

وجد اللورد أنه دفن نفسه حيا فى مصر ، يمضى نصف السنة أو أكثر فى عشه أقامها بالطين والرمال على تل منعزل عند مدخل الوادى أشبه بقبر أغاخان الحالى فى أسوان ! ولا توجد حوله شجرة أو أعشاب ولا يرى إلا سهل الوادى وجباله التى ترتفع ١٨٠٠ قدم .

أثرت حياة الوحدة الكثيبة فى الصحراء على اللورد البريطانى الذى يمضى فيها معظم الشتاء والخريف .

كانت أيامه متشابهة رتيبة . .

يستيقظ فى الخامسة والنصف صباحا ليتناول إفطاره ثم يمتطى حماره إلى نقطة الحفر فيجد ٢٧٥ رجلا ينقلون الرديم إلى مكان بعيد . ويعملون يوميا عدا يوم الثلاثاء كما يحصلون على نصف يوم الجمعة كعطلة .

ويعود اللورد إلى العشة عند الغروب .

وخلال هذه السنوات عانى من الحر القاسى ، والحقيقة المظلمة التى كادت تجرده من الطاقة والأمل .

ولكن الحرب العالمية الأولى التى دخلتها بريطانيا فى ٤ من أغسطس

عام ١٩١٤ منعت الاستمرار في الحفر . واستقر اللورد في بريطانيا بعد أن
حول قصره إلى معسكر لتأهيل الجنود الجرحى .

رأى كارتر - الذى كان فى الحادية والأربعين - أن يعرض خدماته
على الحكومة البريطانية فاختير ليكون حاملا للحقائب الدبلوماسية بين
لندن والقاهرة . . بطريق البحر .

وكانت التعليمات صريحة تمنع حامل الحقيبة الذى يعمل فى خدمة
صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى من نقل شىء آخر . . أى منعه
من التهريب !

قام كارتر بمهمته عدة مرات حتى وصل يوما إلى ميناء بور سعيد فسأله
موظف الجمارك البريطانى عما إذا كان معه شىء آخر غير الحقيبة
الدبلوماسية .
أجاب بالنفى .

ولكن موظف الجمارك قام بتفتيشه فعثر معه على علبة سجائر
فضية .

سأله الموظف عن مصدرها فقال أن سيدة فى لندن توسلت إليه أن
يحمل هذه العلبة هدية لابن أخيها فى مصر .
ولكن السيدة أبرقت لابن أخيها قائلة أن كارتر يحمل علبة
السجائر .

وقعت البرقية فى يد الرقيب العسكرى الذى أبلغ السلطات فأعد
الكمين لكارتر . . كما أعد قرار الفصل لمخالفة التعليمات أثناء
الحرب ! !

وهكذا عاد كارتر إلى الأقصر في خريف ١٩١٧ وبدأ يحفر في وادي الملوك .

كان كارتر هاويا للحفر والتنقيب والآثار ، يشم رائحة الآثار عن بعد .
أعد كل شيء بحسابات دقيقة .

رفض أسلوب أغنياء الأجانب . وقرر أن ينقب إلى الأعماق حتى يصل إلى الصخور . وأعد خريطة شاملة للمنطقة قسمت إلى مناطق إذا إنتهى من الحفر في إحداها إنتقل إلى منطقة أخرى وهكذا .
وتعلم من إستاذه نيوبري حب الآثار . وظل يذكر دوما كلمات إستاذه .

قال له :

- من خلال الآثار نرى الماضي ، حافلا بالمعاني ، يرتفع أمامنا والأرض يجب أن تحفر شبرا بعد شبر لنرى ماذا تخفيه . وكل أوقية من التراب لا بد أن تفحص فحصا دقيقا ، وكل قطعة من الفخار فيها مفتاح للتاريخ .

سجل كل ما تجده . وحذار من الملح على الآثار . وأحفظها في الشمع خوفا من الهواء .

إن الحصول على الآثار شيء سهل ، ولكنه عمل ضائع إذا لم تحفظ هذه الآثار وتنقلها سليمة . وعشرين في المائة من الوقت يضيع في تعبئة الآثار .

وكان كارتر يحفظ هذه الكلمات التي إعتبرت - في ذلك الوقت - ثورة في علم الآثار !

بدأ كارتر يحفر عام ١٩١٧ فى منطقة مثلثة تمتد من قبر رمسيس السادس إلى ميرنباح ورمسيس الرابع .
 وقرر أن يزىل التراب عن كل شبر ليصل إلى غايته فى هذا المثلث الذى يبلغ حجمه فدانين ونصف الفدان .
 بدأ « كارتر » برأس المثلث عند مدخل قبر رمسيس السادس فحفر إلى عمق ١٥ ياردة فوجد أكواخا تشير إلى أنه كان يجرى بناء مقبرة .
 وفى أكتوبر ١٩١٨ بدأ موسم الحفر الثانى .
 وعدل بيرلاكومدير مصلحة الآثار عقد الامتياز فى ١٨ ديسمبر دون مبرر . ولم يفتن ، اللورد أوكارتر ، لأهمية هذا التعديل أو لما سيلحقه بهما من أضرار .
 نص التعديل على « الترخيص للورد أن يفتح ، وينبش ، قبرا إستكشف كارتر مدخله فى الوادى الكبير شمال وادى الملوك » .
 وأقتصر التعديل على المادة التاسعة من الترخيص .
 كانت هذه المادة تقضى بأن المقابر التى توجد سليمة تؤول كل تحفها إلى المتحف المصرى .

فجاء التعديل ليفسر معنى كلمة « مدفن سليم » .
 قال « ليس المعنى بكلمتى « مدفن سليم » انه مدفن لم يمس بتاتا ، بل المعنى بهما مدفن يشمل على أثائه بحالة حسنة ، ويؤلف مجموعة صحيحة ، حتى ولو كان اللصوص قد دخلوه لأخذ الجواهر كما حدث فى مدفن والد الملكة تى ووالدتها » .
 وكان الهدف أن تحتفظ مصلحة الآثار بمحتويات أية مقبرة حتى ولو

كان اللصوص قد نبشوها مادامت محتويات المقبرة سليمة بصفة عامة ! !

وكان هذا التعديل هو الأساس الذى إستندت عليه مصر فيما بعد !

ويتدخل القدر مرة أخرى . .

رأى كارتر لسبب غير مفهوم ابدا عدم الاستمرار فى التنقيب فى ذلك المثلث وكانت قد بقيت قطعة صغيرة لم يحفر فيها .

وقال فيما بعد - إنه خشى أن يسد التراب قبر رمسيس السادس ،
ويمنع السياح ، من دخوله . ويحرم المرشدين السياحيين - وهم
أصدقاؤه - من دخولهم .

وأيا ما يكون السبب فانه ترك المنطقة ، وكان على بعد متر تقريبا من
هدفه ، وأخذ يحفر بعيدا عن المنطقة الأولى .
لم يجد كارتر شيئا .

وظل يحفر بعد ذلك ، كل موسم ، خمس سنوات كاملة دون
الوصول إلى نتيجة .

ومع ذلك ظل إمتياز التنقيب يجدد سنويا ، وتم نقل ٢٠٠ ألف طن
من الرمال والحصى دون العثور على شئ .

* * *

أصبح اللورد كارنارفون فى السابعة والأربعين من عمره الا قليلا . .
يجنح إلى الصمت ساعات طوالا . . يفكر فى الرحيل عن مصر لأنه لم
ينجح . وفقد حماسه للعملية كلها .

إستدعى اللورد كارتر للقاءه فى عزته بإنجلترا فى صيف عام ١٩٢٢ .

وكان إجتماع الرجلين أخطر لقاء لهما منذ إلتقيا لأول مرة قبل ١٥ عاما .
 كان الرجلان متشابهين في كل شيء تقريبا ، طولهما متوسط ،
 شواربهما رفيعة ، شعرهما أسود ، ملابسهما متشابهة ، الجاكته من
 التويد والقميص أبيض ، ويختلفان فقط في القبعة .
 ومن يراهما يحسبهما شقيقين أو ابني عم أو أحدهما صورة متكررة
 للثاني .
 إن كارتير هو الروح الأخرى لكارنارفون ، أو ما يطلق عليه قدامى
 المصريين « كا » .

ولكن كان هناك إختلاف أساسى بين الرجلين في الطباع .
 اللورد يكسب الأصدقاء بسهولة ، وكارتير يخسرهم بسهولة أكثر .
 اللورد له أصدقاء كثيرون في مصر من الباشاوات إلى الفلاحين فقد
 تعاطف مع آمال الشعب المصرى في الاستقلال ولذلك أقام لسعد زغلول
 مأدبة عشاء في عزيمته بإنجلترا .. وكارتير إستعمارى .
 اللورد يعرف المرونة وكارتير عنيد ، حاد الطباع عدوانى .
 اللورد يرى الآثار صيدا وكارتير يراها لعبة حتى أنه قال :
 - لو لم أكن أثريا لكنت بوليسا سرىا .

وكان اللورد يكبر كارتير بسبع سنوات .
 قال اللورد لكارتير إنه قرر التخلي عن البحث عن ملوك مصر فإن
 الازمة الاقتصادية في أعقاب الحرب جعلت الاستمرار في التنقيب
 اليائس ، أمرا غالى الثمن . لقد إنفقت ٥٠ ألف جنيه في مواسم حفر
 جرداء إستمرت ١٥ سنة .

لم يحاول كارتر إنكار هذه الحقيقة بل قال إنه لا يزال يأمل في العثور على قبر فرعونى سليم .
وأخذ يتكلم عن الشتاء القادم .
قاطعهُ اللورد قائلاً :
- يجب أن نتوقف .

قال كارتر :

- إن الفشل حتى الآن لا يؤثر في إقتناعى بأن هناك قبراً ملكياً واحداً -
وليس قبراً عادياً - لم يكتشف بعد . . وهناك دلائل على وجوده وهو قبر
الملك توت عنخ آمون الذى حكم مصر فى عصرها الذهبى قبل ثلاثين
قرناً .

والأدلة على وجوده كثيرة ومؤكدة . أن اسكوتلنديارد لا تتخلى عن
قضية بدعى أن الأدلة ليست حاسمة .

ويبدو أن كارتر كان يتوقع الرفض فقد أخرج من جيبه
خريطة لوادى الملوك طرحها أمام اللورد قائلاً :

- توجد منطقة صغيرة أسفل قبر رمسيس حفرنا عندها أول
موسم عام ١٩١٧ ثم تركناها حتى لا نمنع الزوار من زيارة القبر .

وأضاف قائلاً :

- دعنى أبحث موسماً واحداً فقط . وإذا لم توافق على التمويل فأنى
مستعد لتحمل كل النفقات . . ولكنك صاحب الترخيص الذى ينتهى
بعد عام فى ١٦ من نوفمبر ١٩٢٣ ولذلك يجب أن أستمِر باسمك . .

وقال :

- لابد أن سيولا أو أمطارا غزيرة غيرت شكل المكان والوادي . وقد رأيت مثل هذه الأمطار في وادي الملوك ٤ مرات خلال الـ ٣٢ سنة التي عشتها في مصر في سنوات ١٨٩٨ و ١٩٠٠ ومرتين عام ١٩١٦ .
وفض اللورد الموافقة على الاستمرار .

قال كارتر :

- إذا لم أجد شيئا فأنا الخاسر وإذا وجدت شيئا فإن الكشف سيكون بإسماك .

تأثر اللورد الرياضي من هذا العرض الكريم لأسباب كثيرة منها أنه خشي ضياع كل هذا الجهد والمال سدى ، ولأن كارتر وهب حياته كلها للحفر والتنقيب ورفض الزواج . . وأخيرا لأن اللورد كان يعلم أن كارتر يملك المال اللازم للتنقيب . . وأن متحف المتروبوليتان في نيويورك مستعد لتمويل عمليات للبحث عن آثار مصر .

في ظل ذلك وافق اللورد كارنارفون على أن يمول عملية البحث والتنقيب .

قال اللورد لكارتير :

- عام واحد بنفس الشروط والقواعد القديمة .
. . أن اللورد قرر أن يدفع كل النفقات .

* * *

ورغم ذلك بقيت تتردد في رأس اللورد كلمات المليونير الأمريكي دافيز وهو يتنازل عن ترخيصه عام ١٩١٤ قائلا :

- وادي الملوك . . خلا من الملوك !

نهب مصر

مصر من أوائل دول العالم التي توحدت تحت حكم ملك واحد هو الملك مينا عام ٣١٠٠ قبل الميلاد .
وحكم مصر القديمة ٣٦٠ فرعوناً يمثلون ٣١ أسرة ملكية خلال ٣٠٠٠ سنة تقريباً إنتهت عام ٣٣٢ قبل الميلاد عندما إحتل الاسكندر الأكبر مصر .

قبل الوحدة كانت نخب - الكاب الآن - عاصمة جنوب مصر .
ومدينة بوتو - كفر الشيخ الآن - عاصمة الشمال .
وفي عهد مينا كانت منف - ميت رهينة - عاصمة مصر الموحدة .
وتنقلت العاصمة لمصر حسب الظروف السياسية التي عاشتها البلاد من طيبة - الأقصر - إلى إثيت تاوى - أهناسيا في بنى سويف - إلى قنتير وتانيس - صان الحجر بمحافظة الشرقية ، و« سايس » - صا الحجر بمحافظة الغربية - ثم الأسكندرية ، وأخيراً القسطنطينية في العصر الاسلامى .

وكانت هناك عواصم دينية بالإضافة إلى العواصم السياسية وهى منف ، وطيبة ، وهليوبوليس وأبيدوس .
وتعتبر طيبة ، أو الأقصر ، من أشهر العواصم المصرية القديمة ،
سمة سياسية ودينية في الوقت نفسه .

كانت مقرا للحكم فترة إمتدت ألف عام . بدأت سنة ٢١٠٠ ق . م
في عهد الأسرة الحادية عشرة ، ولكن ألمع فترات عظمتها كانت
بعد نصف قرن عام ١٥٥٥ قبل الميلاد في عهد الأسرة الثامنة عشرة التي
بدأت بالملك أحمس الذى إنتصر على الهكسوس وطردهم من مصر بعد
أن ظلوا يحتلوننا نحو ١٥٠ عاما .

وقد إشتهرت هذه الأسرة بملوكها المحاربين ، ففي عهدهم إمتدت
الامبراطورية المصرية جنوبا فى السودان وشمالا حتى نهر الفرات .
وأقيمت المعابد الضخمة فى الأقصر وأشهرها معبد الكرنك الذى
يمكن أن تضم أسواره عشر كاتدرائيات فى أوروبا .

أما معبد آمون الذى يوجد داخل الكرنك فيمكن أن تضم جدرانها
أشهر ٣ كاتدرائيات وكنائس أوربية وهى : كنيسة القديس بطرس فى
روما ، وكاتدرائيته ميلانو الشهيرة ، وكنيسة نوتردام فى باريس .
وكان ملوك مصر يدفنون فى الجانب الغربى من المدينة وهو مقر
الحكم أيضا .

ولكن ثالث ملوك الأسرة الثامنة عشرة تحتتمس الأول رأى أن تكون
مقبرته على الشاطئ الغربى للنيل . وظل المعبد فى الجانب الشرقى .
قرر المحافظة على سرية مكان القبر .

وأصبح ذلك تقليدا لكل من حكم بعده . فقد إستمر ملوك الأسرة
الثامنة عشرة والتاسعة عشرة والعشرين يدفنون فى ذلك المكان ١٥٠ سنة
متصلة بإستثناء أخناتون الذى نقل عاصمته إلى تل العمارنة . . العمارنة
الآن .

وإمتدت على مسافة خمسة أميال على حافة الصحراء تلك المنطقة

التي دفن فيها ملوك مصر ، وأسرههم ، والنبلاء ، والكهنة ، وكبار الموظفين ، وقد أطلق عليها أسم « وادى الملوك » .
والأسم ملء بالرومانسية .

وبين جميع أسماء العجائب في مصر . . لا يوجد ما يحرك الخيال كما يفعل هذا الأسم .

في هذا الوادى المنعزل النائي البعيد عن أى أثر للحياة يرقد كثير من ملوك مصر بينهم أعظم ملك عرفته البلاد وهو رمسيس الثانى الذى حكم مصر ٦٧ عاما .

* * *

آمن المصريون بأن هناك حياة أخرى بعد الموت . وهذه العقيدة هى أساس كل الأديان السماوية ، وأن اختلفت فكرة المصريين في الحياة الثانية عن أديان السماء !

رأى المصريون أن الخلود يتحقق إذا لم يتحلل الجسد الميت فقد اعتبروه قوقعة تستعمل إذا تمت المحافظة عليها
وقالت عقيدتهم أن الموت لا يقطع الرابطة بين الروح والجسد فكل منهما يعتمد على الآخر .

وكل تأكل في الجسد ، بعد الموت ، يسرق من الروح جزءا .
وتحلل الجسد يعنى فناء الروح !
ومن هنا نشأ فن التحنيط .

حرص الشعب كله على حفظ الجسد بعد الموت .
وقال صامويل بيرش الذى ظل ١٩ عاما أميناً للقسم الشرقى

بالمتحف البريطاني ، عام ١٨٧٨ ، ان المصريين حفظوا ٤٢٠ مليون مومياء خلال ٢٧٠٠ عام من التاريخ المصري .

ولكن علماء آخرين قالوا ان الحضارة المصرية امتدت ٤٧٠٠ عام ولذلك فأن عدد المومياوات يصل الى ٧٣١ مليونا .

وكانت المومياوات المصرية منذ العصور الوسطى تسحق وتباع كدواء لا يقدر بثمن . وتستعمل مثل الاسبرين - ويضاف اليها بعض زيوت النباتات لعلاج الالتهابات .

وفي عام ١٧٧١ حذرت دائرة المعارف البريطانية الناس في أوروبا وأمريكا من شراء مسحوق هذه المومياوات لان مايباع هو جثمان المجرمين لا المصريين !

وعندما تقدم العلم في القرن التاسع عشر زالت فكرة العلاج ، بمسحوق المومياوات ، ليحل محلها استعمال المومياوات كسماد لخصوبة الارض .

وفي كتاب « ماك كون » مصر كما هي « الصادر عام ١٨٧٧ قال إنه قبل « خمس سنوات » كانت المومياوات أول الصادرات المصرية . . يصدر منها ١٠ الاف طن سنويا اغلبها لبريطانيا .

وفي أمريكا احتاجوا للكثان والأكفان التي تلف بها المومياوات ليصنعوا منها الورق عام ١٨٠١ فكانت المومياء تستعمل سمادا ، والأكفان ورقا ! ونشرت الصحف الأمريكية عام ١٨٥٦ اعلانات لمصانع تفاخر بأن ورقها صنع من اكفان مومياوات المصريين .

* * *

واذا كان شعب مصر قد حرص على حفظ الجسد من الموت ، فإن ملوك مصر كانوا اكثر حرصا .
بنوا القبور كما بنوا القصور .
كان الملك يبدأ بناء قبره في السنة الاولى لحكمه ويوسع القبر عاما بعد عام .
وكانت المقبرة تضم تماثيل الملك ، وحليه الذهبية ، وملابسه واسلحته ، وتعاويذه لانه يريد ان يكون ، حوله ، كل ما كان يحبه ويقدره في حياته .
وامتلأت الآنية بصنوف الطعام المختلفة ليحدها الملك عندما يستيقظ من رقدته ، كما كانت عقيدة قدماء المصريين .
ولم يكن ذهب المقابر مجرد كتل أو قضبان يصعب التخلص منها ، لا يوجد لها مشتركون ، بل كان الذهب قطعاً من الحلى ، أى سلعة تجارية يقبل عليها الناس عند طرحها للتعامل .
ومن هنا زادت السرقات لسهولة بيع المسروقات .
وخوفاً من طمع اللصوص فى محتويات المقابر كانت الصلوات الجنائزية العلنية تقام فى القصور والمعابد فيشهدها الناس على الشاطئ الشرقى للنيل أما المقابر فعلى الشاطئ الغربى .
وفى أول الأمر دفن فراعنة مصر فى حجرات سرية داخل الأهرامات .
ولكن هذه المباني الضخمة الواضحة دفعت اللصوص إلى سرقة محتويات المقابر رغم العقوبات القاسية .
ولذلك لجأ الفراعنة إلى جعل مقابرهم سرية ويسد القبر بالحجارة .
تخفى معالمه حتى لا يتسلل إليه اللصوص .

لقد أراد ملوك مصر أن يكرموا في مماتهم بهذا الثراء من حولهم . ولكن هذه الرغبة وذلك الثراء ، كان حافزا لامتهان مومياوات الملوك وسرقتهم ونهب قبورهم . . فإن الطمع في الثروة كان أقوى من كل الأسرار ! حدث في بعض الأحيان أن تولى إقامة القبور أسرى الحرب وقتلوا بعد ذلك منعاً لارشاد اللصوص إلى أسرار المقابر .

ولكن الأسرى لم ينشئوا كل القبور . . كما أنهم افشوا - قبل وفاتهم - كثيراً من الأسرار ومن الواضح أن عمليات السرقة كانت مستحيلة دون رشوة الحراس وكبار الموظفين وإشراكهم في الجريمة .

تراخت سلطة الدولة في عصر الأسرة ٢٠ و ٢١ حوالى سنة ١١٥٠ قبل الميلاد .

لم يبق لمصر كثير من عظمتها القديمة . أصبح العرش ضعيفاً ، فأنتهز كبار الموظفين الفرصة وصار الحراس متهاونين . وجد اللصوص الفرصة لسرقة المقابر .

لم يحترموا قداسة الموتى . ولم يخشوا الملوك . فنظموا العصابات وشكلت لجان للتحقيق لم تستطع الوصول إلى الجريمة . وفي سجلات المحاكم القديمة وجد مايقطع بأن قبور أمنحتب الثالث ، وسيتى الأول ، ورمسيس الثانى قد نبشت .

وفي أوراق البردى المحفوظة بمتحف فينا ، من عهد رمسيس التاسع ، نجد قصصاً كثيرة عن لصوص مقابر صدرت عليهم أحكام قاسية .

ونجد أحكاما أخرى غير رادعة فإن الحكام خافوا من الفضائح
ولذلك تستروا على اللصوص . .
وعلى جدران المقابر والمعابد نجد نقوشا هيروغليفية تشير أيضا ،
إلى جرائم نهب القبور .
ونقرأ أسماء عصابة من بينها نجار وناقل مياه ، وفلاح ، وعبد تستر
عليهم عمدة المنطقة سرقوا قبورا وقبض عليهم فضربوا بالسياط وألقوا في
السجن بلا طعام وعذبوا حتى إترفوا ثم صدرت عليهم أحكام بالأعدام
بعد وفاة أختائون بمائتين وخمس سنوات .
وهناك وصف تفصيلي لمحاكمة سارق وضعت عصابة على عينيه
واقيد إلى مكان الجريمة ليعيد تمثيلها ويعترف على زملائه .

* * *

عهد تحتمس الأول إلى كبير مهندسيه المعماريين اينني بأقامة قبره .
وتولى مائة من أسرى الحرب اقامة القبر وقد قتلوا جميعا .
ولكن الملك قاسى على يد اللصوص بعد سنوات من دفنه لأننا نجد
حور محب في السنة الثامنة من حكمه . يأمر كبار موظفيه بتجديد قبر
ذلك الملك .

وقد إكتشف القبر عام ١٨٩٩ . وجد التابوت الحجري الضخم
ولكن لم تكتشف مومياء الملك الذى نقل إلى قبر أبنته حتشبسوت . . ثم
نقل مرة أخرى مع مومياوات كثيرة إلى الدير البحرى .

* * *

ونقلت مومياوات الملوك بعد إكتشاف محاولات السرقة للحفظ عليها .

نقل رمسيس الثاني إلى قبر سبتى الأول هربا من اللصوص ثم نقل الأثنان معا إلى قبر الملكة أنحابى . ونقل إلى هذا القبر أيضا رمسيس الأول .

ونقل رمسيس الثالث من قبره ٣ مرات .
ونقلت مومياوات أحمس ، وأمنحتب الأول ، وتحتمس الثاني ، ورمسيس الثاني العظيم .

ووجدت مومياء أمينوفيس الثالث والد اخناتون -الذى إشتهر بقتل الوحوش - ولكن وجد معه جثمان ملكين آخرين .

وحملت النقوش أسماء الملوك الثلاثة ولكن لم يعرف على وجه التحديد أسم صاحب كل مومياء !

وقال مدير مصلحة الآثار فيكتورلوريه أنه وجد في قبر أمنحتب الثاني ، مومياء أمنحتب الثالث داخل تابوت رمسيس الثالث .
وكان على غطاء هذا التابوت الأخير اسم سبتى الثاني مما يدل على أنه تم نقل المومياوات والتوابيت من قبر إلى قبر !!

أصبح إخفاء المومياوات ، ثم العثور عليها ، وسرقتها مرة ثانية ، ونقلها ، لعبة وفي الوقت نفسه مأساة دامية .

ولكن اللصوص لم يهزموا سواء في سرقة المقابر ، أو الآثار المصرية بصفة عامة ، لأنه من الصعب حماية ٤٠ ألف موقع أثرى في البلاد !

كان فرانسوا لوريه مدير الآثار يبحث وينقب في وادي الملوك عام ١٨٩٨ عندما وجد في مقبرة أمينوفيس الثاني موميאות من الأسرتين ١٨ و ١٩ منها تحتمس الرابع وأبنة أمينوفيس الثالث الذى دام حكمه ٣٦ عاما قبل ميلاد السيد المسيح من ١٤١٣ إلى ١٣٧٧ .

وفي عهد هذا الملك إمتد نفوذ مصر إلى الفرات وأثيوبيا .
ووجدت على صدره زهورا وضعتها أيد محبة له قبل ٣٤٠٠ عام .
ولكن كل مجوهراته سرقت !

وفي عهد حريحور نقل ماتبقى من موميאות الملوك إلى مقبرة جماعية آمنة من اللصوص .

تم النقل ليلا بطريقة سرية وبمساعدة الكهنة المخلصين وأخفيت الجثث وقيت في مكانها ٣٠٠٠ سنة تقريبا .

أما أسوأ عهود السرقات فتتمت في أوائل القرن الثامن عشر . .
واللصوص جميعا من الأوروبيين .

حفروا بأنفسهم ، أو عهدوا بذلك إلى المصريين ، أو أغروهم على السرقة ، بأثمان كانت تبدو مرتفعة في ذلك الحين .

كان الغزو العثماني واحتلال الأتراك لمصر حائلا منع المغامرين والصوص القادمين من الغرب من الوصول إلى مناطق الآثار حتى القرن السابع عشر .

ولما بدأ إنهيار الامبراطورية التركية وتولى المماليك حكم مصر بأسم

السلطان العثماني ظهر أول للصوص الآثار وهو أسقف بربطاني اسمه
ريتشارد بوكوك .

زار مصر عام ١٧٣٧ وعبر النيل إلى الأقصر .

وكان ينزل المقابر بسلم من الحبال فتتهال عليه الرمال ولكنه يرى
جماجم كثيرة - مومياءات - في وادي الملوك على ضوء الشموع فأخذ
منها ما أخذ ! وكان المصريون - في ذلك الوقت - يعتقدون أن الأوربي
يستطيع بسحره أن يعثر على الكنوز ويرحل بها .

ورأى الناس سرقاته الكثيرة فهددوه بالقتل حتى اضطُر إلى مغادرة
البلاد ..

وظل كتابه « رحلات في مصر » يجذب السباح والمغامرين
واللصوص .

ولكن سرقة الآثار المصرية ونهبها على نطاق واسع بدأ بعد أن
أصدر العالم والرسام الفرنسي دومنيك فيفان دينوف كتاب
« وصف مصر » في ٢٤ جزءا فإن هذا الأثر الأدبي جعل العالم يهتم
بمصر، وجذب إليها اللصوص في عصر وإلى مصر محمد علي باشا
الكبير الذي بدأ عام ١٨٠٥ وانتهى بوفاته سنة ١٨٤٢ .
كان محمد علي حائرا بين بريطانيا وفرنسا ، وهدفه إعلان إستقلال
مصر .

وشغل ، بالتخلص من خصومه في الداخل ، وفتوحاته في
الخارج ، عن حماية الآثار .

حرص والى مصر على إجتذاب قنصل بريطانيا سولت ، وقنصل
فرنسا دروفيتى .

وإنتهز القنصلان الفرصة فأخذوا يسرقان آثار مصر على نطاق واسع .
وربما يكون محمد على قد عرف مايفعله الرجلان فترك لهما سرقة
« الماضى » مقابل أن يتركاه الحاضر والمستقبل !
وكانت النتيجة فى الحاليتين أن سولت ودروفيتى ، فى ظل الحصانة
الدبلوماسية ، وظروف مصر ، السياسية ، كانا أشهر لصين للآثار فى
تاريخ مصر الحديث .

عين سولت قنصلا عاما لبريطانيا فى مصر عام ١٨١٥ . وصل إلى
القاهرة فى السنة التالية .

قام بحفائر كثيرة ليحصل على آثار للمتحف البريطانى وللأصدقاء
الذين ساعدوه على تعيينه فى منصبه .

نقب ، وجمع كميات ضخمة للمتحف ، وكميات أخرى
لحسابه .
قال فى رسالته الأولى للأصدقاء :

« سأبعث إليكم بآثار لم ترها العيون ! »

وعندما غرقت الشحنة الأولى بعث إليهم معزيا يقول :

« الآثار المصرية كثيرة ! »

نقل التمثال النصفى الضخم لرمسيس الثانى من طيبة إلى
الاسكندرية ومنها إلى لندن وقدمه للمتحف البريطانى . ورأيته يتصدر
الجناح المصرى فى الدور الأرضى بالمتحف ورقمه ١٩ !

فى عام ١٨١٨ أرسل مجموعة ضخمة للمتحف ولكن الأوصياء

أبخسوه الثمن واشتروا الآثار بمبلغ ٢٠٠٠ جنيه وهو يقل عن تكاليف الحفر والنقل ، ورفضوا تابوت سيتي الأول فاشتراه السيرجون سون الذي دفع ثمنه ٢٠٠٠ جنيه أخرى ووضعها في متحفه المعروف بأسمه في لندن .

واشتري مجموعة سولت الثانية - التي حصل عليها من مصر خلال الأعوام من ١٨١٩ حتى ١٨٢٤ - ملك فرنسا بمبلغ ١٠ آلاف جنيه . وبيعت المجموعة الثالثة في مزاد إستمر ٧ أيام في « قاعة سوثي » للأعمال الفنية في لندن بمبلغ ٧١٦٨ جنيهها وتضم ١٠٨٣ قطعة أشتراها المتحف البريطاني . جمعها سولت خلال ٣ سنوات من ١٨٢٤ . ولكنها بيعت عام ١٨٣٥ بعد وفاته .

ونشر سولت عدة كتب عن « أعماله » !

وتدخل القدر ليموت في دسوق عام ١٨٢٧ ويدفن بالاسكندرية !
كان سولت يعمل وينقب ويشتري بنفسه ولكن كان له ٣ رجال يقومون بالعمليات القذرة ! وهم جيوفاني بلزوني الإيطالي ، وبيركهارت السويسري ، وجيوفاني كافيجليا وهو بحار من جنوا بريطاني الجنسية ، وقيم في مالطه .

أما بلزوني فهو ابن حلاق إيطالي فقير ولد عام ١٧٧٨ في قرية صغيرة .

من أسرة إيطالية وقورة . أعد ليكون راهبا ولكن في سن السادسة عشرة ذهب إلى روما يبحث عن الثروة . وعندما غزا الفرنسيون إيطاليا في عهد نابليون تجول في أوروبا يقوم بألعاب السيرك . وساعده جسه .

الضخم على أن يرفع في الأسواق قضيبا من الحديد يحمل ١٢ رجلا ..
ويجمع التبرعات من المعجبين !

وفي فترات عطلة السيرك درس الهندسة .

تجول في البرتغال وأسبانيا . وإستقر في مالطه يعرض على مندوب
لمحمد على باشا الكبير نموذجا لساقية أجرى تجربتها أمام السوالى في
القاهرة فنجحت التجربة ولكن الباشا رفض إتمام الصفقة .

لم يجد بلزوني مايفعله فتحول إلى أترى مع زوجته الايرلندية يبحث
عن الآثار ويسرقها لحساب سولت ولحسابه الشخصي .

وكان أول من دخل الهرم الثانى

وكان دائما يقول :

- لن نحقق شيئا إذا لم نحاول !

وسرق لمتحف فيزوليم في كامبردج جزءا من تابوت ضخم لرمسيس

الثالث .

ووجد ٢٠ تمثالا لسخمت في معبد توت في الكرنك .

وعثر على قبر الملك آى فى الضفة الغربية للأقصر .

وأخذ من مقبرة القرنة كثيرا من أوراق البردى

وعثر على ٦ قبور ملكية فى وادى الملوك منها قبر سبتى الأول الذى

وجد فيه التابوت الذى رفض المتحف البريطانى شراءه .

ارتاد بلزوني الواحات البحرية والفيوم وسيوة وإكتشف بيرنيس ميناء

البطالسة على البحر الأحمر .

وسرق من كل هذه المواقع آثارا ، قدم ، عشرين منها ، للمتحف

البريطاني وأقام بالباقي معرضاً في القاعة المصرية في بيكاдилلى بلندن عام ١٨٢١ .

وكان يحطم المقابر والمعابد ليحصل منها على مايريد . وقد أمضى خمس سنوات في مصر والسودان .

ولم يخجل بلزوني مما فعله بل نشر جرائمه في كتاب يحمل أسم « حكاية » .

في هذا الكتاب قال انه في البداية ألقى بسلة مصرية في النيل ظنا منه أن التيار سينقلها إلى الأسكندرية فلما غرقت أنقذها . . وأهدى تمثالين مصريين لسخمت وضعا في مجلس مدينة بادوا التي ولد فيها !

وزار النيجر وفي طريقه إليها مات عام ١٨٢٣ .

روى بلزوني قصة دخوله إحدى المقابر المليئة بموميאות الفراعنة قال :

« جعلني الهواء الخانق في ممر المقبرة على وشك الاغماء .

وملأ الغبار السرداب وتسرب إلى عيني وأذني . وكانت رثاى على وشك الانفجار من محاولة طرد الرائحة التي تنبعث من الموميאות وهي ترقد في أكوام مما يثير الفزع .

وبدا الفلاح شبه العارى الذى يمسك بالشمعة لينير الطريق أمامي كأنه بدوره مومياء .

وبعد الجهد الذى بذلته في الممرات الخالية من الهواء أخذت التمس مكانا أجلس فيه وعند إنحنائى وقعت مومياء أمامي .

سقطت فوقها . وتطايرت عظام ، وخرق وقطع خشبية في عاصفة
كثيفة من الغبار حتى عجزت عن الحركة .

وكان هناك ممر آخر يختنق بالأتربة فلم أستطع شق طريقى عبره
ولم أتمكن من منع نفسى من مسح وجوه بعض المصريين من قدامى
الموتى . وتحطمت مومياء أخرى وغطتني بوابل من العظام .
كانت أغلب المومياوات تتراكم فوق بعضها . منها ما يرقد معتدلا
والآخر مقلوبا .

ورغم هذه الصورة المرعبة فإن جيوفانى بلـزوني . . سرق
المومياوات !

أما السويسرى فهو جون لويس بيركهارت .
درس اللغة العربية في جامعة كامبردج البريطانية . وأقام في مصر ٣
سنوات من عام ١٨١٤ حتى عام ١٨١٧ . وكان يسمى الشيخ
إبراهيم
سرق آثارا وألف كتابا أسمه « رحلات في النوبة » . ومات في سن الثالثة
والثلاثين ودفن بالقاهرة !
وكان كافيجليا مالكا لبخرة في البحر المتوسط ، وهوربانها أيضا قام
بحفائر عند أهرامات الجيزة وأبو الهول واكتشف الممرات بين مخالبه
ونقل الآثار المسروقة إلى إنجلترا

ولم يقصر كافيجليا نشاطه لحساب سولت بل عمل أيضا لحساب
ضابط بحرى اسمه الكولونيل فايس الذى قدم أوراق البردى

للمتحف البريطاني . وهذا المتحف كان قصرا للورد مونتاج في لندن صدر قانونه عام ١٧٥٣ ، وأدخلت عليه تعديلات كثيرة آخرها عام ١٩٦٣ . وقانونه يمنع التصرف فيها لديه من آثار . . أى أنه لايرد قطعة من الآثار حصل عليها بأية وسيلة إلا إذا كانت مزدوجة !

كان برناردينو دروفيتى قنصل فرنسا العام الدبلوماسى الثانى الذى سرق آثار مصر وهو إيطالى ولد قبل بلزوني بعامين .
تجنس بالجنسية الفرنسية واشترك فى حمله نابليون فى مصر وعمل قنصلا عاما لفرنسا فى مصر فترتين .

الأولى منذ ولاية نابليون حتى عام ١٨١٤ والثانية تسع سنوات من عام ١٨٢٠ ، فقد فصلته الحكومة ثم أعادته للعمل لأنه كان صديقا لوالى مصر .
جمع دروفيتى أكبر مجموعة من أوراق البردى عرضها على فرنسا فرفضت شراءها . ولم يتردد - وهو قنصل لفرنسا - فى عرضها على ملك سردينيا الذى دفع ثمنها لها ٤٠٠ ألف ليرة ايطالية وقدمها لمتحف تورينو .

وتضم هذه الصفقة قوائم بأسماء ملوك مصر .

واشترى منه متحف برلين عام ١٨٣٦ مجموعة ثانية بمبلغ ٣٠ ألف ليرة أما المجموعة الثالثة فاشتراها شارل العاشر بربع مليون فرنك وقدمها لمتحف اللوفر فى باريس .

وهذا المتحف بناه لويس أغسطس ملك فرنسا ليكون مقرا
للوكرها ومركزا للأكاديمية .

فلما قامت الثورة الفرنسية فتح عام ١٧٩٣ للجمهور . وبعد
غزو بلجيكا في السنة التالية قام نابليون بوناپرت بتخزين القطع الفنية
التي حصل عليها من الدول التي اكتسحتها قواته ، داخل القصر .
وقدم الفنانون الفرنسيون عام ١٨٩٦ التماسا الى حكومة الادارة
يقولون فيه إن حكومة فرنسا بقواتها واستنارتها وفنانيها هي البلد
الوحيد في العالم الذي يستطيع أن يضمن سلامة المتحف ، وكل
شعوب العالم يجب أن تأتي وتقترض الفن من فرنسا .

وتمت أكبر مجموعه من المتحف إلى المتحف - عام ١٨٠١٨ بعد أن
وصلت إلى باريس كنوز ايطاليا التي استولى عليها الفرنسيون .

ومتحف اللوفر مثل المتحف البريطاني لا يرد الآثار

والمجموعات الثلاث التي باعها دروفيتي تمثل أفضل وأروع
الآثار المصرية في أوروبا بصفة عامة ومتحف اللوفر بصفة خاصة .

وكان دروفيتي صاحب نفوذ على محمد علي الذي اعتمد على فرنسا
لمساندته ضد الانجليز .

وفي آخر حياته عاقب القدر دروفيتي . . أوروبما تكون لعنة الآثار
المصرية .

جن ونقل إلى ملجأ تورينو وعاش فيه حتى مات !

ولم تقتصر السرقة على قنصلى بريطانيا وفرنسا وحدهما . . ان كل قنصل استطاع أن يمد يده لآثار مصر لم يتردد في ذلك . . أبدا . . وأشترك في ذلك القناصل الفخريون أيضا .

جيو فاني أنسطاسى التاجر الارمنى الذى جاء من سوريا واستقر في الاسكندرية وعمل قنصلا للسويد ، والنرويج ٢٩ عاما . جمع كمية من آثار سقارة والأقصر . وباع صفقة ضخمة للحكومة الهولندية عام ١٨٢٨ ومجموعتين للمتحف البريطانى عام ١٨٣٩ ومجموعة ثالثة لفرنسا سنة ١٨٥٧ !

وأهدى تابوتا من الجرانيت لمتحف أستكهولم . وتوجد مجموعة أوراق البردى التى حصل عليها في متاحف لندن وليدن وباريس وبرلين . وأوصى بالثروة التى جمعها من التجارة في آثار مصر للأعمال الخيرية في السويد . كما أوصى بأن يدفن في مدينة الاسكندرية . ومصطفى أغا عياط المصرى الذى ظل خمسين عاما قنصلا فخريا في الأقصر لبريطانيا وبلجيكا وروسيا كان أكبر تاجر للآثار المهربة مستغلا الحصانة الدبلوماسية .

وقد إستنكرت حكومة بلجيكا عمليات تهريبه المستمرة لأوراق البردى فعزلته من تمثيلها ! وقد بلغت به الجرأة والاستهتار أن يبنى لنفسه بيتا داخل معبد الأقصر هدمته حكومة مصر بعد وفاته .

وقنصل الدانيمرك أرسل إلى متحف كوينهاجن الوطنى عددا من آثار مصر عام ١٨٢١ .

وموظف من قنصلية السويد في أستانبول أسمه ليدمان أرسل شحنتين
لبلاده ظهرت أحدهما في متحف أوسالا والثانية في متحف فورونيز .
ودمرت شحنة أخرى في إستانبول أثناء حريقها الشهير عام ١٨١٨ .
حاول جورج جليدون قنصل الولايات المتحدة في الاسكندرية - وهو
أول كاتب أمريكي عن مصر القديمة - إيقاظ الضمير الأثري فنشر عام
١٨٤٩ كتابا اسمه « نداء إلى الأثريين في الأوربا عن هدم آثار مصر »
طلب فيه من الجميع الرفق بآثار مصر هدمًا وسرقة ! ولكن أحدا لم
يستمع إليه .

بعد مجموعة القناصل بعشرين عاما . . جاء إلى مصر أخطر
اللصوص جميعا كارل ريتشارد لسبيوس الألماني . وهو من خبراء الكتابة
الهيروغليفية ويعتبر أفضل علماء الآثار بعد شامبوليون . صحح بعض
كلمات وقواعد اللغة التي إكتشفها شامبوليون نفسه !
قبل أن يجيء إلى مصر - ليرأس بعثة تنقيب - ظل ٤ سنوات يطوف
متاحف إنجلترا وهولندا وإيطاليا يدرس مجموعات الآثار المصرية بها
ليتعرف على صورتها حتى يبدأ من نقطة جديدة .

زار مصر مرتين الأولى ٣ سنوات بدأت عام ١٨٤٢ .

وجاء للمرة الثانية عام ١٨٦٦ .

وتمت الزيارة الثالثة عام ١٨٦٩ ليشهد حفل إفتتاح قناة السويس .

جاء لسبيوس تحت شعار « نقل رسوم الآثار المصرية » .

نقب في وادي الملوك والنوبة ، وسيناء ، والفيوم ، والسويس ،

وشرق الدلتا أيضا !

وأصدر ١٢ مجلدا عن رحلاته والآثار التي جمعها . كما نشرت ٥ أجزاء أخرى بعد وفاته .

وفي هذه الكتب إقرافات بأنه أرسل لألمانيا ١٥ ألف قطعة من الآثار المصرية . ولم يقل انه سرقها ، أو هربها !

وباع لسبيوس بعض التحف للمتحف البريطاني في لندن فأنه يبيع لمن يشتري ، ورأيه يتركز في أن الآثار مصرية الجنسية أما المشترون فلاجنسية لهم !

وكوفىء لسبيوس على عمله بالاشتراك في تصميم المتحف المصري في برلين وأختير مديرا له .

وظهر لصوص كثيرون في معظم دول العالم الغربي .
أدوين سميث المغامر والتاجر الأمريكى الذى أستقر فى الأقصر ابتداء من عام ١٨٥٨ لمدة ثمانية عشر عاما أقرض خلالها للصوص والتجار المحليين على ذمة سرقة الآثار

حصل فى يناير من عام ١٨٦٢ على مجموعتين من أوراق البردى بيعت الأولى للألمان وأهدت إبنته المجموعة الثانية للجمعية التاريخية فى نيويورك وهى محفوظة الآن بأكاديمية الطب فى نيويورك أيضا .

واشتهر سميث الذى يعرف الكتابة الهيروغليفية بتزوير الآثار .
وعلم المصريين كيف يزورونها !

وهنرى أدوارد نافيل السويسرى الذى زار مصر عام ١٨٦٥ وحفر فى ادفو وأماكن أخرى ونقل تمثال الجرانيت الضخم لأمنمحات الثالث للمتحف البريطانى . ونقل أعمدة تحتحور إلى المتحف البريطانى ومتحف بوسطن الأمريكى !

وأرنستو سكيا باريللي الايطالى ومدير متحف تورينو الذى كان يرأس
بعثة المتحف للتنقيب عن الآثار فى مصر ١٧ سنة بدأت عام ١٩٠٣ نقل
كثيرا من آثار مصر - وأشهر مجموعة من أوراق البردى إلى هذا
المتحف .
وظهرت آثار مصرية فى تلك الفترة فى متحف بورديو بفرنسا

وصل إلى الاسكندرية عام ١٨٦٩ أمير ويلز الذى جلس على عرش
بريطانيا باسم أدوارد السابع ومعه زوجته .
إتجه إلى الأقصر وطلب من القنصل البريطانى أن ينقب له عن بعض
الآثار المصرية خلال الفترة التى يزور فيها أسوان !
وكان مصطفى أغا عياط هو القنصل البريطانى فى الأقصر !
عاد الأمير من أسوان لسمع أن مصطفى أغا قد اكتشف له ٣٠ تابوتا
فى وادى الملوك .

وتبين أن التوابيت جمعت من مناطق مختلفة عن طريق الحصانة
الدبلوماسية لمصطفى أغا لادخال السرور على قلب الأمير الذى عاد إلى
بلاده ومعه عشرون تابوتا فاحتفظ بما شاء ووزع الباقي هدايا على المتاحف
والاصدقاء . . وبقي تابوت أحمر من الجرانيت لم يستطيعوا نقله
لأنجلترا إلا عام ١٨٨٥ بعد الاحتلال البريطانى لمصر !

واكتشفت مجموعة من أوراق البردى فى منتصف القرن التاسع عشر
أراد اللصوص تقسيمها بالتساوى فقطعوها نصفين وبيعت أجزاء منها
للمتحف البريطانى والأخرى لمتحف ليفربول وقسم ثالث لمكتبة مورجان
فى نيويورك .

ولم تعرف الصلة بين هذه المجموعات الثلاث . ولم يتمكن أحد من قراءتها مكتملة حتى قام العالم البلجيكي جان كابار بذلك عام ١٩٣٥ .

وقد سرقت الآثار المصرية بكل الطرق ..

كانت توجد في معبد الأقصر ١٣ مسلة فأهدى محمد على مسلة إلى فرنسا - توجد الآن في ميدان الكونكورد في باريس - فجاءت بعثة بحرية إلى الأقصر عام ١٨٣١ لنقلها من مصر .

وأهدى محمد على مسلة أخرى إلى ملك بريطانيا جورج الرابع عام ١٨٢١ ، ولكنها لم تصل إلا في عام ١٨٧٨ بعد رحلة طويلة وقد رحبت « التايمس » بوصولها في مقال طويل بتاريخ ٨ أكتوبر من ذلك العام .

فقد انتظرت البعثة الفيضان لنقل المسلة عبر النيل . ولكن البعثة رأت ألا تضيع فترة الانتظار عبثا فنقبت عن الآثار المصرية فوجدت تابوتا اشتراه الدوق هاملتون البريطاني ودفن فيه !

وتوجد مسلة مصرية ثالثة في حديقة سنترال بارك في نيويورك .

وكل مسلة وزنها نحو مائتي طن .

ولا توجد في معبد الكرنك الآن سوى ٣ مسلات أما التسع الباقية فإنها هدمت .. أو سرقت !!

وفي العصر الحديث تعددت السرقات أيضا . .
وبلغت الجرة بالصمصاء أنهم أطلقوا النار على رجال نابليون الأول
عندما جاءوا إلى وادي الملوك في أوائل القرن الثامن عشر .



عثر الأهالي في منطقة دراع أبو النجا بالأقصر عام ١٨٦٠ على مومياء
ملكة وعليها مجوهراتها .

أبلغ النبأ إلى الخديو سعيد باشا وماريت باشا الذي أمر بحفظ
الأثار ولكن مدير قنا نقلها إلى بيته فلما جاء مفتش الأثار لم يجد إلا
قليلا من الحلبي بينها سلسلة من الذهب يزيد طولها عن متر أهداها
الخديو إلى إحدى نساؤه !

وكان يعيش في مصر أمريكي اسمه باتون من جامعي التحف
يشترها ويهرها للخارج.

وفي يوليو عام ١٨٨١ استطاع باتون أن يهرب من مصر ومعه مجموعة
من أوراق البردي قال له أحد الخبراء إنها تنتمي إلى عصر الأسرة ٢١ وأنها
هامة في تفسير بعض جوانب تاريخ تلك الأسرة .

كتب باتون بذلك إلى جاستون ماسبيرو مدير مصلحة الأثار فبعث بأحد
مساعديه إلى الأقصر ليتظاهروا به جامع تحف .

نجح المساعد في الاتصال بالصمصاء المقابر وكسب ثقتهم وأمكن
القبض على رئيس العصابة في قرية « القرنة » وأسمه محمد عبد
الرسول .

أحيل المتهم إلى داود باشا مدير قنا .

كان « داود باشا » يستدعى لصصوص الأثار ، ويملاً زيرا بالماء ويجلس فيه ولا تظهر منه إلا عيناه وفمه . ويستجوب داود باشا - وهو فى حالته هذه - اللص الذى لا يرى من الباشا إلا عينيه .
 وكان « داود باشا » يعفو عن السرقة الأولى ! ثم يطلق الرصاص وهو جالس داخل الزير على اللص إذا ارتكب السرقة الثانية .
 ولكن اللصوص الذين يرتكبون جرائم كبيرة كانوا يعترفون فوراً لأنهم يظنون أن الباشا يعرف وأن الرصاصة .. ستطلق !
 لم يعترف محمد عبد الرسول رغم التعذيب والسجن شهرين كاملين .

واشترك أهالى القرية فى الدفاع عنه والشهادة لصالحه وإنه لم يسرق ، وأنهم أيضاً أبرياء .. أفرج عن محمد عبد الرسول ولكنه وعد بمكافأة ضخمة إذا أعترف .

أعترف محمد عبد الرسول - بعد الافراج عنه وحصل على ٥٠٠ جنيه مكافأة .

أرشد أميل بروكش باشا مساعد ماسبيرو إلى أوراق بردى من عهد الملكة نفرتارى .

وقاد بروكش إلى مقبره فى الدير البحرى عبر ممر طوله ٢٥٠ قدما، وتقع على عمق ٤٠ قدما.

وفى غرفة صغيرة ، وعلى ضوء الشموع رأى بروكش أكفانا وموميوات ل ٣٢ من ملوك مصر وملكاتهن وكهتهن وعلى كل مومياء اسم صاحبها بالكتابة الهيروغليفية . أمينوفيس الأول وتحتمس الثانى

وأموسيس الأول وتحتمس الثالث وسيتى الأول ورمسيس الثانى أعظم هؤلاء الملوك .

وتبين أن بعض المومياوات محطمه .

كما مزق كفن تحتمس بحثا عما قد يكون ملتصقا بالجثمان من الذهب !

ووجدت صور آثار سهم فى مومياء الملك سقن رع ملك مصر الذى صد هجمات الهكسوس .

ولكن الأثرى لم يجد تابوتا واحدا .

ظن بروكش أنه يحلم فإن هذه كانت أكبر ضربة حظ فى حياته .

بقى فى المقبرة ساعتين لايحس خلالهما بالحرارة والهواء الساخن فى صيف شديد الحرارة تحت أعماق الجبل .
إنه أول أوربى دخل مقبرة الدير البحرى .
تحرك على الفور .

أستخدم ٣٠٠ عامل قاموا بنقل المومياوات والأكفان والتماثيل وسلال الفواكه والأطعمة إلى سفينة على النيل .

وصلت السفينة إلى القاهرة وقسمت المومياوات إلى مجموعتين الأولى تنتمى إلى الأسرتين ١٨ و ١٩ ملوكا وموظفين كبارا .

والثانية من الأسرة ٢٠ و ٢١ من عصر الملوك الكهنة وقيل أنهم من معاصرى النبيين داود وسليمان .

فى كتاب المهندس حسن فتحى « الهندسة المعمارية للفقراء »

روى حكاية قرية « القرنة » التي جاء منها عبد الرسول . قال « إنها أقيمت فوق مقابر مصر القديمة ، قرب الشاطئ الغربى للأقصر وقد دفع السكان وأبائهم للحياة فى هذه المنطقة قبور أجدادهم الغنية بالآثار . . ويعيش الأهالى منذ ذلك الوقت ، من التنقيب عن المقابر .

وهم يعتمدون فى كسب أرزاقهم على سرقة محتويات المقابر بصورة تكاد تكون كاملة خاصة وأن المزارع المحيطة بتجمعاتهم السكنية لا تكفى للوفاء بإحتياجات هذا العدد من السكان وهى - أيضا - مملوكة تقريبا لعدد محدود من أصحاب الأراضى .

وهؤلاء السكان أصبحوا خبراء لا يشق لهم غبار فى الكشف عن المقابر السرية وهم لصوص أذكاء ومهرة ولكنهم لم يمارسوا السرقات بتعقل .

كانوا ينقبون عن الآثار بإهمال مما أدى إلى إستنزاف أئمن الكنوز الفنية قبل أن تعرف قيمتها الحقيقية .

وروى حكيم أبو سيف مفتش الآثار أن أحد القرويين عرض عليه عام ١٩١٣ جوالا مملوءا بالجعارين الأثرية مقابل عشرين قرشا رفضها أبو سيف !

ولم تقتصر عمليات السطو على المقابر على سرقة الجعارين فحسب .

وعندما إكتشفت سليمة مقبرة أمينوفيس الثانى من الأسرة الثامنة عشر قام أحد الحراس بسرقة قارب مقدس كان بالمقبرة .

وأشترى الفلاح بعد ذلك ٤٠ فداناً من الأرض الزراعية من حصيلة بيع الآثار .

لقد ألحق هؤلاء بالمقابر أضراراً جسيمة رغم مهارتهم ورغم أن الإنسان يشعر بالحب نحوهم ورغم أنهم يعيشون في ظل فقر لا يستحقونه .

إنهم ينقبون ثم يبيعون ، دون أن يعرفوا قيمة ما اكتشفوه ، أو مصدره ، مما يعنى خسارة كبيرة لعلم المصريين .

وهم يفعلون - أحيانا - ما هو أسوأ فإذا وجد أحدهم بالصدفة قطعة أثرية مصنوعة من الذهب فإنه يصهرها .

وبكذا وجدت الحل والصفائح الذهبية والتمائيل والقطع الذهبية التي لا تقدر بثمن طريقها إلى أوعية الصهر وأصبحت مجرد سبائك ذهبية تقل قيمتها كثيراً .

وبالطبع وقع هؤلاء الفلاحون فريسة لتجار الآثار الذين يستطيعون وحدهم الاتصال بالأجانب الراغبين في الشراء والذين إنعدمت ضمائرهم فإستغلوا الوضع الحرج لسكان القرنة واشتروا القطع القيمة المكتشفة بأسعار تقل كثيراً عن قيمتها الحقيقية .

إن سكان القرنة يتحملون المخاطر ويطورون مهارتهم ويقومون بالأعمال الشاقة بينما يجلس هؤلاء التجار في أماكنهم آمينين ويشجعون هذا التهريب وتمتلىء بطونهم بفضل هذه الآثار التي يحصل عليها سكان القرنة بمجهودات شاقة » .

إكتشف جريبو مدير مصلحة الآثار - عام ١٨٩١ - مقبرة قرب الدير
البحرى مملوءة بالمومياءات والتوابيت والأواني والقدور والآثار والفواكه
من عهد الأسرة ٢١ .

أخذ في نقل هذه الآثار يوم ١٥ من فبراير من العام نفسه وذلك حتى
أوائل أبريل من العام التالى .

وعين مورجان مديرا لمصلحة الآثار فإقترح توزيع نحو مائة من هذه
الآثار - مجاناً - على متاحف أوروبا وأمريكا . والغريب فى الأمر أن
حكومة مصر وافقت على توزيع هذه الآثار على متاحف العالم !

لم تتوقف سرقة الآثار .

فى ٢٥ من يوليو عام ١٩٧٢ نشر فيليب بيرتير مقالا فى صحيفة
« الأورو » اليمينية الفرنسية يقول أن الفنانين السوفيت هربوا الآثار من
مصر فى حقائب ثقيلة . . دبلوماسية !

وفى ٩ من أبريل عام ١٩٧٣ أذاعت وكالة الاسوشيتدبرس الأمريكية
أنه خلال الشهور الثلاثة الأولى من عام ١٩٧٣ نهب السوفيت القبور
الأثرية من مصر ونزعوا ما على الجدران من رسوم وسرقوا أوراق البردى .

وعرضوا بعض مالاذهب للبيع بمبلغ مليون دولار !
ولم تذع إسرائيل - حتى الآن - ماأخذته من آثار سيناء أثناء
إحتلالها بعد عام ١٩٦٧ !

قانون ماسبيرو !

استعملت الكتابة الهيروغليفية لآخر مرة في ٢٤ من أغسطس عام ٣٠٤ ق . م في جزيرة فيله عند حدود مصر الجنوبية .
واستعملت اللغة الديموطيقية - وهي نوع شعبي من اللغة الهيروغليفية كتبت به أوراق البردى - لآخر مرة بعد ٦٠ سنة تقريبا لم يحاول اليونان والرومان الذين احتلوا مصر فهم الكتابة الهيروغليفية التي تعبر بصور الحيوانات والأدوات وجسم الانسان . . فصورة الصقر في اللغة الهيروغليفية مثلا لا تعبر عن الصقر وإنما عن السرعة باعتبار ان الصقر من أسرع الطيور !
وبقيت مصر القديمة صامته نحو ١٣٧٠ عاما لأن فن ، أو علم ، قراءة لغتها القديمة ضاع فلا أحد يستطيع أن يقرأ اللغة ، أو الكتابة الهيروغليفية ، على آثار مصر من أوراق البردى ، والحجارة والفخار .



وجاء نابليون إلى مصر غازيا بـ ٣٢٨ سفينة و ١٨٠٠ مدفع عام ١٧٩٨ يريد احتلال « بوابة الشرق » ومعه ١٧٥ عالما وخبيرا في الفلك والجغرافيا والجيولوجيا والفلسفة والنبات والرسم والشعر .
وكان جنود نابليون يسمون هؤلاء العلماء « الحمير » و

« الاغبياء » ! ولكن نابليون كان يسميهم « جنود العلم » الذين يتطلع اليهم العالم لمعرفة التاريخ المصرى .
ونقل الانجليز حربيهم ضد نابليون إلى مصر فحاصر القائد البحرى نلسون اسطول نابليون فى « ابى قير » ودمره فى ٧ من اغسطس عام ١٧٩٨ .

استطاع نابليون العودة إلى فرنسا سرا وزحف الانجليز إلى القاهرة بقيادة السير رالف ابركرومبى فى ربيع عام ١٨٠١ وهددوا باحتلال العاصمة المصرية فانقل العلماء الفرنسيون إلى الاسكندرية وأخذوا معهم الآثار المصرية التى عثروا عليها . . ومنها حجر رشيد .



اكتشفه الضابط الفرنسى بيير فرانسوا بورشار فى منتصف يوليو عام ١٧٩٩ فى جدار قلعة قديمة ، أراد الفرنسيون هدمه لتوسيع القلعة بمدينة رشيد .

لاحظ الضابط ان على الحجر ٣ كتابات أو ٣ نصوص كتبت بثلاث لغات مختلفة : اليونانية والهيروغليفية والديموطيقية .

أرسل الحجر إلى القاهرة ووضع فى المعهد الذى أنشأه نابليون ولم يعلن عن « الحجر » إلا فى سبتمبر من ذلك العام .

عقد اتفاق بين الانجليز والفرنسيين نص فيه على ان يسمح للفرنسيين بالانسحاب من القاهرة ومعهم كل ممتلكاتهم . ولو أن العلماء الفرنسيين ظلوا فى القاهرة لأخذوا معهم حجر رشيد طبقا للاتفاق بين البلدين . ولكن المعاهدة التى عقدت بين الانجليز والفرنسيين نصت فى المادة ١٦ على ان يسلم الفرنسيون فى الاسكندرية كل الآثار .

أصر الجنرال الفرنسي مينو على عدم تسليم حجر رشيد بدعوى أنه من الممتلكات الخاصة به . ولكن الانجليز أصروا على الحصول عليه فسلم لهم في أحد شوارع الاسكندرية حتى لا يعرف بذلك الجنود الفرنسيون !
أسرع الجنرال البريطاني هانشنس بشحنه على باخرة حربية نقلته إلى ميناء بورتسمارث في فبراير عام ١٨٠٢ .
وفي مارس من ذلك العام وضع الحجر في مقر جمعية الآثار في لندن وقدمه الملك جورج الثالث في أواخر عام ١٨٠٢ إلى المتحف البريطاني .

رأيت هذا الحجر - طوله ١١٤ سنتيمترا وعرضه ٧٢ وسمكه ٢٨ ووزنه ٧٦٢ كيلوجراما ، وهو من البازلت الأسود - في الجناح المصري الضخم في المتحف البريطاني بلندن . وهو القطعة الوحيدة من الأحجار المصرية في هذا المتحف - التي أحيطت بحاجز يمنع الناس من لمسها .

وزعت بريطانيا نسخا من نصوص الحجر على الجامعات البريطانية وجامعات أوروبا .

ولكن هذا الحجر بقي صامتا لا ينطق . ولم يستطع أحد من العلماء تفسير الكتابة الهيروغليفية التي نقشت عليه . وقال أحدهم أن مشكلة الكتابة الهيروغليفية لن تحل ولن تتكلم الآثار المصرية أبداً .
وعندما حاول علماء تفسير الكتابة الهيروغليفية عارضهم آخرون واتهموهم بالتزييف .

ولكن هذا الحجر وكل الآثار المصرية الصامتة ، استطاعت أن تتكلم وتنطق بفضل طفل عبقرى . والده بائع كتب

الأم تقرأ للصغير وعمره ٥ سنوات صفحات من الانجيل بصوت مرتفع . والطفل يحفظ الصفحات ويعيدها كلمة بعد أخرى .
خاف الأب من ذكاء ولده ، فمنع الأم من القراءة للطفل . ولكن الصغير سرق نسخة من الانجيل من مكتبة أبيه .

لم يكن الطفل يعرف القراءة والكتابة ولكنه يحفظ مكان الكلمات في الصفحات ويقارن النطق بالحروف ! ويلتقط مجلة تهتم بأثار مصر وفنونها ويطلع فيها تقريرا ورسمًا لحجر رشيد ويصمم الطفل - وعمره ١١ سنة - على حل لغز الهيروغليفية وتفسير كلماتها فيدرس ، وعمره ١٧ سنة ، بأكاديمية العلوم الفرنسية في جرينويل .

ويتعلم في المدرسة عدة لغات منها اليونانية واللاتينية والقبطية والعربية والعبرية . ويضع في سن السابعة عشرة خريطة تاريخية لمصر التي لم يزرها !

ويتعلق الشاب بالكتابة الهيروغليفية . ولكن فقره يحاصره فيمنعه من التفرغ لهذه المهمة ، ويبحث - عبثا - عن ألف فرنك ليشتري ورقة بردي لعلها تساعد على الحل فيبحث لأخيه يطلب قرضا ! كان فرانسوا شامبوليون عاطلا ، ملابسه ممزقة ، وحذاؤه بال ، لا يدفع الايجار ويمتد المرض إلى رثتيه فيؤجر حجرته للطلبة ويعطيهم دروسا ، ويصحح بروفات الكتب ليعيش .

ورغم هذه الظروف كلها يؤلف قاموسا قبطيا فلما وصل عدد صفحاته إلى ١٠٦٩ صفحة ، قال :

- القاموس يزداد « سمنة » وأنا أزداد هزالا !

ويقرأ يوماً أن عالماً حل لغز الكتابة الهيروغليفية فيسرع إلى المكتبة
يشتري الكتاب بعد أن تعهد بدفع ثمنه في المستقبل . فلما قرأه أخذ
يضحك لأنه وجد الكتاب أكذوبة ضخمة !

وبصبح الشاب العبقري عضواً في أكاديمية العلوم في فرنسا وأستاذاً في
سن التاسعة عشرة يتقاضى ريع مرتب المنصب نتيجة حقد العلماء
المنافسين !

وكان لابد أن تكتمل صورة هذا العالم الشاب بمنشورات ثورية
يحررها ضد ديكتاتورية نابليون ! فنفي ١٨ شهراً بتهمة الخيانة .
وعندما يعود إلى باريس يستأنف العمل في حجر رشيد للوصول إلى سره .
وينفتح اللغز أمامه . . تدريجياً .

بدأ يقارن الصور الهيروغليفية بالحروف اليونانية ، ويلاحظ تكرار
الصور فيدرك أن الهيروغليفية لغة وليست رموزاً .

ويظن إلى أن بعض الصور الهيروغليفية تكون اسمى كليوباتره
وبطليموس وبذلك يعرف لأول مرة بعض الحروف الهيروغليفية ، ثم
الحروف جميعها .

ويكتب لأخيه :

« فعلتها » !

وهكذا نجح شامبليون وعمره ٣٢ سنة في حل رموز الكتابة
الهيروغليفية بعد أكثر من عشرين عاماً من اكتشاف الحجر !
وقرأ شامبليون هذا النص الذي كتبه الكهنة عام ٩٦ ق . م تكريماً
لبطليموس الخامس بلغات ثلاث يعلنون فيه أنهم قرروا إقامة تمثال
للملك في كل معبد لأنه قدم العطايا للمعابد المصرية .

ويزور شامبوليون مصر سنة ١٨٢٨ وعمره ٣٩ عاما فيستقبله
المصريون بترحيب بالغ ويقيمون له الحفلات ويهتف الفلاحون لأنه
الرجل الذى استطاع « قراءه الكتابه التى وجدت على أحجارهم
القديمه » !

ويظل الرجل فى مصر ٣ سنوات يطوف المعابد يقرأ ما كان سرا مغلقا
ويبحث عن الحضارة التى اندثرت .

ويموت عام ١٨٣٢ العبرى الذى جعل آثار مصر كتابا مفتوحا .
وبعد ٨ سنوات من وفاته يصدر أول قاموس للكتابة
الهيروغليفية وأول كتاب عن قواعدها .

وإذا كان جان فرانسوا شامبوليون قد فرض اسمه على الكتابة
الهيروغليفية فإن فرنسا فرضت - بذلك - نفسها على الآثار ومصلحة
الآثار المصرية نحو مائة عام .

فى عهد محمد على باشا الكبير ، وإلى مصر ، صدر أول أمر عال
ينظم قواعد حماية الآثار يوم ١٥ من اغسطس عام ١٨٣٥ وينص على أن
آثار مصر ، جزء من تراث البلاد ، وهى ملك الدولة .

وقضت القوانين الصادرة منذ ذلك الحين بأن تبقى الآثار ذات
الأهمية التاريخية ، والأعمال الفنية المتميزة ، داخل البلاد دليلا على
عظمتها وحضارتها .

وفى عصر محمد سعيد باشا ، وموافقته على مشروع فرديناند دلسبس
بأنشاء قناة السويس أخذ النفوذ الفرنسى يزداد ، وبالذات فى ميدان الآثار
فان دلسبس تدخل لدى الوالى سعيد باشا لإنشاء مصلحة الآثار وتشجيع
البحث عنها .

ومنذ انشاء مصلحة الآثار وتعيين مارييت مديرا عاما لها عام ١٨٥٨
احتكر الفرنسيون منصب مدير عام هذه المصلحة ونصف الوظائف
القيادية حتى عام ١٩٥٢ . وكانت البداية غزو نابليون لمصر الذى فشل
عسكريا . . ونجح « أثريا » ! !

* * *

استمر الفرنسيون يديرون مصلحة الآثار حتى بعد الاحتلال
البريطانى لمصر عام ١٨٨٢ .

وأيدت بريطانيا حق الفرنسيين فى هذا المنصب فى الاتفاق الودى
الذى عقد بين البلدين فى ٨ من أبريل عام ١٩٠٤ .
والاتفاق الودى ينهى التنافس بين البلدين فى البحر المتوسط
لمواجهة الخطر الالمانى القادم .

وكانت الأمور قد اضطربت فى مراكش التى تحتلها فرنسا . وهناك
دولتان فقط تستطيعان التدخل فى مراكش الأولى اسبانيا ولكنها مثقلة بنتائج
حربها مع الولايات المتحدة ، وبريطانيا التى لا ترغب فى زيادة اعبائها .
ومن هنا اتفقت الدولتان على تبادل حكم مصر ومراكش ، أو اتفقتا
على مقايضة مراكش بمصر ! !

تعهدت فرنسا بألا تطالب بالجلء عن مصر .
وبريطانيا تطلق يد فرنسا فى مراكش فلا تطالبها بالانسحاب .
وقع الاتفاق اللورد لانسدون وزير خارجية بريطانيا وكامبون سفير فرنسا فى
لندن .
والاتفاق سياسى فى المقام الأول مفروض فيه الا يبحث شئون الآثار وأن
تكون آخر موضوع يتناوله مثل هذا الاتفاق !

ولكن المادة الأولى تقول بأن بريطانيا لن تغير الحال السياسية في مصر ، وفرنسا لن تعرقل عمل بريطانيا العظمى ولن تطلب تحديد موعد للجلاء عن مصر .

وأصرت فرنسا - في المادة الأولى - على أن يتولى منصب مدير مصلحة الآثار - كما كان في الماضي - عالم فرنسي ! وهذا النص ، بهذه الطريقة ، يبين أهمية مصلحة الآثار في نظر الفرنسيين فهم يعترفون بأن نفوذهم السياسي تلاشى أو سيتلاشى في مصر : ولكن نفوذهم في مصلحة الآثار ينبغي أن يستمر ! وعلى هذا الأساس استمر الفرنسيون في ادارة مصلحة الآثار واعطاء تراخيص التنقيب !



شغل ستة من الفرنسيين منصب مدير عام مصلحة الآثار . منذ انشائها حتى عام ١٩٥٢ . كانوا جميعا محبين لمصر وآثارها . أغلبهم درس الهيروغليفية والقبطية والحبشية والعبرية وألفوا عشرات الكتب ، وألوف المقالات ، عن مصر وتاريخها القديم ، وأدبها ، وموسيقاها ، ونباتها ، وحيواناتها وقواعد الكتابة الهيروغليفية ونقبوا في مواقع كثيرة بحثاً عن الآثار . ولكن اختلفت سياسة كل مدير للمصلحة عن الآخر بالنسبة لملكية الآثار .

ظل فرانسوا أوجست فردينال ماريت باشا مديرا عاما لمصلحة الآثار .

٢٣ عاما متصلة حول خلالها مسجدا وبعض العرش لتصبح متحف بولاق للآثار . . قبل انشاء المتحف الحالى عام ١٩٠٠ .
وقام بالحفر والتنقيب فى ٣٥ موقعا امتدت من النوبة وأسوان حتى البحر المتوسط وكشف عن آثار البدرشين ومعابد الاقصر وادفو وإيدوس ودندرة وعشرات من الاهرامات التى بنيت على هيئة مصاطب . . الخ .
وكان لديه ٢٧٨٠ عاملا يقومون بهذه المهمة . وبذلك سجل رقما قياسيا للحفر والاكتشافات فى الشرق الأدنى كله .

وضع مارييت قاعدة عدم خروج أى أثر من مصر إذا لم يكن له نظير فى البلاد .
حدث عام ١٨٦٦ أن طلب نابليون الثالث من الخديو اسماعيل بعض الآثار المصرية لتعرض بالمعرض المقام فى ذلك العام بفرنسا فرفض مارييت إلا إذا تعهدت فرنسا بإعادة تلك الآثار إلى مصر . فأعيدت الآثار .

سيطر مارييت على عالم الآثار . واستعان بعمال الخبرة للحفر والتنقيب . وسمح الخديو سعيد واسماعيل بضرب لصوص الآثار بالسياط ونسف المباني بالديناميت لاكتشاف الآثار وأعادتها للمتحف .
وفى عام ١٨٧٩ عندما وقعت الأزمات المالية التى أدت إلى عزل الخديو اسماعيل عين مندوبان ماليان للأشراف على شئون مصر المالية الأول كرومر البريطانى الذى تولى الاشراف على شئون وزارة المالية والثانى دى بلينيير الفرنسى الذى تولى الاشراف على وزارة الاشغال ، وكانت مصلحة الآثار تتبع هذه الوزارة .

ومن هنا زاد اهتمام الفرنسيين بآثار مصر .

وعندما توفي مارييت في يناير عام ١٨٨١ دفن بحديقة المتحف
المصرى وحوله مشاهير مديري مصلحة الآثار .
خلف جاستون كامى شارل ماسبيرو الفرنسى الراحل مارييت فى ادارة
مصلحة الآثار عام ١٨٨١ ، مدة خمس سنوات ، قسم خلالها مصلحة
الآثار إلى ٥ مناطق يشرف على كل منها مفتش .
وماسبيرو درس اللغة المصرية القديمة الهيروغليفية وعلوم الآثار
والتاريخ المصرى وأصبح استاذًا للآثار المصرية فى كلية فرنسا وعمره ٣٠
سنة .
وعرضت عليه وظائف كثيرة فى عدة دول بأمريكا الجنوبية وإيطاليا .
وعندما أنشأت فرنسا مدرسة للآثار الشرقية فى مصر ليدرس فيها
الزاعبون عام ١٨٨١ أوفد ماسبيرو للعمل استاذًا بها . . ثم اختير مديرا
للمدرسة ثم مصلحة الآثار .
ويفاخر ماسبيرو بأنه حافظ على الآثار المصرية من السرقة والنهب أثناء
الثورة العربية ولكن الواضح ان أحدا من المصريين خلال الثورة لم يفكر
فى اقتحام المتحف المصرى فى بولاق وسرقة آثاره !
نشر ماسبيرو عدة كتب عن مصر وآثارها . وجمع القصص الشعبى
القديم فى كتاب عام ١٨٨٢ . وظل ١٤ سنة يجمع الأغاني الشعبية فى
مصر وأصدرها فى كتاب عام ١٩١٤ .
ومن المؤكد أن ماسبيرو كان مجبًا لآثار مصر ولذلك رأى ضرورة
تشجيع البحث والتنقيب عنها .

ومن هنا وجد ان عمليات التنقيب التى يقوم بها الأجانب تعتبر خدمة
لمصر فهم يقومون بعمل لا تستطيع المصلحة القيام به ، كما أنهم

يحرصون المنطقة التي يعملون بها . ويعتبر من السخافة حرمان البلاد منها !
وفي البداية كانت نصوص ماسبيرو متشددة بالنسبة لتصدير الآثار ..

قال الأمر العالى الذى اصدره الخديو محمد توفيق فى ١٦ من مايو ١٨٨٣ باعتبار « دار الانتيكات المصرية ومحتوياتها من أملاك الحكومة ذات المنفعة العمومية » !

ونص فى أول تصريح منح للتنقيب عن الآثار - عام ١٨٨٤ - بأن تبقى فى مصر جميع القطع التى يعثر عليها مهما يكن نوعها ، وقيمتها والعصر الذى تنتمى إليه .

فى هذا التصريح قيل صراحة ان الآثار تبقى ملكا للحكومة المصرية وتودع فى « متحف بولاق »

ولكن ماسبيرو ارتكب أكبر خطأ عندما حاول التوفيق بين الفرنسيين والانجليز فوعد البريطانيين بأن يقدم لهم خديو مصر بعض الآثار التى يعثر عليها المنقبون البريطانيون كهدايا ونفذ هذا الوعد !
وأهدى الخديو المستكشفين البريطانيين بعضا من آثار تل المسخوطة .
وكان كل ما تكلفه الانجليز للحفر فى هذا التل ٦٠٠ جنيه !
وتمادى ماسبيرو فى تيسيراته للأجانب .

رخص لمدير الآثار بأن يسمح للمستكشف بالحصول على جزء من القطع التى يعثر عليها والتى يمكن التنازل عنها ولكن بشرط أن تقوم مصلحة الآثار بفحصها أولا لتعويض المنقبين عن نفقات الحفر .
وكانت هذه بداية سرقة آثار مصر بنصوص قانونية صريحة !

ولكن ماسبيرو عاد إلى فرنسا عام ١٨٨٦ بسبب حالة زوجته الصحية وظل في باريس ١٣ سنة فخلفه في البداية يوجين جريبوست سنوات من عام ١٨٨٦ حتى عام ١٨٩٢ .

عادى جريبوست كل الأجانب عدا الفرنسيين .

وأخذ يتشدد في منع التصدير

وقال الأمر العالى الذى اصدره الخديو محمد توفيق في ١٧ من نوفمبر

عام ١٨٩١ بمنع الحفر الا برخصة من مدير عموم دار التحف والحفر .

ووضعت شروط ونصوص محددة في كل ترخيص .

« كل الآثار تبقى ملكا للحكومة المصرية . . تختار منها ما تريد

فإن بقى شيء يترك للقائم بعملية التنقيب بشرط أن يقوم - بدوره - باهداء

القسم الاكبر منها للمتاحف العامة . . بلا مقابل .

وكان الهدف ان تكون آثار مصر في متاحف العالم للدعاية ولا يستفيد

بها المكشفون !

وحدث الصدام بين الانجليز وجريبوست فاضطر للاستقالة عام

١٨٩٢

وتولى ادارة مصلحة الآثار جاك جان مارى دى مورجان خمس

سنوات ليقوم بحفائر في أهرامات دهشور ويكتشف مجوهرات الاسرة

١٢ ، ومصطبة سقارة ، ويقود أول بعثة لاكتشاف آثار سيناء ثم يستقيل

ليسجل أهم اكتشافات عمره في إيران !

وجرت تيسيرات اخرى عام ١٨٩٣ . .

اعترفت اللائحة الجديدة بأنه يجوز تعويض بعثات التنقيب بالتنازل

لها عن نصف القطع المكتشفة .

وبقى للحكومة الحق في الحصول على كل القطع الخاصة بملوك مصر . . دون تعويض ودون اقتسامها مع المكتشفين .

ساعدت هذه التيسيرات على تدفق البعثات الأجنبية على مصر. ولكنها كانت كارثة على الآثار المصرية فقد سمحت بنهبها على نطاق واسع!

وجاء فيكتور لوريه عام ١٨٩٧ مديرا للآثار ليقى عامين فقط ويطلع به لنفس الأسباب التي اطاحت بسلفه جريبو فاضطر للاستقالة .

ولكن في عهد لوريه تم الحفر في وادي الملوك فاكشف قبر امنحوتب تحتمس الثالث وامنحوتب الثاني الذي وجدت فيه ٩ موميات .

وظل حب لوريه للآثار المصرية مستمرا حتى بعد عودته لفرنسا فأنشأ مدرسة للآثار المصرية في مدينة ليون وأصدر قاموسا للغة الهيروغليفية من جزئين ضما ٢١٧٩ كلمة .

وعاد ماسبيرو لإدارة مصلحة الآثار عام ١٨٩٩ ليقى ١٥ سنة أخرى مديرا لهذه المصلحة .

في العهد الثاني لماسبيرو تدفق الاجانب للبحث عن آثار مصر بصورة لم يسبق لها مثيل .

* * *

رفع ماسبيرو شعار تشجيع البحث عن آثار مصر فأعد مشروع قانون عجيب يدور حول هدف واحد وهو تقسيم الآثار مناصفة بين المصلحة والمكتشف .

وافق اسماعيل سرى باشا وزير الاشغال - الذي تتبعه مصلحة الآثار - على المشروع وأقره مجلس الوزراء برئاسة محمد سعيد باشا

ووقعه الخديو عباس حلمى الثانى عام ١٩١٢ . فتدفق الأجانب للبحث عن اثار مصر .

وكانت مصلحة الآثار كريمة غاية الكرم مع صاحب الترخيص ، بينما فى بلاد كاليفورنيا لها تاريخ قديم لا ينال المكتشف شيئا من اثار البلاد لأنه يجب الاحتفاظ بها فى موطنها الأصلى .

وأمثله الاستيلاء على الآثار المصرية - طبقا لقانون ماسبيرو - لا تنتهى .

نص المشروع على ان تؤول إلى مصلحة الآثار مومياوات الملوك ، والأمراء ، وكبار الكهنة ، وأعضاء البلاط الملكى وتواييتهم وأكفانهم .

وتؤول للمصلحة أيضا محتويات المقابر السليمة التى لم تمس ، أى لم ينبشها اللصوص .

وإذا وجدت مقبره تسلل اليها اللصوص ، ولم يسرقوها بالكامل ، فإن مصلحة الآثار تحتفظ بالمومياوات والتواييت ذات الأهمية الكبرى من الناحيتين الأثرية والتاريخية وما يتبقى بعد ذلك من الآثار القابلة للنقل تقسم مناصفة بين المصلحة والمكتشف .

وتقوم مصلحة الآثار بعملية القسمة إلى مجموعتين يختار المكتشف احدهما أو يحصل على ثمن مجموعته من مصلحة الآثار . وإذا لم يقبل المكتشف نصف القيمة التى تحددها المصلحة يكون لها أن تأخذ التحف أو تتركها بأن تدفع ، أو تأخذ ، نصف القيمة التى يحددها المكتشف نفسه .

وجرى العرف والتقاليد على حصول المكتشف على معظم الآثار
العادية وأقل من نصف الآثار الهامة !

* * *

في أول ابريل عام ١٨٨٢ ، قبل الاحتلال البريطاني بعشرة اسابيع
أعلن في لندن عن تشكيل جمعية التنقيب المصرية للبحث عن الآثار .
كان من بين الأعضاء المؤسسين اللورد كارنارفون - الأب - رئيس
جمعية الآثار .

أما الهدف الأول للجمعية فهو محاولة الوصول إلى حقيقة الفترة
الضائعة في تاريخ مصر وهي الـ ٤٠٠ عام التي عاشها اليهود في مصر
وطريق خروجهم منها .

والهدف الثاني أن يحصل المتحف البريطاني على نصيب من آثار
مصر ، بطريقة قانونية سليمة لأن متحف اللوفر الفرنسي ملئ بالآثار
المصرية ، كما أن هذه الآثار تملأ متاحف برلين وتورينو وفلورنسا .
وكان من الطبيعي أن يكون هناك غطاء لأهداف الجمعية ورسالة
معلنة وهي المحافظة على آثار مصر !

تعاونت الجمعية مع السير ارنست واليس بادج الامين المساعد
للقسم المصرى في المتحف البريطاني والسير اراسموس ويلسون الجراح
البريطاني الشهير الذي مول الجمعية وتبرع لها بعشرة آلاف جنيه - وهو
رقم ضخم بمقاييس ذلك الزمان - لنقل مسلة كليوباترا من الاسكندرية
إلى انجلترا لتستقر على ضفاف نهر التيمس .

وبدأت الجمعية عملها بالتنسيق مع ماسبيرو بطرق شتى ! !
تبادلت اميليا ادواردز الكاتبة الصحفية التي زارت مصر الرسائل مع

ماسبيرو عندما كان استاذاً شاباً في كلية فرنسا بباريس عام ١٨٧٦ !
وبعد أن تولى منصب مدير مصلحة الآثار استمرت الجمعية تتعاون
معه فوافق على اهدائها أول مجموعة أثرية من « تل المسخوطه - قرب
الرقازيق - عام ١٨٨٣ .

ويعدل ماسبيرو القوانين لصالح الجمعية فيسمح بتصدير الآثار عام
١٨٨٤ .
ويحتضن ماسبيرو عمليات التنقيب التي يقوم بها ماثيو فلندرز بيتري
البريطاني وكل ما اشترطه ان تذهب آثار كل المجموعات التي يكتشفها
بيتري إلى متحف بولاق وأن توضع في صناديق الآثار المكررة التي يريد
تصديرها ويبلغ بها ماسبيرو ليفحصها ! ويوافق عليها .

وكان ماسبيرو يوافق عادة . وكان بيتري يسجل في رسائله للجمعية
كرم ماسبيرو !

وفي لندن كانت الجمعية تعرض الآثار الواردة من مصر لتحصل على
تبرعات ثم تكتب لبيتري وغيره من الذين ينقبون باسم الجمعية تطلب
مزيداً من الآثار للمتاحف المحلية في بريطانيا !

وبعد أن تولى جريبو ادارة مصلحة الآثار اتهم بيتري بتصدير
« سرقة » ٥٠٠ ألف قطعة من الفخار المصري بلا ترخيص !

وفي التقرير الذي نشرته الجمعية عام ١٩٨٢ عن أعمالها في مائة سنة
اعترفت بأن المتحف البريطاني كان أول من أفاد من الجمعية ثم متحف
بوسطن في الولايات المتحدة لأنه كان يتبرع للجمعية ، ومتاحف
أمريكا ، وليفربول ، وشيفيلد ، وادنبره ، ومدرسة حكومية بريطانية في
هارتر هاوس !

وفي تقرير الجمعية انها عندما توقفت عن الحفر في طيبة بسبب ضعف الميزانية تبرع أمريكى اسمه « لافان » بألف جنيه مقابل أن يأخذ حصة الجمعية في نصف الآثار المصرية فوافقت الجمعية .
واقترحت الجمعية على الحكومة البريطانية اصلاح المعابد المصرية وأبواب مقابر وادى الملوك فوافقت لجنة في وزارة الاشغال مقابل ان يقوم المتحف المصرى ببيع التحف ! ! والحصول على ثمنها لتنفيذ هذه الاصلاحات .

وهكذا ساعدت الجمعية على نهب آثار مصر !



استمرت عملية تقسيم الآثار بين المصلحة والمكتشفين طبقا لقانون ماسبيرو .

- وهذه بعض الامثلة . . .
- في عام ١٩٠١ . . وجد قنصل فرنسا الفخرى في الاقصر اسكندر بك مقبرة لبعض الاعيان فحصل على نصف ما اكتشفه من آثار .
- وفي نفس السنة أخذ تيودور دافيز الآثار المكررة من قبر تحتمس الرابع .
- وفي عام ١٩٠٣ أخذ دافيز تابوتا من اثنين وجدتهما في قبر الملكة حاتاس وسلم التابوت لمتحف المتروبوليتان في نيويورك .
- وأخذ دافيز أيضا آثارا من قبر حور محب ، وآوانى فخار من قبر اخناتون .

وقد ردت تكاليف الحفر التى أنفقها دافيز للوصول إلى مقبرة اخناتون

٧٥٠٠ جنيه . أما قيمة الآثار التي حصل عليها من هذه المقبرة فقد زادت على ٢٠ ألفا من الجنيهات .

ولم يعارض اسماعيل سرى باشا - وهو من اكفأ المهندسين المصريين - في تنفيذ نصوص القانون وتقسيم الآثار خلال السنوات الطويلة التي أمضاها في وزارة الاشغال .

لقد ظل يشغل هذا المنصب في عهد الخديو عباس حلمي الثاني ، والسلطان حسين كامل ، والسلطان أحمد فؤاد ، الذي أصبح ملكا ، وبقي وزيراً ١٢ عاما في وزارات بطرس غالي ، ومحمد سعيد ويوسف وهبه ومحمد توفيق نسيم .

عين في منصبه منذ ١٢ نوفمبر ١٩٠٨ وبقي فيه حتى ١٥ من مارس ١٩٢٣ باستثناء ٣ سنوات تقريبا .

قال الانجليز في تقاريرهم الرسمية السرية ان اسماعيل سرى « رجلنا في مصر » !

وكانت مصلحة الآثار تتبع وزارة الاشغال !

* * *

ظل وادي الملوك يمثل عالما من السحر والغموض والخيال لعاشقي الآثار ولصوصها وهو أيضا مكان موحش منعزل تحوم حوله الاشباح . وصفه اللورد كارنارفون بأنه صخور ، ورمال ، ورديم ، وحفر مملوءة بالموميאות ، جوه خائق مخيف بلا طيور أو حشرات ولا يعكس أي مظهر للحياة .

أنه شاهد على الجميع .. الرواد واللصوص معا ، يعكس الطمع والجشع والفضول الانساني الذي انتصر وتفوق على كل حذر !

دخله أحد العلماء بحماره . . فلم يعرف طريق العودة إلا بصعوبة بالغة .

اكتشف فيه ٦٤ قبرا فقط اكبرها قبر سبتى الأول الذى يمتد في أعماق الأرض ١٨٠ قدما وطوله ٤٧٠ قدما .

فشلت السرية في الحفاظ على قبور الملوك ، وفشلت العلانية أيضا نتيجة ضعف العرش واستهانة اللصوص من الحراس والموظفين المرتشين ، بالملوك الاحياء . . والموتى .
وهكذا نهبت القبور أو أغلبها .

* * *

بعد أن زار عالم الآثار الالماني كابرل ريتشارد ليسيبوس وادى الملوك عام ١٨٤٢ قال :

- هذا المكان خال من المومياوات والآثار .
ولكن اميليا ادواردز الكاتبة البريطانية ، وأول سيدة درست علم الآثار ، قالت :
- هذا المنجم لا يخلو ابدا .

* * *

وبقى قبر توت عنخ آمون !

الكشف

وجد سكياباريللى أمين متحف تورينو الايطالى باب مقبرة ذات مقبض برونزى يلمع بعد أن أزيل من فوقه التراب ، فوضع يده فى جيبيه ثم أخرجها خاوية يردد لمعاونه :

- أسف .. لقد نسيت المفتاح .

فان الاثرى ظن أن المقبض اللامع يدل على باب جديد بنى حديثا .
وهذا مثال يدل على روعة الآثار المصرية .

قال هيرودوت :

- المصريون أول شعب حفظ تاريخه ، وهم المؤرخون الأوائل فى العالم لأن ماضيهم يتمثل أمام عيونهم فى الآثار الكثيرة .

وفى السنة الأولى لمجىء كارتير إلى مصر ، عندما جاء إليها وعمره ١٧ سنة ، قال له أستاذة العالم الاثرى بيترى :

مصر كلها متحف . الحرارة جعلت الجونقيا جافا بلا رطوبة وعزلت مناخ البلاد عن المناطق المجاورة وحفظت الألوان والرسومات على الجدران كأنها رسمت بالأمس ، أوللتواللحظة .

وعرف كارتير وهو يعمل مع أستاذه فى تل العمارنة عاصمة أخناتون الكثير عن توت عنخ آمون .

لقد توج فى تل العمارنة ، ولكنه نقل عاصمة الملك إلى طيبة -

الأقصر - أوبعبارة أدق أعاد العاصمة إلى الأقصر ، كما كانت قبل
أخناتون .

ولكن لم يجد بيتري في تل العمارنة قصرا ، ولا قبرا لتوت عنخ
أمون ، مما يرجح أنه دفن في وادي الملوك .

* * *

وهناك فراعنة كثيرون أرادوا إعادة كتابة التاريخ بإزالة أسماء من
سبقوهم مثل حتشبسوت وهي أيضا من الأسرة الثامنة عشرة التى يتنمى
إليها توت عنخ أمون .

ويوجد نظير لهذه الظاهرة فى دول أخرى .

فى الصين بعد ١٥٠٠ سنة من وفاة حتشبسوت أمر الامبراطور بحرق
الكتب على نطاق واسع .

وفى انجلترا رأى كرومويل ان كل السجلات القديمة يجب أن تحرق
ليبدأ التاريخ .. جديدا

* * *

وكتبت كريستيان دى روشنويل كور أمينة القسم المصرى فى
متحف اللوفر أن هذا الملك تعرض لحملة منظمة من قبل قائده
وخليفته فى الملك ، حور محب ، لطمس إسمه وإزالته .

ولكن آثارا كثيرة للملك توت عنخ أمون أفلتت من مطارق حور
محب فان المصريين عرفوا أشياء كثيرة عن هذا الملك منذ مجيء نابليون
إلى مصر .

ودلت بعض الآثار عليه :

* حجر من معبد عليه شعاره الملكى وجد فى الأقصر .

* كتل من الحجارة عليها شعاره ، وأعيد إستعمالها للبناء في الأقصر
أيضاً

* * *

إكتشف ٦٤ قبراً في وادي الملوك من الأسرة الثامنة عشرة أكبرها قبر
سيتى الأول الذى يمتد ١٨٠ قدماً تحت الأرض وطوله ٤٧٠ قدماً .
وبقيت ٣ قبور من ملوك هذه الأسرة لم تكتشف ، وهى قبر أخناتون
الذى مات فى تل العمارنه وقيل أن جثته قد مزقت ، وحوار محب الذى
دفن فى ممفيس - ميت رهينة - وأخيراً توت عنخ آمون .
وكان كارتير يرى ان هذا القبر لم ينبش ، ولم ينهب ؛ ولا توجد فى
أية سجلات ما يدل على ذلك .

ورأى كارتير أن أقطاراً غزيرة نزلت على منطقة القبر فغيرت معالمه
وسدت مدخله فتعذر على اللصوص الاهتداء إليه .

* * *

درس كارتير نتائج جمع الحفائر التى تمت من عام ١٨٧٥ .
ورأى أن اللصوص سرقوا بعض التحف النادرة من مقبرة الملك توت
عنخ آمون ولكنهم لم يسرقوا كل ما فى المقبرة ولم يصلوا إلى مومياء
الملك .

وجد جورج ليجران وهو عالم آثار فرنسى وكان كبيراً لمفتشى
المصلحة بالأقصر « نب خبرورع » - وهو الاسم الملكى لتوت عنخ
آمون - على نصب تذكارى فى معبد الكرنك عام ١٩٠٥ ، ونشر ذلك
بعد عامين .

واكتشف تمثال له وهو جالس بالحجم الطبيعي نحت من حجر قاتم اللون لا يبعث منظره على السرور .
وعثر على بقايا أو شظايا في الكرنك طمست بعض نقوشها تصور القارب الشمسي الخاص للملك .
واكتشفت إشارات إليه في قبر أحد موظفيه تقول بأن قبائل معينة في سوريا والسودان خضعت له ودفعت الجزية .



هنا تلعب المصادفات أخطر أدوارها ويتحقق كشف أثرى هام لا في الأقصر وإنما في نيويورك !

حدث عام ١٩٠٨ ان زار هربرت وينلوك الأمين المساعد للقسم المصرى لمتحف المتروبوليتان الذى يرأس بعثه المتحف للتنقيب في الأقصر ، مقر المليونير الأمريكى دافيز ، ورأى أباريق وأقداحا وقطعا فخارية وقطعا من القماش ملقاه بلا عناية عثر عليها دافيز في حفرياته في وادى الملوك .

سأل وينلوك . . المليونير عن هذه الآثار فقال انه عثر عليها عام ١٩٠٧ في غرفة صغيرة على مسافة ٧ أمتار تحت الأرض في وادى الملوك تبعد ٤٥ مترا تقريبا من قبر رمسيس السادس . ويعتقد انها كل مخلفات قبر توت عنخ أمون ، وأن القبر نهب ، وان حراس القبور القدامى دفنوا هذه المخلفات ، من جديد ، في هذا القبر أى تلك الحفرة ! .

وقال دافيز أيضا انه يعتقد أن هذه الغرفة هى التى بقيت من قبر توت عنخ أمون ونشر كتابا بذلك إشتراك معه في تأليفه ثلاثة من الأثريين تحفظ

أحدهم وقال ، أنه يحتمل ، أو يقال ، أو يظن أنه قبر الملك توت عنخ آمون .

طلب وينلوك من دافيز هذه القطع لمتحف المتروبوليتان في نيويورك فوافق ، وظلت هذه الآثار حبيسة ، مهملة في القسم المصرى بالمتحف في نيويورك لم يطلع عليها أحد ١١ سنة كاملة .

ودون مقدمات أو أسباب وقعت صدفة جديدة في تاريخ البحث عن قبر توت عنخ آمون .

تذكر وينلوك هذه القطع فأخذ في دراستها .

فحص وينلوك الأواني الفخارية العشر البيضاء ليجد انها مليئة بالأقمشة يحمل بعضها اسم توت عنخ آمون وكذلك أكياس القش ، وأكياس النطرون ، وقناع شبيه لانسان من الجص والقماش ، وكثير من أنواع الأنية المختلفة ، التى كان بعضها مكسورا بطريقة متعمدة ، وعظام طيور وحيوانات ، وبعض أكاليل الزهور ، ومكنستان . وقارورة نبيذ مغلقة ومختومة بخاتم المقابر الملكية وعليها اسم توت عنخ آمون . قام وينلوك بتجميع الرقائق الذهبية فشهد ملامح لتوت عنخ آمون وهو يمارس هواية الصيد فوق محفة . وحملت رقائق ذهبية أخرى أسماء توت عنخ آمون و« عنخسن آمون » و« آى » .

وصورته صفائح أخرى وهو يجهز على سجين مقيد بالأغلال ويجواره الملكة .

وكتبت على صورة الملكة عبارة بالكتابة الهيروغليفية تقول « كل وسائل حمايته فى الحياة توفرت له تماما كالشمس » .

أدرك وينلوك أهمية هذه القطع وأن بعضا منها يشكل المواد التى

استخدمت في تحنيط مومياء توت عنخ أمون ، وشكلت الآثار بقايا
مأدبة ، حضرها نحو ثمانية أشخاص أقيمت وقت جنازة توت عنخ
أمون ، وفقا للعرف السائد .

وكشف الطين الجاف شكلا من المرمر غير المنقوش ، وعن
صندوق خشبي مكسور .

وتوصل وينلوك إلى أن بعض هذه القطع خاصة بالاحتفالات
التقليدية لتحنيط تمثال الملك وأن بعضها الآخر أدوات طعام في الحفل
الجنازى الذى أقيم في نهاية عملية التحنيط داخل المقبرة قبل إغلاقها على
مومياء الملك لآخر مرة !

وصار واضحا لوينلوك أن هذه الأشياء سرقت في وقت قديم من مقبرة
توت عنخ أمون الحقيقية وتم إخفاؤها في تلك الغرفة التى عثر عليها
دافيز .

وأيضا وينلوك ان هذا هو مفتاح التهاني لحل اللغز الملكى وأن توت
عنخ أمون دفن في وادى الملوك .

قال كارتر: «بدأ اليأس يتسلل إلى نفوسنا شيئا فشيئا. وكنت
مستعدا لمغادرة وادى الملوك وتجربة حظنا في مكان آخر».
. . ولكن في هذا الوقت بالذات يبرق وينلوك برأيه إلى كارتر .
وكانت هذه أكبر رسالة تشجيع تلقاها كارتر .

عبر كارتر بحر المانش إلى فرنسا . واستقل السفينة إلى ميناء
الاسكندرية ودفع مقابل هذه الرحلة ١٤ جنيه بالدرجة الثانية .

وكان السفر بالدرجة الأولى من ليفربول إلى الاسكندرية يتكلف ٦٠ جنيها .

ووصل كارتر إلى الأقصر يوم ٢٨ من أكتوبر قبل موسم السياحة بشهرين ، وهى المهلة الزمنية التى أتاحت له للحفر فى المنطقة الوحيدة التى لم يحفر فيها من قبل وامتنع عن التنقيب فيها مرتين : الأولى عندما كان يعمل مع المليونير الأمريكى دافيز والثانية فى السنة الأولى لعمله مع اللورد كارنارفون .

* * *

عاش كارتر فى مصر ، ٣٢ عاما أعزب لا يؤنس وحدته أحد فى العشة التى بناها فى وادى الملوك وأطلق عليها اسم « قلعة كارتر » .
وقبل أن يسافر إلى لندن قال للجميع أنه لن يعود إلى مصر وحده بل سيعود ومعه رفيق .
واعتقد الجميع أنه سيتزوج . ولكن عندما رست به السفينة الفرنسية فى ميناء الاسكندرية كان معه عصفور « كنارى » ذهبى فى قفص ! .
تفاءل خادمه بغناء العصفور وقال :
- سنجد قبرا مليئا بالذهب .

واستأجر كارتر فريقا من العمال للتنقيب قبل تدفق السياح .

* * *

كان أمام كارتر مثل أعلى هو المليونير الالمانى العصامى هاينريش شليمان الذى إكتشف مدينة طرواده القديمة - حصارليك الان - فى الاناضول (تركيا) وتبعد ستة كيلومترات ونصف كيلومتر شرقى مدخل الدردنيل .

أبوه قسيس فقير .
 وهانريش عمل مساعدا لبقال وعمره ١٤ سنة . وقرر الهجرة إلى
 أمريكا فغرت سفينة ولكنه نجا واستقر على الشاطئ الهولندي .
 وفي هولندا وجد عملا .
 وخلال فترة قصيرة تعلم معظم اللغات الأوربية وأضاف إليها اليونانية
 القديمة والحديثة . وأصبح ناجحا كرجل أعمال . سافر إلى روسيا ،
 ثم إلى كاليفورنيا ، وحصل على الجنسية الأمريكية .
 وعندما أصبح في السادسة والأربعين قرر أن يهب حياته وثروته لعلم
 الآثار فذهب إلى اليونان عام ١٨٧٠ بعد أن قرأ اشعار هوميرو ، أو
 هوميروس ، للبحث عن مدينة طروادة التي وردت في أشعاره .
 وظل سليمان يبحث عن طروادة خلال عامين فلم يجد شيئا .
 وعاود البحث في فترات متقطعة ، ثم بتركيز بالغ خلال السنوات من
 ١٨٧٦ حتى ١٨٧٨ للعثور على مدينة طروادة التي قاد اجاممنون الحملة
 الاغريقية ضدها في القرن الثاني عشر قبل الميلاد .
 لم يجد سليمان شيئا حتى اليوم قبل الأخير .
 في هذا اليوم رأى قطعة كبيرة من النحاس ولكنه لمح بريقا يلمع
 تحتها فأخذ وزوجته يحفران بأيديهما ليجدا ٣٥٣, ١٦ قطعة من الذهب
 والسلاسل والتيجان والاساور وأوراقا من الفضة وأشياء كثيرة عجيبة .
 وهكذا أصبحت قصة هذا الهاوي الموهوب حافزا لكل الأثريين
 ومنهم كارتر وكارنارفون .
 وفي أول نوفمبر إتخذ كارتر قرارا مفاجئا . . ان يعود إلى التنقيب في
 نفس المنطقة التي توقف عندها في عام ١٩١٧ عند مدخل قبر رمسيس

السادس . . ليجد أكواخ العمال الذين إشتراكوا في بناء ذلك القبر . .
وكان قد شاهدها قبل ٥ سنوات تبعد ١٢٠ ياردة عن الحفرة التى وجد فيها
دافيز بعض آثار عنخ أمون .

وربما تكون أكواخ العمال التى اقيمت فوق قبر رمسيس السادس
جعلت الكثيرين يمتنعون بدعوى ان هؤلاء العمال لابد قد بحثوا تحت
هذه الأكواخ قبل إقامتها ، ولم يجدوا شيئا . . وأنه من المستحيل ان
يكون موظفو مدينة الموتى قد سمحوا بإقامة أكواخ للعمال فوق قبر فرعون
مصر !



بعد ٣ أيام - يوم ٤ من نوفمبر وصل كارتر ، على ظهر حماره إلى
منطقة الحفر ليجد العمال صامتين على غير عادتهم . أسرع إليه رئيس
العمال صائحا .
- وجدنا درجة ، أى سلمة منحوتة ، وسط الصخور .

ومعنى ذلك ان هناك أملا فى أن تقود هذه الدرجة إلى سلالمة
أخرى . . . أى إلى قبر . .

وفى ظل هذا الأمل إستمرت عملية الحفر بجنون .
فى الصباح التالى - ٥ من نوفمبر - اكتشفت ٤ درجات أخرى فزاد
الأمل فى وجود قبر من الأسرة ١٨ تحت الصخور . . فهذه طريقة الدفن
فى عصر تلك الأسرة .

وإستمر الحفر . . ليزداد ظهور السلالمة .

وفى المساء أصبح عدد السلالمة ١٦ درجة .

شاهد كارتر حطام ممر يحدد المدخل فقام بتطهيره .

لمح الجزء العلوى لباب من الحجارة عليه خاتم هيروغليفى بحجم اليد هو خاتم مدينة الموتى فى وادى الملوك .

إيقن كارتر أنه وجد قبرا لم يسرق . فعاد إلى مدينة الأقصر ليبرق يوم ٦ من نوفمبر إلى اللورد قاتلا : « أخيرا . إكتشاف رائع فى الوادى . مقبرة بأختام سليمة . كل شيء مغلق إنتظارا لوصولك . تهانينا » . ولو أن كارتر واصل الحفر لوجد ختم توت عنخ أمون واسمه الملكى « نب خبرورع » . . ولكنه إهتم بتوسيع المكان لرؤية أجزاء السلالم . ونزل ٣ درجات أخرى فوجد حائطا من الأسمنت وعليه الخاتم الملكى لتوت عنخ أمون .

إتصل اللورد تليفونيا بعالم الآثار السير الان جاردنر الذى كان يتناول الغداء مع زوجته فى لندن وقال له بصوت متهدج .

- تلقيت برقية من كارتر

وتلا اللورد نص البرقية وقال لجاردنر :

- هل تسافر معى إلى مصر لابد أن هناك نقوشا هيروغليفيه تحتاج للدراسة .

قال جاردنر :

- أتمنى ذلك . ولكنى أريد قضاء عيد الميلاد مع أولادى . سأسافر إلى الأقصر فى أوائل العام الجديد .

أبرق اللورد إلى كارتر بعد يومين بأنه سيعود إلى مصر فوراً مع ابنته . ولو أن ذلك حدث هذه الأيام لكان اللورد قد وصل إلى مصر بالطائرة خلال ساعات . ولكن الرحلة كانت تستغرق أسبوعا على الأقل عام

١٩٢٢ فأن المسافر يستقل السفينة من إنجلترا إلى فرنسا عبر بحر المانش .

ويستقل القطار من الساحل الفرنسى الغربى إلى مدينة مارسيليا . ثم الباخرة مرة أخرى إلى الاسكندرية ، ومنها إلى الأقصر بالقطار ! وخلال الأيام التالية منذ بداية إكتشاف المقبرة فى ٤ من نوفمبر حتى جاء اللورد عاش كارتر فى قلقى .

- هل ستكرر تجربته مع قبر تحتمس الثالث .
لقد إكتشف ذلك القبر ثم وجده خاليا لأن الملك بدأ فى بنائه ثم عدل عنه .

- هل سيكون هذا مجرد مخزن لبعض حاجيات الملك أو مومياء كما حدث لعشرات من المنقبين .
أم سيجد قبراً من أسرة ملكية .

انه - أى كارتر - جاء إلى مصر لأول مرة عام ١٨٩٠ وبدأ يحفر لحساب اللورد ١٥ عاما بدأت سنة ١٩٠٧ فهل سيجد أخيراً ما يبحث عنه .

وهل ستأتيه ضربة الحظ التى عاش ينتظرها .
بقى كارتر أسبوعين ينتظر حضور اللورد وابنته من لندن يوم ٢٠ من نوفمبر . . ويتنظر مصيره الاثرى !

* * *

صل اللورد كارنافون وابنته الليدى ايفلين - ٢٠ سنة - وحدهما إلى ميناء الاسكندرية أما زوجته فمنعها المرض من الحضور .

في محطة سكة حديد الأقصر كان في إستقبال اللورد وكريمته يوم ٢٣ من نوفمبر مدير قنا .

وإستقل الثلاثة .. الحمير ٦ أميال حتى وصلوا إلى وادى الملوك .

وواصل العمال الحفريوم ٢٦ من نوفمبر لينزلوا ٣٠ قدما أخرى بعد الباب الأول .

ويتدخل « ركس انجلباك » - كبير مفتشى الآثار في الوجه القبلى - ليقول انه تلقى تعليمات من بيير لاکو مدير مصلحة الآثار بأن يحضر دخول المكتشفين إلى المقبرة .

.. ورغم ان الترخيص ينص صراحة على حق الباحث في أن يدخل وحده الا أن « انجلباك » رفض ذلك تماما .

ويستمر الحفر حتى المساء .

وصل العمال إلى الباب الثانى وهو يشبه تماما الباب الأول . ولكن على هذا الباب الجديد .. ختم توت عنخ أمون .

وصف كارتير مشاعره في تلك اللحظة ، فقال :

مدخل مختوم . اذن فالأمر صحيح !

ان سنوات عملنا البؤوب سوف تكلل بالنجاح في النهاية ..

انها لحظة مثيرة بالنسبة للحفار .

وجدت نفسى وحدى - بإستثناء العمال الذين يتتمون إلى بلدى -

بعد سنوات من العمل العقيم على شفا ما يمكن أن يتضح عن يقين انه إكتشاف عظيم .

أى شىء .. أى شىء بالمعنى الحرفى للكلمة .. قد يكون وراء

هذا الممر أو المدخل . تطلب الأمر ان استعين بكل طاقتي للسيطرة على نفسي حتى لا احطم الباب وأفحص هنا وهناك .

بعد ثلاثين قدما أسفل الباب الخارجى ، وصلنا إلى باب ثان مختوم يكاد يكون نسخة من الباب الأول . . .

ببطء . . وبدا لنا انه بطة يائس أخذنا نشاهد إزالة بقايا حطام ممر تسد الجزء الأسفل من المدخل إلى أن وجدنا ، فى النهاية ، الباب كله أمامنا بغير عائق « .

ويجد كارتر من الشواهد ما يدل على ان أجزاء من هذا الباب قد فتحت بعد ١٠ أو ١٥ سنة من وفاة الملك وأعيد إغلاقها مرتين فان وجود خاتم الموتى يقطع بانه وضع بعد إكتشاف السرقة ،

فرح كارتر بذلك لان فيه دليلا يساعده على إقتسام نصف الآثار طبقا للترخيص الذى أصدره ما سبيرو . . أما اذا كان القبر سليما فان كل الآثار تضيع على كارتر .
تصرف كارتر بذلكاء . .

بعث بمذكرة مقتضبة إلى « مفتش الآثار » « ركس انجلباك » يبلغه فيها ان كل شىء أعد لدخول المقبرة فى الصباح التالى .

ولم يرسل المذكرة إلى مقر إقامة المفتش انجلباك . . بل أرسلها إلى مصلحة الآثار مساء حيث لا يوجد أحد .

* * *

انصرف العمال مساء ٢٦ من نوفمبر عام ١٩٢٢ بعد أن وجدوا الباب الثاني الذى يدل على أنه المدخل الحقيقى لمقبرة الملك توت .
وبقى كارتر واللورد وابنته وأحد المساعدين وهو كالتدر .
أخذ كارتر عصا من الحديد وأخذ يدق بها على الباب .
قال كارتر فى كتابه :

جاءت اللحظة الحاسمة .

بأيدي مرتعشة صنعت ثقبا صغيرا فى الزاوية العليا على يسار الباب . . . ظلمة وفضاء شامل فى المساحة التى يمكن ان يصل إليها قضيب حديدى نستخدمه فى تحسس المكان . . هذه الظلمة والفضاء كشفا انه بصرف النظر عما يوجد خلفهما . . فهو فراغ وليس مملوءا مثل الممر الذى فرغنا من تنظيفه .

لم تكن الكهرباء قد وصلت إلى المنطقة فأمسكت شمعة أشعلتها .
تم تطبيق اختبارات كأجراء احتياطى ضد احتمال وجود غازات سامة .

وتم توسيع الثقب قليلا . ودفعت الشمعة . وأطلت برأسى .
فى البداية لم أر شيئا وتسرب هواء ساخن من الحجرة تسبب فى إهتزاز لهب الشمعة .

أما الآن ، وعيناي تتكيفان تدريجيا مع الضوء بدأت تفصيلات الحجرة فى الداخل تتضح ببطء بين الضباب . . حيوانات غريبة ، تماثيل وذهب ،
فى كل مكان رأيت بريق الذهب .

وفي اللحظة الراهنة لابد أن يكون الخلود قد تجلى أمام الآخرين
الذين وقفوا على مقربة من المشهد .
أصابني الدهول بشلل في لساني .
وعندما عجز لورد كارنارفون عن تحمل الاثارة أكثر من ذلك سألتني
في قلق : !

« هل تستطيع ان ترى شيئا ؟ »

عجز لساني الا أن يقول :

- نعم ، أشياء مذهلة .

. . وعلى ضوء الشمعة المضطرب رأيت ما لم يره إنسان على
إمتداد ثلاثة الآف وخمسمائة عام انه أعظم ما اكتشفه رجال الآثار .
كان يوم الأيام . أروع أيام حياتي . ولا أعتقد انى سأراه مرة
أخرى .

* * *

كان القبر على مسافة قريبة جدا من حفرة دافيز وعلى نحو متر واحد
تقريباً من المنطقة التى توقف عندها كارتير قبل خمس سنوات .
لقد تعذب ، وكان النجلاح قريبا منه مرتين .
لقد إنفتح أمامه أخيرا الكنز أو - كما قيل - كهف على بابا .
انه أول من وجد قبرا ملكيا كاملا .

* * *

تسرب نبأ الكشف إلى الصحافة .

نشرت الأهرام صباح ٢٨ من نوفمبر :

« إكتشف اللورد كابرنارفون من أغنياء إنجلترا أثناء بحثه عن الآثار

في صحراء مقام الملوك في الشاطئ الغربي للنيل بالأقصر ، حفرة لملك من فراعنة مصر » .

لم تهتم حكومة مصر بحفرة لفرعون قديم !
نشرت قرينة اللورد مقالاً في صحيفة « ويكلي ديسباتش » التي تصدر في لندن تحدثت فيه عن تضحية كارتر بفنه كرسام للبحث عن القبر .
وروت قصة الكشف فقالت إنها وزوجها إعتادا قضاء فصل الشتاء سنويا في مصر للتنقيب وذلك منذ عام ١٨٩٨ باستثناء فصلين فقط وسنوات الحرب أيضا .

وقالت « لا يستمتع بلذة الحفر الا من كان هاويا للآثار وهو مثل البحث عن ماسة ثمينة تعلم أنها في البيت ولكنك تقلب كل شيء رأسا على عقب ويعد أن تأس تماما . . تجدها أمامك » .
وقالت :

« التنقيب عمل شاق للعمال الذين يحفرون من الفجر حتى الغروب في الصخور والحجارة والرمال . . وهؤلاء الذين عرقوا يسعدهم هذا الكشف » .

ولم تذكر السيدة الميا أن العامل كان يتقاضى ثلاثة قروش يوميا مقابل هذا العرق !

كان اللورد كارنارفون قد طلب إلى الماريشال اللورد اللنبى المندوب السامى البريطانى ايفاد أحد رجال البوليس الحربى البريطانى إلى الأقصر لنقل خيمتين أخذهما اللورد من الجيش البريطانى ليجلس فيهما نهارا، لمراقبة العمال.. أثناء الحفر.

اختير جاويز اسمه ريتشارد ادامسون - ٢٥ سنة - للقيام
بهذه المهمة لابعاد ادامسون عن القاهرة.

وكان الجاويز يتولى حراسة متهم اسمه إبراهيم حسن
مسعود كاتب حسابات اتهم بمحاولة اغتيال توفيق نسيم باشا
رئيس وزراء مصر في ١٢ من يونيو عام ١٩٢٠.

وإستطاع الجاويز ان يستدرج الشاب وأن يعرف منه أسراراً كثيرة
عن الجهاز السرى الذى يغتال البريطانيين والمتعاونين مع الانجليز .
وقد صدر الحكم بإعدام الطالب المتهم فشنق . وخاف الانجليز
أن يتعقب الشباب الوطنى ، الجاويز فأبعد إلى الأقصر فى مهمة
مؤقتة .

وظن ادامسون أنه سيعود إلى القاهرة فى وقت قريب ، ولكن عثر على
المقبرة فطلب منه كارتير البقاء خارجها للحراسة .. طوال الليل .
ظن الجاويز أنه سيقضى أياماً فى الأقصر ثم يعود إلى القاهرة . ولم
يدرك أبداً أن حياته سترتبط بهذه المقبرة ، وأنه سيقم داخلها - وحده
مع الآثار - أحيانا للحراسة . وأنه سيقبى ملازماً لها عشر سنوات
كاملة !

سأله كارتير :

- ماذا تطلب ؟

أجاب :

- طعاماً .. وفونوجراف ، وبعض الاسطوانات من فندق
« ونتربالاس » .

وأرسل له كارتير .. ما تطلب ..

وبدأت تدوى فى الوادى ، لأول مرة منذ آلاف السنين ، الموسيقى

الصاخبة !

التسلل .. خلسة !

في مذكرات كارتير وأحاديثه قال أن المكتشفين الأربعة ظلوا يسلطون الضوء على قطعة أثرية بعد أخرى . فشهدوا على الحائط آثارا تدل على وجود باب مغلق وانهم انسحبوا بعد ذلك وغادروا المنطقة كلها وعادوا إلى الأقصر . . ليكتب رسالة إلى « انجلباك » مفتش آثار الوجه القبلي ليشهد عملية دخول المقبرة طبقا لترخيص التنقيب .
وروى قصة تلك الدقائق السحرية فقال إن الأربعة ظلوا ساعات طويلة خلال الليل يتجادلون حول الباب الجديد وما يمكن ان يكون وراءه ويتساءلون :

- ترى هل وصل اللصوص إلى حجرة الدفن نفسها .
- وقال إنهم لم يتأمنوا إلا قليلا .



كان انجلباك في مهمة بقنا ولذلك تخلف عن الحضور في اليوم التالي ، وجاء بدلا منه موظف صغير في مصلحة الآثار اسمه إبراهيم حبيب أفندي .

ولكن الشكوك ثارت في نفس انجلباك لهذه الخدعة . إذ المقرر أن يحضر ممثل لمصلحة الآثار افتتح أية مقبرة .

أسرع إلى الأقصر بعد أن تلقى رسالة كارتر وهبط إلى منطقة الحفر في وادي الملوك .

وجد فجوة في الباب الخارجى .

أسرع إلى كارتر قائلا :

- هذا خرق للعقد .

حاول كارتر أن يتخلص من المسئولية قائلا :

- لقد أحدثنا فتحة صغيرة فقط لننظر منها إلى الداخل . ولم يتم :

المساس بالاختام في أعلى الباب .

قال انجلباك :

- ولكن أحد الاختام الموجودة على الركن الأسفل نزع وأعيد لأنه لم يتلف .

لم يرد كارتر .

رأى انجلباك أن يكتفى بهذه الملاحظة ولا يفعل شيئا آخر .

ولكنه أبلغ شكوكه إلى ويجين السكرتير بدار المندوب السامى عندما

إلتقيا يوم ٧ من فبراير ١٩٢٣ فى الأقصر .

وسجل ويجين شكوك انجلباك فى مذكرة رسمية تضمنت نص

الحديث وهى محفوظة بمركز الوثائق البريطانية فى منطقة حدائق كيو

بضواحي لندن .

وفسر ويجين عدم قيام انجلباك بإتخاذ عمل حاسم بأنه لم ينظر إلى

الأمر على أنه تم دخول المقبرة والاستيلاء على بعض ما فيها من اثار بل

ظن ان ما جرى هو مجرد استخفاف شخصى به .

وقدر ويجين حقيقة المشكلة بأنها تكمن في نزعة الغيرة الشريرة بين
الاثريين . أى بين كارتر وانجلباك .
وقد تكون هناك غيرة بين الاثريين .
ولكن الحقيقة أن انجلباك كان غيورا أيضا على آثار مصر .

* * *

انه مهندس بريطاني لعبت المصادفة دورا هاما في حضوره إلى
مصر .
جاءها للنقاية مثل كارنارفون عام ١٩٠٩ وعمره ٢١ عاما فعشق
الآثار وقرر الإقامة بمصر ودرس الهيروغليفية والقبطية والعربية .
عمل مساعدا للأستاذ بيرتى في بعض حفائره . وجند في الحرب
العالمية الأولى ثم أرسله اللورد اللنبي إلى سوريا وفلسطين لدراسة المواقع
الأثرية .

وأختير عام ١٩٢٠ مفتشا للآثار في الوجه القبلى .
وفي عام ١٩٣١ أختير أمينا للمتحف المصرى وبقي في هذا المنصب
عشر سنوات حتى إستقال . وقد إستطاع أن يضع سجلا لمائة ألف قطعة
من الآثار يضمها هذا المتحف . وعاش انجلباك حتى سن الثامنة
والخمسين .
وفي تقرير ويجين سكرتير دار المندوب السامى عن انجلباك عام
١٩٢٣ قال ويجين :

« ذهلت لمقدرة انجلباك وحماسه في علم الآثار وهو غيور على
مهنته » .

ولكن الغيرة لم تكن - وحدها - مصدر شكوك انجلباك في كارتر .

وكانت الحقيقة شيئاً آجر غير ما ذكره كارتر ! !

في مذكرات ميرفن هربرت - وهو أخ غير شقيق للورد كارنارفون - قال ان ايفلين ابنة اللورد قالت له انها وأباها ، ليلة الكشف ، دخلا الحجرة الثانية من حجرات المقبرة - حجرة الدفن - وأنهما فتحا ثقباً في جدار المقبرة ، قاما بسده بعد ذلك .

وروت ايفلين « لعمها » أن العمال يعرفون ذلك ولكنهم لن ينطقوا بحرف .

وقالت المذكرات أيضاً ان اللورد كارتر كان عصيباً للغاية يوم إفتتاح غرفة الدفن خوفاً من إكتشاف الثقب . وبدأ اللورد كتلميذ صغير . وروى هذه الحقيقة أيضاً توماس هوفنج بالوثائق والمستندات في كتابه « توت عنخ آمون : القصة التي لم تنشر من قبل » . وتوماس هوفنج عمل بمتحف المتروبوليتان أكثر من ستة عشر عاماً . وكان مديراً له عشر سنوات .

وهو الذي نظم عرض ٥٥ قطعة من آثار الملك توت عنخ آمون في ٦ مدن بالولايات المتحدة عام ١٩٧٧ بمناسبة مرور ٥٥ عاماً على إكتشاف المقبرة .

وقد رغب في معرفة دور متحف المتروبوليتان ومساعداته لكارتر في تصوير ، وترميم ، وحفظ ، ونقل ، الآثار فاطلع على كل أوراق المتحف ومستنداته فاكشف دور المتروبوليتان في شراء آثار الملك الفرعوني التي سرقها اللورد أو كارتر أو الاثنان معا .

ورأى هوفنج أن ينشر قصة السرقة في التقويم - الكاتالوج - الذي

يعدده المتحف للقطع الـ ٥٥ التي جاءت من مصر ليضاعف الدعاية
للمتحف ولأن الحقيقة لابد أن تقال ولأنها مشوقة ومثيرة !
ولكن مجلس الادارة رفض ذلك بالاجماع .

وقد إستقال هوفنج من منصبه . وأسس شركة مع زوجته ثم ألف
كتابه عن توت عنخ آمون وعرضه على اشتون هوكنز نائب رئيس مجلس
ادارة المتحف للشئون القانونية فوافق على النشر فصدر الكتاب في العام
التالى .

وقد أختير هوفنج عام ١٩٨١ - رئيسا لتحرير مجلة « كونيوسير »
الأمريكية الشهيرة .

قابلته في مكتبه بالمجلة فقال لى ان متحف المتروبوليتان يضم أكثر
من ٣٥ ألف قطعة من الآثار المصرية بعضها ، سرق ، وهرب من
مصر .

إنقل هوفنج إلى لندن وقرأ مذكرات هوارد كارتر التى كتبها في ٣
مجلدات بخطه وهى تتضمن قصة هذا الاكتشاف الهام ، والوحيد ، في
حياته .

وتوقف هوفنج عند لفظة واحدة ، أو عبارة واحدة جاءت في
مذكرات كارتر :

قال كارتر « انه عندما فتح باب المقبرة وأطل عليها . . أغلقها ثانية
حتى الصباح التالى حتى لا يدخل المقبرة وحده . . بل ليكون في صحبته
مفتش من مصلحة الآثار .

وقال هوفنج « انه شك في صدق هذه الكلمات لأنه - أى هوفنج -
كان ينقب عن الآثار في جزيرة صقلية عندما وجد ألف قطعة أثرية في بطن.

الأرض فلم يتمالك نفسه وأخذ يزيل التراب بيديه العاريتين ليرى
الأثار .

وفى هذا الكتاب قال توماس هوفنج ان هوارد كارتر كان صادقا فى
شئ واحد وهو أنهم لم يناموا إلا قليلا . . أما فيما عدا ذلك فان ما قاله
كارتر كان أكذوبة ضخمة لأن الثلاثة أمضوا الليلة كلها داخل المقبرة !

* * *

صور هوفنج ما جرى فى تلك الليلة داخل المقبرة على نحو ما
استخلصه من روايات ومستندات كثيرة .

وطبقا لرواية هوفنج فان مجرى الأحداث كان على النحو التالى :

أخذ اللورد كارنارفون يدفع كارتر ويجذبه قائلا :

- دعنى ألقى نظرة .

ولكن كارتر لم يتحرك . . تجمد فى مكانه أمام الثقب .

وأخيرا انتزعه كارنارفون من مكانه كما تنتزع « الفلة من الزجاج »
وأخذ اللورد ينظر إلى الحجرة ويعدده الليدى ايفلين ، وأخيرا بيكى كالندر
الاثرى البريطانى مساعد كارتر .

ان المكتشفين الأربعة لم يصندقوا عيونهم . . وشعروا بالحيرة
لأنهم اخترقوا محرابا أغلق ٣٠٠٠ سنة .
وبدا كارتر يزيد الثقب إتساعا بينما أسرع مساعده كالندر لياتى
بمصابيح كهربائية .

ومن المؤكد أن « كارتر وكارنارفون » لم يصدقا أنهما سيعثران على
كل تلك الاكتشافات داخل الحجرة الصغيرة التى بدت كأنها متحف
كامل إمتلأ بالكنوز .

وربما يكون اللورد هو الذى أقنع كارتر بإزاحة بعض الحجارة ليتسنى لهم الدخول .

وربما تكون ايفلين هى التى ألحت على كارتر . .

ان أحدا لن يعرف هذه الحقيقة أبدا . .

ان اللورد كتب مقالا - لم ينشر - ذكر فيه ان كارتر أوجد فتحة تتسع لدخولهم إلى المقبرة بصعوبة .

دخلت ايفلين أولا لصغر حجمها وتبعها الباقيون .

* * *

ويستطيع الانسان أن يتخيل القصة . .

مئات ومئات الأشياء كل منها يساوى موسما كاملا من الحفر سبعة شهور كاملة .

ان هذا الكشف كان مفاجأة سعيدة بعد سنوات من اليأس والاكتئاب والمواسم العارية منذ عام ١٩٠٧ حتى عام ١٩٢٢ .

ان مساحة الحجرة ١٢ قدما عرضا و٢٦ قدما طولا وإرتفاع السقف ٧ أقدام ونصف قدم .

ان عصورا مرت دون أن تطأ قدم انسان المكان الذى يقفون فيه الآن . . ومع ذلك يبدو الأمر كما لو كان بالأمس فقط .

لقد تحققوا أنهم صنعوا تاريخا ، وأنهم على وشك حل أكبر لغز في علم الآثار وتاريخها كله . . بالاضافة إلى التوتر الذى أصابهم بإعتبار أنهم صائدو كنز . . وكانوا أيضا خائفين أن يضبطوا متلبسين .

بإختصار كانوا فى حيرة . . إنهم علماء . . ويجب أن يكونوا حذرين . . ولكنهم لا يستطيعون مقاومة إغراء جمع هذه التحف .

لقد أحسوا أنهم اقتربوا كثيرا من مشاعر قدامى اللصوص الذين سرقوا مقابر الفراعنة من قبل .

فتنتهم رائحة القبر .. العطور القديمة والزيت .. ورائحة الأخشاب والورود التي إحتفظت بأوراقها .. وأمامهم كل شيء .. التماثيل والمقاعد .. والسلال ، والمصاييح ، والذهب ، والمجوهرات .. والقلادات ، والأواني ، وكل شيء .

دخل كارتر الممر .. ثم إلى حجرة الدفن حيث تابوت الملك . وأخذ الجميع ما أخذوه من القبر وأغلقوه ثانية ، ثم عادوا إلى الأقصر على ظهر الحمير .. صامتين .



وهكذا ينتهى هوفنج إلى نتيجة هامة وهى إن كارنارفون وإبنته وكارتر سرقوا فى تلك الليلة بعض آثار مقبرة توت عنخ آمون . ولكن ما هو الدليل .



إن آثار توت عنخ آمون ظلت تشد انتباه العالم منذ عام ١٩٢٢ حتى اتخذت مصر خطوة هامة بنقل بعض هذه الآثار لتعرض فى الخارج وتراها الشعوب .

وقد عهد إلى توماس هوفنج تنظيم عرض هذه الآثار فى المدن الأمريكية . ومن هنا كان إتصاله بالملك توت .

.. بدأ توماس هوفنج يفتح الصناديق القادمة من مصر ليكتشف صدفة عجيبة .. أو عدة صدف .

وجد بعض آثار توت . . تشبه مجموعة من الآثار المحفوظة
 بمتحف المتروبوليتان . . ولا خلاف بينهما أبدا . .
 أخذ الرجل يشك . . ويقارن . . ويصور .
 وحتى يزيح الشك أخذ يفحص كل الأوراق والمستندات والعقود
 الخاصة بالآثار الموجودة في نيويورك .
 ومع كل ورقة بدأ الشك يتضاعف .
 وجاء هوفنج إلى مصر ورأى الـ ٥٠٠٠ قطعة من آثار توت عنخ آمون
 المحفوظة في المتحف المصري . كما شاهد المقبرة في الأقصر .
 ومن هذه البداية كان البحث والتنقيب الذي أوصله إلى حقيقة هامة
 وهى أن مساعدا لوزير الخارجية الأمريكية في السنوات من ١٩٢٢ حتى
 ١٩٢٤ كان مهتما بأمور المتحف المصري .
 وهذا المساعد هو « ألن دالاس » الذى أصبح بعد ذلك مديرا
 للمخابرات الأمريكية وهو شقيق « جون فوستر دالاس » وزير الخارجية
 الأمريكى الشهير الذى سحب تمويل السد العالى عام ١٩٥٦ .
 وطلب قراءة المجلدات المحفوظة في متحف المتروبوليتان في
 نيويورك وفيها كل الوثائق الخاصة بآثار توت عنخ آمون .
 ولكن قيل له :
 - لا تطالع هذه المجلدات . . إنها خاصة بلعنة الفراعنة . . وقد
 تصيبك !
 ولكنه وجد ان المجلدات تضم المراسلات ، والصور ،
 والأكاذيب ، التى أحاطت بعملية شراء متحف المتروبوليتان لآثار توت
 عنخ آمون .

* * *

وهناك أدله أخرى على أن كارتر دخل المقبرة. ليلا :

الدليل الثاني يوجد في ٣ مقالات نشرت في المجلة العلمية لمصلحة الآثار المصرية ابتداء من عام ١٩٤٢ بواسطة الفريد لوкас وهو بريطاني جاء به المرض أيضا إلى مصر مثل اللورد كارنارفون فإن مصادفات كثيرة كانت وراء إكتشاف قبر توت عنخ امون وترميم اثاره !

... ظل الفريد لوкас ٨ سنوات يعمل مساعد كيميائي في معامل لندن الحكومية حتى أصيبت رئته فنصحته الأطباء بالسفر إلى القاهرة ليكون كيميائيا بمصلحة الآثار ومديرا لمعامل مصلحة المساحة .

كتب ونشر ٦٥ بحثا عن الآثار المصرية .

وكان لوкас قد حصل على أجازة مدتها ثلاثة شهور قبل الاحالة إلى المعاش فتفرغ للعمل مع كارتر في ٢٠ من ديسمبر عام ١٩٢٢ ، بعد شهر من إكتشاف المقبرة . وظل ١٠ سنوات يقوم بالعبء الأكبر في ترميم الآثار والمساعدة في نقلها سليمة من وادى الملوك إلى المتحف بالقاهرة .

وقد مات لوкас في سن الثامنة والسبعين .

ولكن لوukas كتب ٣ مقالات في مجلة مصلحة الآثار المصرية يرد بها على مذكرات كارتر ومجلداته .. بعد وفاة كارتر .

قال لوukas :

إن كارتر كتب يقول ان لصصوص مقابر الفراعنة تسللوا إلى المقبرة .. وهناك سر غامض يحيط بهذه العملية .

عندما دخلت الحجرة لأول مرة يوم ٢٠ من ديسمبر ١٩٢٢ لاحظت طريقة إخفاء الثقب الذى قيل ان اللصوص تسللوا منه .. ان اللورد

كارنارفون وإبنته ايفلين وكارتر دخلوا هذه الحجرة . . يقينا قبل إفتتاحها الرسمي الذى تم بعد ٣ أيام . . أى فى ٢٩ من نوفمبر .

ان الثقب فى حجرة الدفن ليس مشابها للثقب فى الباب الأول . . ولا يوجد ما يقطع بأن موظفى المقابر الرسميين فى عهد الفراعنة هم الذين أعادوا إغلاق الثقب بعد أن إكتشفوا وصول اللصوص إليه .

وقد أشرت إلى ذلك فى حديث مع كارتر بعد إنضمامى للبعثة فاعترف لى أنه فتح حجرة الدفن « .

وفى عدد آخر من المجلة كتب لوكاس يقول انه « رأى صندوق العطور فى بيت كارتر قبل إفتتاح حجرة الدفن . . وقد أعاده كارتر إلى حجرة الدفن بعد إفتتاحها رسميا وسجل بين اثارها « .

ويقول هوفنج ان السبب فى عدم إهتمام أحد بالمجلة العلمية لمصلحة الآثار المصرية يرجع إلى عدم رغبة العلماء فى هدم سمعة هوارد كارتر ولأن المجلة مجهولة لا يدرسها إلا أساتذة الآثار المصرية . . أو ربما لم يصدق العلماء أن مثل هذا العمل يحدث عام ١٩٢٢ ويعترف به أحد المشاركين فيه بعد ربع قرن كامل .

وفى المجلد الأول لكارتر عن قبر توت عنخ امون . . يقول « إن المجموعة - أى كارتر واللورد وإبنته والمساعد كالندر - توجهوا إلى القبر فى ساعة مبكرة من صبح ٢٧ من نوفمبر أيضا .

وعندما جاء موظف مصلحة الآثار - إبراهيم أفندى حبيب - كانت آثار إفتحام المجموعة للمقبرة قد أخفيت أو أزيلت تماما .

والدليل الثالث مقال كتبه اللورد كارنارفون لصحيفة « صان » - الشمس - البريطانية ولم ينشر ، وجده هوفنج فى أوراق اللورد .

في هذا المقال يروى اللورد دخول أو إقتحام الحجرة وما رآه فيها .

وهناك دليل رابع :

رسالة كتبها الليدى ايفلين - ابنة اللورد كارنارفون - إلى كارتر يوم

٢٧ من ديسمبر ١٩٢٢ أى بعد ٣١ يوما من دخول المقبرة .

في هذه الرسالة المحفوظة قالت الليدى الشابه - التى فتن

بكارتر - كلمات إعجاب ضخمة وقالت إنه عندما يعاود المرض أباهما

تعيد له قصة دخول المقبرة ليلا : وكيف سمح لها كارتر بذلك ، وأن

هذا هو الحادث الوحيد الذى لا يمكن أن ينسياه أبدا . .

ومن سطور الرسالة يتضح غرام الشابه المؤقت بالاثري القديم . .

وكانت ايفلين في العشرين . . وكارتر في التاسعة والأربعين .

وهناك دليل خامس على دخول الأربعة المقبرة ليلا .

سافر اللورد كارنارفون - في ديسمبر - إلى لندن بحد إعلان

الاكتشاف فاستقبل كالفاتحين لانه بعد ١٦ سنة من البحث إستطاع

الوصول إلى قبر سليم لأحد فراعنة مصر .

وبعد يومين من وصول اللورد إلى لندن إستقبله ملك بريطانيا جورج

الخامس في قصر باكنجهام .

وبعد المقابلة صرح المتحدث الرسمى باسم القصران « اللورد ابلغ

صاحب الجلالة أنه سيكتشف جثمان الملك بعد فتح التابوت » .

ولم تكن حجرة الدفن التى يوجد بها التابوت قد فتحت بعد . مما

يثبت ان اللورد دخل الحجرة الأولى . . وحجرة الدفن الملكية أيضا !

. . بل ان اللورد صرح للصحافة البريطانية بأن مومياء الملك ستبقى في

مكانها داخل المقبرة ! ! ! * * *

كان عبد الخالق ثروت يرأس الوزارة . ويتولى حسين واصف باشا منصب وزير الأشغال .
وكان ثروت باشا مهتما بإصدار الدستور . أما الملك أحمد فؤاد فيجد أن هذا الدستور يحد من سلطاته .
ومن هنا بدأ الملك يضيق بثروت باشا « ويختلق » الفرص للتخلص منه .
نقلت إلى صاحب الجلالة إشاعة تقول إن رئيس وزراء مصر على إتصال بخديو مصر السابق عباس حلمي الثاني الذي خلعه الانجليز عن العرش عام ١٩١٤ . ولا يزال هذا الخديو يرى أنه أحق بالعرش وأولى .
وأخذت الصحف تنشر الاشاعة ليعلم رئيس الوزراء أن الملك غاضب منه .
ولم يجد عبد الخالق ثروت بدا من الاستقالة فقدمها يوم ٢٩ من نوفمبر ١٩٢٢ . وهو اليوم الذي إختاره اللورد كارنارفون موعدا لافتتاح المقبرة .
ولذلك لم توجه الدعوة لرئيس وزراء مصر أو وزير الأشغال حسين واصف باشا الذي شغل المنصب عشرة شهور فقط لاستقالتهما .
ووجهت الدعوة للورد اللنبي المندوب السامي البريطاني في مصر فيعتذر عن عدم الحضور دون أن يذكر السبب وهو أن أية أزمة وزارية تلزم المندوب السامي البريطاني البقاء في القاهرة ليتابع الأحداث ويكون له رأى في تشكيل الوزارة الجديدة .
وتحضر قرينة اللورد اللنبي وحدها حفل الافتتاح مع عدد محدود من

الشخصيات المحلية بينهم عبد العزيز فهمى مدير - محافظ - قنا ،
وكين بويد مدير الادارة الأفرنجية بوزارة الداخلية ومحمد بك فهمى مأمور
مركز الأقصر الذى عين قوة لحراسة المكان .

* * *

لم تبلغ مصلحة الآثار بموعد الافتتاح .
ولم توجه الدعوة إلى بيرلاكو مدير مصلحة الآثار ، و بول توتنهام
مستشار وزارة الأشغال للشئون الثقافية والأثرية . . يوم الافتتاح بل فى
اليوم التالى ٣٠ من نوفمبر .

وربما يكون السبب فى عدم توجيه الدعوة للاكو وزميله إهمالا .
وربما يكون السبب ان كارنارفون وكارتر يعتبران المقبرة . . مقبرتهما ،
لأنهما ، صاحبا الكشف وهما اللذان مولا العملية . . ووصلا إلى هذه
النتيجة بجهدهما . . وحدهما .

وتجاهل الرجلان صحافة مصر كلها . . وصحافة الدنيا كلها ووجها
الدعوة لصحفى واحد فقط لحضور حفل الافتتاح ودخول المقبرة . .
وهذا الصحفى هو آرثر ميرتون مراسل صحيفة « التايمس » البريطانية فى
مصر وصديق كارتر .

ونشرت « التايمس » ، وحدها دون صحف العالم ، نبأ إكتشاف
مقبرة توت عنخ آمون .

وقالت إنها أحرزت هذا السبق الصحفى « بعداء جرى من وادى
الملوك إلى مقر مكتب التلغراف التابع لشركة إيسترن بالأقصر .

وقال ميرتون إنه « أهم إكتشاف مثير فى القرن العشرين » وأعظم
إكتشاف أثرى مصرى « وأن الآثار تقدر بملايين الجنيهات » .

وأذاعت وكالة الاسوشيتدبرس للأنباء على العالم في اليوم نفسه ٢٥٠ كلمة قالت فيها نقلا عن جريدة التايمس البريطانية إن هوارد كارتر إكتشف بعد ٧ سنوات من الحفر والتنقيب في وادي الملوك قبر الملك توت عنخ آمون .

* * *

نشرت صحيفة التايمس البريطانية النبأ في الصفحة رقم ١١ وهى صفحة الاخبار الهامة ، فان التايمس كانت تخصص الصفحة الأولى للاعلانات الصغيرة ، أو ما يسمى في مصر الاعلانات المبوبة ! ولم تنشر « التايمس » الأنباء في الصفحة الأولى إلا ٣٢ مرة في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر في مناسبات قومية مثل انتصار بريطانيا في معركة الطرف الأغر بقيادة نلسون ضد نابليون في ٧ من نوفمبر ١٨٠٥ واثناء الحرب العالمية الأولى وبالذات أيام الآحاد .

وجرت صحف لندن على هذه القاعدة .

ولكن « الديلي تلجراف » نشرت الأنباء في الصفحة الأولى عام ١٩٣٩ و « الجارديان » سنة ١٩٥٢ ، أما « التايمس » فقد نقلت الاخبار الى الصفحة الأولى بدلا من الاعلانات ابتداء من ٣ من مايو عام ١٩٦٦ .

أما صحيفة « نيويورك تايمس » التي نقلت نبأ الكشف عن التايمس البريطانية فانها نشرته في الصفحة الأولى .

* * *

حققت برقية « التايمس » اثارة لم تهدأ أبدا ، ولم تتوقف قط ! وأقامت حاجزا من العداء بين كارنارفون ومصلحة الآثار المصرية

وصحافة العالم ، ولم يستطع المليونير والآثرى هدم هذا الجدار فقد نشرت بعض الصحف المصرية والعالمية ان مصلحة الآثار عرفت نبأ الكشف من الصحف !!

ولم تعرف صحافة مصر تفصيلات الكشف التى انفردت بها التايمس .

نشرت صحيفة « الأهرام » المصرية فى ٣٠ من نوفمبر ١٩٢٢ . انه وجدت فى المقبرة اشياء أثرية عظيمة لا تقدر بمال . . لملك عرف ان اسمه « تهوتان » من ملوك الاسرة الثامنة عشرة أو « توتان خيمن » - يقصد مراسل الصحيفة توت عنخ آمون . ويقال ان قيمة هذه الآثار التاريخية تقدر بثمانية ملايين من الجنيهات تقريبا .

أوفدت الصحف المصرية مندوبيها من القاهرة لمتابعة الكشف فكتبوا يقولون : « لم ندخل المقبرة ! » ونقلت صحافة القاهرة الأنباء من الذين دخلوا المقبرة سواء المدعوون الرسميون او العمال . وقالت إنه تم اكتشاف ملك وملكة وابنهما .

ورددت الصحف مرة اخرى اسم الملك بأنه « توتان خيمن » . وقال مراسل مصرى فى قنا انه يلفت نظر الرأى العام لذلك ويطلب من الحكومة ان تتدب مندوبين لحصر الكنز والاستيلاء عليه لأنه يقدر بملايين عديدة من الجنيهات

وتدفق الصحفيون الاجانب على الاقصر يريدون نصيبهم من اخبار
المقبرة !!

ولكن اللورد كارنارفون منع رجال الصحافة وكبار اعيان الأقصر
وبعض الموظفين من مشاهدة الكنز الأثرى الأعظم ميراث اجدادهم !!
* * *

في اليوم نفسه الذى اعلن فيه الكشف اعدم في اليونان خمسة من
رؤساء الوزارات السابقين واحد الجنرالات بتهمة الخيانة العظمى .
وكان الاتهام الحقيقى الموجه اليهم انهم المسئولون باعمالهم ،
عن انتصار الاتراك على اليونان .

وتدخل الوزير البريطانى المفوض لدى حكومة اليونان لمنع الاعدام
ولكن رفض تدخله فقطعت بريطانيا علاقاتها باليونان .

ونصح القائم بالاعمال الأمريكى حكومة اليونان ولكن احدا لم
يستمع لنصيحته .. وكان القائم بالأعمال الأمريكى شابا اسمه
جيفرسون كافرى الذى أصبح سفيرا للولايات المتحدة فى مصر عندما
قامت ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ .

ولم يستطع الملك جورج ملك اليونان وقف تنفيذ احكام الاعدام
فطلب الرحيل من بلاده ولكنه اسر داخل قصره .

ورغم خطورة هذه الاحداث واهميتها لأوروبا وامريكا فان نبأ
اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون غطى على اخبار اليونان .

وتراجعت انباء عالمية هامة وقعت فى ذلك اليوم مثل مظاهرات
الهند ، والثورة فى ايرلندا ، والصراع داخل الكرملين ، ومعارك العرب
والصهاينة فى فلسطين والحرب الأهلية فى الصين وأزمة وزارة البرتغال ،

وضعف الفرنك الفرنسى. ، وادانة ناشر صحفى امريكى لأنه اعلن عن كتاب لتنظيم النسل . . واعتبار نظرية داروين غير شرعية وغير قانونية فى ولاية فلوريدا .

وكلما تواتل انباء الكشف غطت اخبار المقبرة على احداث عالمية كبرى شهدها العالم فى ذلك العام مثل زحف موسولبنى على روما ، وتشكيل حكومة فاشة ، وعلان مصطفى كمال للجمهورية التركية واستقالة رئيس بولندا ، واغتيال الفيلد مارشال البريطانى السير هنرى ولسون وعلان قيام اتحاد الجمهوريات السوفيتية وقيام جمهورية ايرلندا الحرة واعداد واحد من أشهر سياسيينها وكتابها وهو ارسكين تشيلدرز .

ان الفرعون المصرى الذى رحل قبل ٣٠٠٠ عام جعل مصر تزحف الى الصفحة الاولى من صحف العالم وفرض اسمها على الدنيا التى اصبحت تهتم بمقبرة بمدينة الأقصر بصعيد مصر دفن فيها توت عنخ آمون !!

صاحب الجلالة

ركزت الصحف المصرية - في صفحاتها الاولى - اهتماما بالغاً بالتاريخ المصرى القديم .
ونشرت الصحف العالمية حكايات كثيرة عن مصر القديمة وحضارتها العظيمة المستمرة وأهمية طيبة ، أو الأقصر ، لأن معظم الاثار المصرية الخالدة وجدت في مدينة الموتى أو « وادى الملوك » بينما خلف المصريون القدماء قليلا من أثارهم في منفيس . . « ميت رهينة » .



عرف المصريون الاستقرار السياسى منذ توحدت بلادهم فى عهد مينا عام ٣١٠٠ قبل الميلاد باستثناء فترتى أنتقال .
الاولى أستمرت حوالى ١٢٨ سنة فقد أنقسمت البلاد الى أقاليم تحكم محليا .

وفى بعض هذه السنين وجد ٧٠ ملكا حكموا سبعين يوما !
أما فترة الانتقال الثانية فقد دامت حوالى ٢٤١ عاما . .
وخلال هذه الفترة احتلت مصر بحكام أجانب هم الهكسوس .
وكان الهكسوس قد تغلبوا على جيش مصر باختراعين حربيين جديدين فى ذلك الحين : العجلة ، والسهم المركبة .

وجاءت المملكة المصرية الحديثة في عهد الاسرة الثامنة عشرة التى
ينتمى اليها توت عنخ لآمون .
كان عدد سكان مصر مليونى نسمة .
ومتوسط عمر الفرد ٣٠ سنة .
وعرف الشعب بالنظافة . الفرد وحتى الفقير ، يستحم مرة واحدة
فى اليوم ، ولو بالقاء نفسه سابحا فى النيل والكاهن يستحم ٤ مرات .
وكان الناس يطلقون على مصر « الارض السوداء » إشارة إلى تلك
الرقعة الضيقة المزروعة التى أمتدت على جانبي نهر النيل .
وتميزت مصر ، عن غيرها من البلاد ، بأن المرأة تكاد تتساوى
بالرجل فى المركز الاجتماعى وفى كل الحقوق .
أجرهما متساو .
ولها حق التصرف فى أملاكها بالبيع والشراء واقامة الدعاوى .
وكانت الزوجة تلقب بالأخت احيانا تعبيراً عن المحبة .
وكان ملوك مصر القدامى يتزوجون بناتهم ، والاخ يتزوج أخته ،
للاحتفاظ بنقاء دم الالهة كما يرون ، لأن الملوك جميعا من الالهة .
ولكن الملك لا يتزوج بأمه .
حكمت الاسرة الثامنة عشرة مصر فى القرن الخامس عشر نحو ٢٥٠
سنة .
بدأت عام ١٥٥٥ ق . م .
وأنتهت عام ١٣٠٤ قبل الميلاد .
وكان عدد ملوك هذه الاسرة ١٤ ملكا بدأت بالملك أحمس الذى
طرد الهكسوس ، وحرر مصر من الاحتلال .

ولكن أحسن أستطاع تدريب المصريين على أستعمال السهام المركبة والعجلات الحربية وزود الجيش بوحدات من العجلات الحربية يجيد جنودها أستعمال السهام الجديدة .
وقسم جيش المشاة إلى ٢٥ وحدة تضم كل منها مائتين من الجنود .

وأصبح للجيش قيادتان أحدهما في منفيس والاخرى في طية .
وخلال المائة والخمسين عاما الأولى من حكم هذه الاسرة ،
تحققت أنتصارات عسكرية مدوية وتوسعت الامبراطورية المصرية على يد
ملوك محاربين عظام . . وأستمرت هذه الامبراطورية ٨٤٣ عاما . . أى
بعد الاسرة الثامنة عشرة !
أحسن قاد ٣ حملات في النوبة .

وأمنحتب قام بحملات ضد الليبيين والاسويين .
وتحتمس الاول قاد الجيوش المصرية في النوبة ، وفلسطين ،
وسوريا ، ووصل بها إلى نهر الفرات .
والملكة حتشبسوت أشهر ملكة مصرية في ذلك العصر شهد حكمها
٤ حملات أحداها ضد النوبة .

أما أشهر ملوك تلك الاسرة فهو تحتمس الثالث الذى حكم مصر نحو
٤٦ سنة وحارب الاسويين وأنتصر عليهم ١٧ مرة وأمتد نفوذه إلى ملك
أشور وبابل والحيثيين فى آسيا الصغرى وأخضع هذه الدول له ثم
السودان .

وعين امراء جددا على ممتلكات مصر الجديدة وجاء بابنائهم

وأشقاؤهم الى مصر ليتعلموا فأما أن يحبوا مصر ، أو يصبحوا ، بطريقة غير مباشرة ، رهائن .

وقد سماه المؤرخون المعاصرون بأنه شبيه نابليون لانه أخضع النوبيين في الجنوب والاسيويين في الشمال والشرق ، والليبيين في الغرب ، وبعض جزر البحر المتوسط .. أيضا .

وأقام ملك آخر هو امنمحات الثالث منطقة عازلة من حلفائه تفصل بينه وبين أعداء مصر.

وأصبحت طيبة أشهر مدينة في العالم القديم . ومصر أول امبراطورية .

في عهد هذه الاسرة شاع الرخاء كان الذهب كالتراب من المناجم ، في مصر والنوبة . وكان الملوك يقومون بتخزين الذهب ويستوردونه ايضا ويطلبونه من أعدائهم فدية وجزية ويمدون به حلفاءهم .

ولم يكن معروفا قيمة واردات مصر فمعظمها يصل مصر تقريبا وخوفا .

وكان مظهر الرخاء واضحاً في المعابد الكبيرة ، والتمائيل الضخمة ، التي بنيت في عهد هذه الاسرة .

ولم يتميز عهد هذه الاسرة بالانتصارات العسكرية فحسب .. ففي زمنها تحققت أول حركة للإصلاح الديني ، وأول محاولة للتوحيد في العالم القديم !

تولى امنحتب الرابع الذي عرف باسم أخناتون ملك مصر وحكم ١٧

سنة .

لم يكن حاكما أداريا أو قائدا عسكريا بل كان شاعرا حالما أتهم بأن
به مسا من الجنون تزوج في سنة حكمة الأولى من نفرتيتي .

وكان كل حكام المصريين يؤمنون بتعدد الآلهة، عبدا واحد
فقط، أخناتون ومعناه «المفيد لاتون» أو «سرور آتون».

وكانت لدى أيبة ، من قبل ، مجرد ميول نحو التوحيد ، ولكن
امنحتب الرابع صمم على أن يحقق الثورة الدينية التي بدأها أبوه على نطاق
ضيق جدا . الغى الديانة القديمة (آمون) . واغلق معابد آمون
ومحا أسمه من الآثار .

ويدلا من مجمع الالهة الذي كان قائما ، أمر بعبادة اله واحد
فقط ، هو اتون اله الشمس . لذلك اعتبرت حركة للاصلاح الديني ،
أول حركة للتوحيد ، في العالم
وكان أخناتون يقول :

« الله وحده . يودع الارواح في الاشباح . أنت الخالق . تخلق
ولا تخلق . خالق السموات والأرض » .

ويقول : « ما أعظم اعمالك التي عملتها » . أنها خافية على
الناس

انت الاله الأوحده . لا شريك لك في الملك .

لقد خلقت الدنيا كما شئت !

وأعلن الملك أنه لا يرى أن طيبة ، معقل عبادة آمون ، جديدة بأن
تكون عاصمة ملكه ، بل تكون العاصمة على ضفاف النيل بين طيبة
ومنفيس

وأختار ارضا صحراوية لم تطؤها قدم اشترك في بنائها ١٠٠ ألف فنى ومهندس وعامل فى عامين لتضم ١٠٠ ألف نسمة وتكون مدينة الحب ، والفن ، والجمال وتمثل عالما أسعد .

وأقام المصانع فى هذه المدينة لتقدم أدوات البناء .
قال الخبراء انها أول مبدية مصرية اقيمت بتخطيط دقيق وأن اساس مبانيها القوى الذى اقيم بالحجارة المنحوتة من الصخور لا يزال يحتفظ بمكانته حتى الآن وأنها أشبه بعاصمة البرازيل « برازيليا » التى بنيت فى القرن العشرين .

وأقام الملك قصره الضخم على أرض طولها ٨٠٠ ياردة وعرضها ٢٧٥ ويقع فى نهاية الطريق الملكى الذى يمر بكل المباني الهامة .
وأختير اللون الاصفر - لون الشمس - لطلاء كل حجرات القصر .

.. وانتقل اخناتون فى سنة حكمه الخامسة الى عاصمته الجديدة تل العمارنة .. أو العمارنة الآن .

وقرر الملك تغيير أسمه الى اخناتون ..
أحدثت القرارات .. تغيير الديانة والعاصمة واسم صاحب الجلالة - اضطرابات واسعة ، وهاجم البعض الكهنة فى معابد آمون .
ورفض الجنود أطاعة أوامر ضباطهم .
واتسعت أعمال الشغب وهوجمت النساء فى المعابد ..
لم يسمح الملك لرعاياه بالركوع أمامه .
ولم يؤمن اخناتون بتعدد الزوجات فألغى نظام الحريم .

ولكن نفرتيتى لم تنجب الا ٦ أناث .. ثلاث منهن فى السنوات
الثلاث الاولى للزواج .

وأدرك اخناتون أن ذلك سيحدث تعقيدات فى وراثة العرش ، فتزوج
من محظية أنجبت له ولدين : سمنخ كارع وتوت عنخ أمون .
ولكن قبل ان ينقضى وقت طويل ، كان معظم أنصار اخناتون قد
هجره وتخلوا عنه . بل حتى نفرتيتى تحولت ضده أيضا . وأنهار
الزواج الذى كان كاملا . وتبعها فى موقفها الكاهن الاكبر .

صمد اخناتون
ولكن القضية أصبحت خاسرة ، تحذد مصير الملك وبدأ أنه مقضى
عليه .

بدأت المؤامرات على اخناتون . وكان من بين المتآمرين طبيبه
الخاص . وقيل انه أعطاه دواء مسموما ليموت .
قال علماء الآثار : ربما يكون اخناتون قد ترك وحده فى تل العمارنة
بينما قام ابنه سمنخ كارع بمهمة الوصاية على العرش وحكم باسم
اخناتون - أثناء حياته - فى طيبة .

وكان سمنخ كارع مريضا تزوج فى الرابعة عشرة من أخته غير الشقيقة
مريت أتون ، ابنة نفرتيتى ، وهى فى الثالثة عشرة من عمرها .
وقد اكتشفت مقبرة اخناتون فى التلال المطلة على الوادى . وكانت
تحمل نقوشا تقول :

« كنت أرغب فى أن أدفن فى تلال الى الشرق - لا الى الغرب - كما
كان معتادا .. فان الشرق كان مملكة أتون المشرق » !

* * *

قال المؤرخون ان اخناتون مزق الدولة وجعلها تتدهور . وعند وفاته
تحققت المؤامرات والدسائس التي كان يخشاها .
كان كهنة آمون يريدون أن يولوا كبيرهم ميكانكوس العرش ، ولكن
نفرتيتي وأنصارها هزموهم ووضعت نفرتيتي على العرش الابن الباقي توت
عنخ آمون ، الذي تزوج اخته غير الشقيقة عنخسن آمون (وهى ثالثة
بنات نفرتيتي) .
وكان الملك الصغير فى التاسعة من عمره ، وزوجته فى التاسعة من
عمرها .

* * *

لا يوجد شيء محدد يكشف الستار عن حقيقة توت عنخ آمون ، كل
ما يقال عنه يبدأ دائما بكلمة « ربما » و « من المحتمل » و « يعتقد »
و « يظن » الى آخر الكلمات والتعبيرات التى تثير الشكوك .
كان الملك العاشر من ملوك الاسرة الثامنة عشرة .
جلس على العرش وعمره ٩ سنوات ، وحكم ٩ سنوات من عا.
١٣٣٩ الى ١٣٤٨ قبل الميلاد لذلك أطلق عليه لقب « الملك
الطفل » .

وقيل انه حكم من عام ١٣٥٢ أو ١٣٥١ الى عام ١٣٤٤ أو ١٣٤٣
ظل زواج توت عنخ آمون و « عنخسن آمون » عقيما .
وفى السنوات الأربع الاولى ظلت العاصمة فى تل العمارنة ثم نقلها الى
طيبة .

وأعاد عبادة آمون وتغير اسمه من توت عنخ أتون الى توت عنخ آمون

» ولذلك سمي بعد ذلك بالمتنرد الذى قاد الثورة المضادة ضد عبادة الشمس .

وقد فرح شعب مصر باعادة الديانة القديمة .

وربما يكون قراره هذا من تلقاء نفسه وربما يكون الوصى على العرش « آى » أو الكهنة قد ضغطوا عليه لا عادة العاصمة الى طيبة واعادة ديانة آمون .

وهناك احتمال صراع بين الملك والكهنة الذين نجحوا فى استعادة سلطانهم ونفوذهم . . وسمحوا للملك الصغير بالبقاء على العرش ، ولكن بعد تغيير اسمه الى توت عنخ آمون ، وزوجته الى عنخسن آمون بدلا من عنخسن آتون .

ولكن هذا التحول من ديانة الى اخرى تم بطريقة سليمة . فلم يحاكم توت عنخ آمون اولئك الذين عبدوا ، أو استمروا يعبدون ، آتون - اله الشمس - وعرف عهده بالتسامح الدينى .

واذا كان الوزير « آى » قد محا اسم اخناتون فان توت عنخ آمون لم يشترك فى ذلك . ولهذا يعتبر أكبر انجاز له أنه ترك آثار اخناتون وبذلك كتب عنه المؤرخون وعلماء الآثار أكثر من أى فرعون مصرى آخر .

وعرف المؤرخون أنه فى مصر نشأت أول ديانة للتوحيد فى العالم القديم . . وان هذا الملك اختار عقيدة دينية يقبلها المصريون وغير المصريين . . أى تتجاوز حدود مصر . . ولكن نتيجتها انهيار ممتلكات مصر فيما وراء البحار ، أو ضياع المستعمرات وتبديد الامبراطورية المصرية .

اختلفت الآراء في سياسة الحكم في عهد الملك توت عنخ أمون .
قال البعض انه كان دمية يحركها آخرون ، أقوياء ، مجربون
وضعوه على العرش .
وقالوا انه كان يهتم بصيد الوحوش والاسماك والنعام وأنه جمع حوله
أكبر كمية من الذهب وأضخم مجموعة من التحف والأثاث جمعها
فرعون مصرى .

وبينما قيل انه حاكم ضعيف . قيل ايضا انه شيد معابد في النوبة
وأقام هياكل في الأقصر وكان يصدر في كل يوم قانونا للأرض . وحقق
العدل وبنى سفنا محملة بالذهب تسير في النيل لتلقى عليه الاضواء .
وكان الشعب يرقص فرحا .

ومن الرسوم التى وجدت على جدران مقبرة توت عنخ أمون ، ومن
اللوحات ، والقطع الاثرية التى وجدت فيها نعرف أن توت عنخ أمون قام
بحملة عسكرية في فلسطين ولبنان بقيادة القائد حور محب .

وجيء بالأسرى والرقيق من هذه الحملة لبناء المعابد .

ويحتمل أن الملك نفسه اشترك في الحرب رغم صغر سنه فان
امنمحت الثاني حارب في آسيا وعمره ١٨ سنة .

وفي المقبرة دفنت مع الملك سهام مركبة ربما يكون قد استخدمها في
القتال .

ولعل أهم ما في المقبرة ، اذا تركنا الذهب والفن جانبا ، ٣ قطع -
منها الخنجر - صنعت من الحديد اشارة الى أن مصر في عهده انتقلت من
عصر البرونز الى عصر الحديد .

ودلت الزهور التى وجدت على التابوت ، وهى ازهار العنبر وتفتح

الجن ، وقد احتفظت ببعض الوانها ، على أن توت عنخ آمون مات في مارس أو ابريل وهو موسم ظهور تلك . . الزهور !
ولابد أن الملكة هى التى وضعت زهور الوداع فهى آخر من غادرت المقبرة .
وقد ضمت الجثمان بين زراعيها فلصقت به الاتربة التى عفرت بها الملكة والأرملة ثيابها ثم انشدت :
أنا زوجتك ، أيها العظيم ، فلا تهجرنى .
أيسرك ، أيها الأخ ، أن ابتعد عنك .
وكيف أبتعد عنك وحدى ؟
أقول ، سأصحبك . أنت الذى كنت تحب أن تحادثنى .
وفى الرسوم على كرسى العرش آثار حب عظيم ربط بين الملك والملكة ، نلمسه رغم فاصل الزمن الضخم بيننا وبينه .
هاهى الملكة تضيف اللمسة الاخيرة فى زينة الملك قبل ان يياشر مهامه فى القصر .
وهاهى الملكة - أثناء الصيد - تقدم له سهما وتشير الى بطة سمينة .
وهاهى الملكة تحيط الملك بذراعيها فى قارب اثناء رحلة فى النيل وكأنها تخفف عنه متاعب الدولة والحكم .
وفى اللوحات والآثار التى تركها الملوك فى مقابرهم نجد أن توت عنخ آمون يتميز ويتفوق عليهم فى أن هناك لمسه أنسانية فى آثاره .

* * *

فحص اثنان من الاطباء مومياء توت عنخ آمون فى نوفمبر عام ١٩٢٥

وهما الدكتور صالح حمدى مدير الصحة بالقومسيون البلدى بالاسكندرية
والدكتور ارشيبالد دوجلاس دبرى استاذ علم التشريح بكلية الطب
بالجامعة المصرية بالقاهرة .
قرر الطبيبان عمرو توت عنخ آمون بأنه حوالى ١٨ سنة ، أو بالقطع
أقل من عشرين سنة .

وكان تقديرهما أيضا أن طوله وهو على قيد الحياة كان خمس أقدام
وست بوصات .

وعلى شاكلة اخناتون . . فان توت عنخ آمون له جمجمة عريضة
ولها قاعدة مسطحة اذا نظرنا اليها من جانبها تشبه حبة الفاصوليا .
ووجد هذا الشكل غير الطبيعى لدى المرضى الذين يعانون من مرض
اسمه « باجيت » .

وفي حالات اخرى مرتبطة باللين في عظام الجمجمة .
ومع ذلك فان هذا الشكل الغريب للجمجمة ليس دليلا نهائيا
على مرض في الجهاز العصبى المركزى .

ولاحظ تقرير الطبيين ان جميع أطراف توت عنخ آمون ملفوفة برباط
كل على حدة وان جميع اصابع يديه وقدميه لفت في أربطة كل على حدة .
وتركت العينان مفتوحتين الى حتما ، والرموش طويلة جدا وسليمة
تماما . وتجويف الجمجمة فارغ .

والأنف جزء منها أصبح مسطحا نتيجة ضغط أربطة الرأس -
ووضعت فيه مواد نباتية بالطريقة التى يستخدمها صناع التحنيط بعد
استخراج محتويات المخ عبر العظمة الأنفية كما لاحظ هيرودوت .
ولاحظ الفاحصون فى اخر فقرة من التقرير

« على الخد الأيسر . . وفي مقدمة شحمة الاذن يوجد منخفض
مستدير يملؤه الجلد ويشبه ندبة الجرح » .
وقالوا « ليس ممكنا القول ما هي طبيعة الاذى الذى اصاب صاحب
الجلالة » .

* * *

ان الطبيين لم يحددا طبيعة الجرح أو اسبابه أو علاقته بالوفاة .
قال الدكتور صالح حمدي بك في حديث مع الدكتور محمد حسين
هيكل باشا رئيس تحرير جريدة « السياسة » :

* تحديد السن عرف من اتصال رؤوس العظام .
* التصاق الجثمان بالتابوت المصنوع من الذهب الخالص لم
يسمح باستغلال الاشعة - اى الفحص بالأشعة - كما أن ظهور العظام
بين للعين المجردة كل ما كانت في حاجة لرؤيته والعين المجردة . . أدق
نظرا وأصدق نتيجة .

* حفظت حالة الوجه شكلها أكثر من باقى الجثمان . وهذا يدل
على أن أهل تلك العصور كانوا يضعون صور الوجه على التابوت ، مطابقة
لصورة الميت .

* * *

ومما يذكر أن مدير تحرير جريدة « النيو يورك تايمس » فان
اندا - الذى يعرف الكتابة الهيروغليفية سهر ليلة ٢٩ من نوفمبر عام
١٩٢٢ يشاهد صور آثار المقبرة التى جاءته من القاهرة ليكتشف تزويرا
عمره ٤٠٠٠ سنة !

وجد أن حور محب محا أو أمر أحد رجاله أن يمحو - أسم توقيع الملك توت - ووضع اسمه - أى حور محب - مكانه .

قال « فان اندا » على الفور ان هذا يدل على جريمة قتل . . وأن حور محب لا شك قتل الملك واحتل مكانه ، وذلك ليس غريبا في مصر القديمة .

وضع مدير تحرير الصحيفة استنتاجاته أمام الدكتور فيليب حتى عالم المضريات الذى يقوم بالتدريس فى جامعة برنستون فأيدها . ونشر فان اندا ذلك فى صحيفة النيويورك تايمس

وقال عالم الآثار الفرنسى الدكتور ليجران انه اشتبه فيما فعله حور محب ولكنه لم يصل الى جريمة القتل .

وفى عام ١٩٦٨ جرى فحص مومياء الملك بجهاز أشعة متنقل داخل المقبرة .

التقط الدكتور رونالد هاريسون استاذ التشريح بجامعة ليفربول ومساعد الدكتور كونولى خمسين صورة للمومياء . . حددت - كما يقولون - سر وفاة صاحب الجلالة .

قال الدكتور هاريسون ان الوفاة ليست نتيجة السل ، أو مرض فى خلايا المخ ، أو التهاب الشرايين بل نتيجة حادث أو اغتيال أو صدمة عنيفة بضربة من هراوة أو سقوط من مكان مرتفع أو اصابة فى الجوانب اليسر من الجمجمة . وربما يكون قد سقط من فوق حصان أو وقع على الأرض ، أو ربما يكون القتل سببا للوفاة كما قال فان اندا مدير تحرير نيويورك تايمس .

ومع ذلك يوجد رأى آخر يقول ان الاصابة ربما تكون قد حدثت عقب الوفاة .

وفي تحليل الدم المتجلط فوق الاصابة تبين أنه من فصيلة نادرة وهى نفس فصيلة أختاتون مما يرجح رأى هوارد كارتر - قبل نصف قرن تقريبا - وهو أن الملك توت ابن غير شرعى لاختاتون ، فقد لاحظ كارتر التشابه القوى ، وغير العادى ، بين صورة توت عنخ آمون واختاتون ومعروف ان نفرتيتى لم تنجب لاختاتون سوى ٣ بنات تزوج توت عنخ آمون احدهن

ونظرا لوفاة الملك المفاجئة فقد دُفِنَ في هذا القبر الصغير الذى يبدو أن وزيره « آى » قد أعده لنفسه . . لأن مدة التحنيط وهى سبعون يوما لا تكفى لاعداد القبر المناسب .
وقد جرت التقاليد على تكريم الوزراء وأسرهم بدفنهم فى وادى الملوك .

ولأن الصدف كثيرة فى وفاة ، أو اكتشاف ، قبر توت عنخ آمون فان احدى الصدف ايضا أنه دُفِنَ فى هذا القبر الصغير ليسهل الكشف عنه سليما فان باقى القبور الملكية - الضخمة - نهبت قبل اكتشافها . . سواء فى عصور ما قبل الميلاد ، أو فى العصر الحديث .

* * *

بعد وفاة توت عنخ آمون ارسلت ارملة الى ملك « الحيثيين .
« شوبيلوليوما » - الذى يحكم سوريا ، وصاحب النفوذ الضخم فى
آسا .

قالت رسالة الملكة الارملة :

« مات زوجى وليس لى ابن . ويقولون ان لك ابناء كثيرين . فاذا ارسلت الى ابنا من ابنائك فانه سيصبح زوجا لى .
ولن أقبل بحال من الاحوال ، الزواج من أحد رعاياى لأنى اكره ذلك .

قال العلماء انها لا يمكن ان تطلب زوجا الا اذا كانت هناك صلات بين مصر والحيشين ولا يمكن ان تطلب الزواج من ملك اجنبى الا اذا كانت تخاف حقيقة - على عرشها .

شك ملك الحيشين فى الامر وظنه خدعة فبعث رسولا أيقن من صدق الملكة التى كتبت رسالة ثانية للملك قالت :

« لماذا تقول أنهم يريدون خديعتى .
اذا كان لى ابن فهل اكتب إلى اجنبى واكشف عن مصيبتى ومصيبة بلادى .

انك أهنتنى بقولك هذا . ان زوجى قدمات وليس لى ابن . فهل يتحتم على أن أتزوج من أحد رعاياى .
انى لم أكتب لأحد سواك » .

ارسل ملك الحيشين ابنه ليتزوج الارملة وليمد نفوذه إلى مصر .
ولكن حور محب أمر رجاله فقتلوا الزوج المنتظر !
وتعتبر هذه الرسالة دليلا على أن « عنخسن آمون » لم تكن مجرد زوجة عادية بل انها أرادت أن تكون ملكة تحكم !
وربما يكون الملك « آى » قد تزوج « عنخسن آمون » ليعطى نفسه حقا شرعيا فى حكم مصر ٤ سنوات !

وربما تكون الارملة قد عاشت لتري زوجها الجديد « آى » يحاول
أن يمحو آثار اسلافه ومنهم توت عنخ آمون ولكنه ترك القبر الذى دل
عليه !

وفى رأى كارتر ان أهم ما فى حياة توت عنخ آمون ، أنه مات ، وأنه
دفن ، وأن قبره قد اكتشف .

ولكن ادوارونت استاذ علم المصريات فى المعهد الشرقى بجامعة
شيكاغو قال ان القطع الذهبية ، والثراء غير العادى ، الذى وجد فى قبر
توت عنخ آمون والذى تجمع خلال فترة قصيرة من وفاته المفاجئة جاء من
تبرعات وهبات من شعب مصر لا من القصر الملكى والأسرة المالكة
وحدها .

وقد يكون ذلك تعبيرا عن الأسى لوفاة ملك شاب .

وقد يكون تعبيرا عن العرفان بالجميل من شعب مصر لاعادة عبادة
آمون .

ولم يقل العالم الأمريكى انه ربما يكون السبب ان اكتشاف هذه
المقبرة وحدها كاملة لم تنبش ولم تنهب ولم تسرق لأنها ليست لملك بل
لأنها عطاء وميراث شعب مصر . . !

حكومة فى حكومة !

عجز اللورد كارنارفون عن مواجهة السيل المتدفق من الصحفيين وفى الوقت نفسه أراد الحصول على الدعاية وعلى المال لتعويض ما أنفقه خلال عشر سنوات من البحث والتنقيب . . . وليحصل أيضا على ربح .

فكر اللورد فى فيلم يصور المقبرة يكسب فيه ٢٠ ألفا من الجنيهات ، وعرض الامر على شركتى « باتى و مترو جولدوين » .
قدمت الشركتان للورد سيناريو خصب الخيال ، يقارن بين الماضى والحاضر . ويظهر فيه المصريون المعاصرون الذين يشبهون أسلافهم من عهد الملك توت عنخ أمون !

وفكر اللورد فى إصدار كتاب من أربعة أجزاء يباع الواحد منها بثمن يتراوح بين ثمانية جنيهات ونصف جنيه والطبعة الشعبية بنصف جنيه .
وتكون حقوق النشر للورد وحده .

وفكر أيضا فى عقد مزاد بين الصحف . وتحصل على حق النشر الصحيفة التى تدفع مبلغا أكبر . ولكن خشى اللورد أن يتهم بالاستغلال والتجارة .

ورأى أن جريدة « التايمس » البريطانية أفضل صحيفة بالنسبة له تتولى عنه إذاعة أخبار الكشف وصوره .

قصد اللورد إلى مقر الجمعية الجغرافية الملكية في لندن يسأل عن تفصيلات الاتفاق بين « التايمس » والبعثة التي وصلت إلى قمة جبل « إيفرست » ليجد أن الصحيفة دفعت ١٥٠٠ جنيه لافراد البعثة مقابل ١٥٠ برقية طويلة . وحصلت الصحيفة - وحدها - على حقوق نشر كل الاخبار ..

وفكر كارتر - من ناحيته - في أن يكون الامتياز لصحيفة لاتحجب عنه حقه في نشر مذكرات وكتب ومحاضرات وصور .
* * *

أدرك جوفري دوسون رئيس تحرير صحيفة « التايمس » أهمية الكشف فتوجه ، دون موعد ، إلى عزبة اللورد كارنارفون يعرض عليه يوم ٢٣ من ديسمبر ١٩٢٢ أن تكون الصحيفة وكيلة عن اللورد وممثلة له ونائبة عنه ومحكرة لحق أخبار الكشف وصوره .
وقال دوسون للورد :

- ستعامل في هذه الحالة مع صحفي واحد هو مندوب « التايمس » مما يوفر وقتك ووقت كارتر ومعاونيه فيتفرغون للحفر والتنقيب وترميم الآثار المكتشفة بدلا من الاجابة على الاسئلة نفسها كل يوم لعشرات الصحفيين .

تذكر اللورد قصة زميل له جاء خادمه - أثناء أزمة سياسية - يقول :
- سيدى يوجد ثلاثة من الصحفيين بالبواب ، ورجل مهذب - جتلمان - من صحيفة « التايمس » .

أى أن ممثل التايمس يختلف عن مندوبى الصحف الاخرين .
تذكر اللورد هذه القصة فوعده بدراسة الموضوع .

ولكن « أسماك القرش الصحفية » - على حد تعبير اللورد - تابعته في عزيبته وانهالت عليه المكالمات التليفونية تطلب مزيداً من أخبار الملك توت فقد انطلق السباق الجنونى نحو المقبرة واللورد وكارتر . . وتوت عنخ أمون .

* * *

وجد اللورد كارنارفون فى النهاية أنه لا مفر له من التعاقد مع التايمس فى ١٠ من يناير ١٩٢٣ على إحتكار حق نشر كل سبق صحفى عن مقبرة توت عنخ أمون وتتولى الصحيفة بيع الاخبار والصور لمن تشاء من الصحف ووكالات الانباء وتحصل مقابل ذلك على ٧٥ ٪ من الثمن ويحصل اللورد على - الـ ٢٥ ٪ الباقية .

دفعت « التايمس » للورد - مقابل ذلك - مبلغ ٥٠٠٠ جنيه . وبعد وفاة اللورد فى ٥ من إبريل ١٩٢٣ تعاقدت « التايمس » مع أرملته لاستمرار إحتكار الاخبار مقابل ٢٥٠٠ جنيه أخرى . وتحملت الصحيفة نفقات إيفاد إثنين من المراسلين وأحد المصورين إلى الاقصر وكلفها كل ذلك ٨٦٥٠ جنيه .

وكان إيراد الصحيفة من بيع الاخبار والصحف ٥٩٠٣ جنيهات وتحملت الفرق وقدره ٢٦٥٧ جنيهها ولكنها سبقت غيرها من الصحف بأنباء الكشف الاثرى ٨ سنوات كاملة .

وفى الوقت نفسه باع اللورد لشركات أخرى حق إصدار الكتب ، والصور ، وأفلام السينما . . الخ فان كل شىء خاص بالملك توت عنخ أمون كان يباع !

أن هذا العقد جعل « التايمس » تفوز بأكبر وأهم سبق صحفي عن
الآثار في القرن العشرين !

* * *

كتب اللورد كارنارفون إلى كارتر في يوم الاتفاق مع التايمس يقول :
« أخشى أن تكون قد عانيت من الصحافة وقد حزمت أمرى أن
عرض « التايمس » أفضل شيء فهي أول صحيفة في العالم وتحظى
بقوة ، وتسهيلات ، أكبر من أية صحيفة أخرى » .
وبعث كارتر إلى آرثر ميرتون يطلب منه الانضمام إلى فريق الكشف
ليصبح واحدا من أعضائه يدخل ويخرج من المقبرة وقتما يشاء .
رد ميرتون قائلا :

« أقبل العرض بالانضمام إلى هيئة تحريركم .
وكما تم الاتفاق بيننا ، فاني سأمثلك في وادي الملوك في جميع أمور
النشر المتعلقة بالعمل في مقبرة توت عنخ آمون ، طبقا للاتفاق الذي عقد
بين اللورد كارنارفون والصحيفة » .

ولم يبلغ اللورد مصلحة الآثار باتفاقه مع التايمس إلا بعد إتمام
التعاقد !
إحتجت الصحافة المصرية والعالمية على الاتفاق الذي قصد به
إحتكار « التايمس » لنشر الاكتشاف التاريخي العظيم .

وكان أول من إحتج جيرالد ديليني مراسل وكالة رويتر للأنباء وهو
صاحب نفوذ قوى لصلته بوزراء مصر وبالمندوب السامي أيضا .
طلب ديليني من اللورد اللنبي المعتمد البريطاني في مصر التدخل .
ولكن اللورد كان يعرف مدى قوة « التايمس » واتصالها بالدوائر

الحاكمة في لندن فاعتذر وابلغ اللورد كارنارفون بذلك صراحة !
وتوجه مندوب صحيفة « مورننج بوست » التى تصدر فى القاهرة
باللغة الانجليزية إلى لاكمو مدير مصلحة الاثار يسأله أخبار الكشف .
رفض لاكمو أن يتكلم أو ينطق بحرف مما دعا الصحيفة إلى شن حملة
ضد الاحتكار الصحفى .
وظلت صحافة مصر تطالب لاكمو بان يسمح لها بدخول المقبرة
المصرية . . ورجا لاكمو كارتير أن يتخذ موقفا لينا مع صحافة البلد التى
يتمى اليها الملك . .
قال لاكمو لكارتير .
- خصص يوما واحدا ، مرة واحدة لزوارنا ومعهم الصحفيون
المصريون .

رفض كارتير . . بغطرسة .



قالت صحف مصر إنها حرمت من أن تنقل لقرائها أخبار كنز أجدادهم
العظماء . . فالآثار المصرية ، خلفها فرعون مصرى وموجودة فى أرض
مصرية . . ومع ذلك فان صحافة مصر مضطرة أن تكتفى بالتقاط ما تتكرم
به عليها جريدة غير مصرية وهى « التايمس » الانجليزية .

وأخذت الصحف المصرية تتكلم عن سرقة الاثار المصرية بواسطة
هوارد كارتير وتطالب بحقها فى دخول مقبرة الموت المقدسة . . وتثير
قضية الاستعمار البريطانى بواسطة كارتير والمندوب السامى البريطانى
اللورد اللنبى ، والعجز الفرنسى ، والضعف المصرى رغم أن تصريح
٢٨ فبراير ٢٢ الخاص باستقلال مصر قد صدر . . ولكن مصر ليست

مستقلة بدليل أن صحفيا مصرية واحدا لا يستطيع دخول مقبرة ملك مصر !

ولكن كارتر ظل يرفض أن يلين .

وهبط إلى مصر مراسلو الصحف الاجنبية من أوروبا وأمريكا فوجدوا أنفسهم - كما قالوا - أمام جدران صامته لا تفتح أمام وجوههم ، وأمام رؤوس كأنها فقدت النطق . وليس لديهم سوى بيانات مفككة يتضمنها البلاغ المقتضب الذى تنشره إدارة المطبوعات . وقال الصحفيون لو أن هذه الاثار كانت قد إكتشفت فى بلاد غير مصر لكانت الحكومة قد دعت المراسلين الاجانب على نفقتها لاستجلاء تلك الكنوز للفت نظر العالم إلى الامة التى تملك تلك الاثار .

وقال مراسل وكالة « رويتر » للأنباء أنه لم يجد جوا فاسدا كجوا الاقصر منذ دخوله الصحافة قبل عشرين عاما .

وتلقى مراسلو الصحف فى الاقصر برقيات من صحفيهم بخرق حصار كارنارفون وجماعته مهما كلفهم الامر وأن ييذلوا فى سبيل ذلك ما يريدون . . لأنها معركة تمثل نضال الصحافة فى سبيل حريتها ضد جماعة أرادوا العبث بها .

* * *

بدأت حملة ضخمة فى الصحف المصرية والبريطانية بالذات ضد إحتكار « التايمس » .

حملت الصحف العالمية والمصرية على الحكومة المصرية وإعتبرتها مسئولة عن تخلف صحافة مصر والعالم - عدا « التايمس » - عن نشر أنباء ما فى المقبرة من عجائب !

وعقد الصحفيون الا جانب إجتماعا عاصفا بحجرة مراسل « الديلى إكسبريس » فى فندق ونتر بالاس بالاقصر وقرروا وضع الخطط التى تكفل منع مندوب التايمس من الانفراد وحده بأخبار الكشف .

حضر الاجتماع « مورتون » من « الديلى إكسبريس » « وأرثرويجال » عن « الديلى ميل » « وأوفارل » عن « الديلى تلجراف » « وفالتين وليامز عن وكالة « رويتر » « للأنباء » ، وتابلور عن « سفنكس » وهؤلاء جميعا من الانجليز . .
ومن الأمريكيين برادستريت عن نيويورك تايمس والديرخ من نيويورك تريبيون .

أبرق الصحفيون إلى بيير لاكمدير عام مصلحة الآثار محتجين على حكاك التايمس وقرروا الاتصال باللورد كارنارفون يطلبون تسهيلات لهم . كما إتصلوا بالمندوب السامى البريطانى وهاجموا « علم الآثار التجارى » الذى يحمل لواء كارنارفون وصحيفة التايمس ! .
ولجأ الصحفيون إلى كل الوسائل لعرقلة مراسل تلك الصحيفة .

* * *

كتبت صحيفة « الديلى إكسبريس » البريطانية أن «بحول العلم إلى تجارة يعتبر دعارة» !
. . وكتبت تحت عنوان « شركة توت عنخ أمون ليتمد » .

« بينما نكن تقديرا للأخلاص والاصرار اللذين أسفرا عن ثمار هامة - لأعمال اللورد كارنارفون فبمن الصعوبة قبول الطريقة التى رآها مناسبة لاستغلال إكتشافه » .
إن المقبرة ليست ملكا خاصا له .

انه لم يحفر بحثا عن عظام أجداده في جبال ويلز بل عثر على فرعون
في أرض المصريين .
وعندما أعطى إحتكارا لصحيفة بالذات عن كل أخبار المقبرة فانه
أثار ضده كل الصحف ذات النفوذ في العالم » .

* * *

وصل إلى مصر أرثر ويجال عالم الآثار البريطاني .
قام بعدة حفائر مع كارتر لحساب المليونير الأمريكى دافيز وألف
عدة كتب عن مصر القديمة منها « حياة أخناتون فرعون مصر » و « حياة
كليوباترا » و « أمجاد الفراعنة »

وقد عمل مفتشا للآثار المصرية تسع سنوات ولكنه أرغم على
الاستقالة في ظروف غامضة فقد اتهم بالاشتراك في صفقات أثرية مريبة
وجاء إلى مصر بعد الكشف عن مقبرة توت عنخ آمون ليكتب مقالات
لصحيفة « ديلي ميل » البريطانية .

بعث ويجال بمذكرة إلى أموس المستشار القضائى للحكومة المصرية
قال فيها :

« أن العقد الذى أبرمه كارنارفون مع « التايمس » يشكل خطرا
على علم المصريات ، وسيؤدى حتما إلى فضيحة ، وربما إلى وقف
الحفائر الاوربية أو الأمريكية ومن مصلحة العالم ألا يتكرر مثل هذا
الخطأ .

أن اللورد كارنارفون تلافى خلال سنوات عمله في مصر تحقيق
كسب ، وكان عمل اللورد علميا وفوق مستوى الانتقادات ، ولكن

إكتشافه آثار اهتماما عاما . أصبح « خبطة » صحفية غير عادية على الاطلاق .

وقد حول إكتشافه كله إلى مكسب تجارى .

أنه سيطلق على مصر مجموعة من المتلهفين على النهب من الحفر . ولمواجهة ذلك ستضطر الحكومة المصرية إلى إصدار قوانين جديدة ضد كل من يقومون بالحفريات .

ولا حاجة بى لبيان مدى الأساءه التى وجهت للعقلية المصرية . إن السرية فى حد ذاتها ستجبر الحكومة على معاداة كل الحفائر مستقبلا » .

وقال ويجال أن اللورد كارنارفون « ربح من عملية بيع حقوق النشر والصور مبلغ مائة ألف جنيه وحول علم الآثار المصرى إلى أكبر عملية استثمار قام بها فى حياته » .

ومن حق اللورد أن يبيع قصته الشخصية لصحيفة « التايمس » ولكن ليس من حقه ، ولا من سلطته ، أن يبيع القبر ! .

لم يكتف ويجال بهذه المذكرة بل كتب إلى كارتر رسالة تحذير تاريخها ٢٥ من يناير ١٩٢٣ محفوظة بمتحف متروبوليتان فى نيويورك قال فيها :

« كنت مسئولاً ، أنا نفسى ، عن بعض الاكتشافات الجميلة الكبيرة ، وبالتالى يمكن التعاطف مع المصاعب التى تصادفها مع الزوار والصحافة .

إنى حريص على البقاء بعيداً عن ، « هذه الحرب » . . . التى

يبدو انها ستصبح واسعة إلى الحد الذى يضر بصورة خطيرة بالمصالح
البريطانية فى مصر .

تحركنى رغبتان : الحفاظ على المكانة البريطانية فى مصر ،
ومساعدة علم المصريين .

أنك وكارنارفون إرتكبتما خطأ مروعا عندما ظننتما أن المكانة
البريطانية الدائمة لازالت قائمة فى مصر ، وأن بمقدور علماء الآثار
الأجانب أن يفعلوا مايحلولهم .

إنكما عثرتما على هذه المقبرة فى الوقت الذى يمكن لأى شىء أن
يتسبب فى إنفجار الموقف السياسى .

أن الدبلوماسية الحساسة هى الطريق للتعامل مع الأهالى على نحو
صحيح .

يقول المصريون إنكما أهنتما بلادهم . وأنتما متهمان بأسوأ أنواع
الاساءات « .

* * *

حاصر ويجال كارتر فى وادى الملوك .

وبصورة منفعة ومباشرة أظهر طبيعة الكراهية التى تمكن كارتر
وكارنارفون من أثارتهما لدى الصحافة العالمية ولدى المصريين .
رد كارتر قائلا :

- المصريون لا يعرفون شيئا عن الحفائر « العلمية المسئولة
ويفتقرون إلى الكفاءة والموظفون لايهتمون إلا بالأعيب السياسة » .
قال ويجال :

١٣- قد لا يروقك ذلك ! . ولكنه لا يحقق المصلحة البريطانية .

ومن الضروري إشراك المصريين في هذا الاكتشاف . وفوق كل ذلك أن اللورد كارنارفون منح « التايمس » حقوقا إحتكارية مما أحدث عاصفة هائلة في شارع الصحف في لندن .

لقد إتهمتما بالاثراء على حساب « قداسة الأموات » المصريين ، وبامتهان العلم للكسب الشخصى ، وبيع حقوق تملكها الأمة المصرية والعالم . وإبعاد كل من يحاول كتابة كلمة عن الموضوع .
وقال ويجال :

- وفقا لنظامكم فأى أى عالم للآثار يجىء هنا ... سيمنع من دخول المقبرة أو الحصول على معلومة واحدة . ولن يقتصر الأمر على خسارة العلم لمشورته أو علمه ، بل أن الجمهور سيخسر فرصة للحصول على معلومات مباشرة .
أن كل الصحف الأخرى تعتقد إنكما و « التايمس » عار على التقاليد الصحفية .

وإستمر ويجال يهاجم كارتر وينتقده بعنف :
- عثرتما على مقبرة تخص الحكومة المصرية . وهى فى مكان عام وتحت نظر الأهالى والسياح الأجانب مباشرة .
وهى مقبرة تضم الموتى المقدسين .
انه إكتشاف لا يخصكما بل يهم العالم عامة ، ومصر خاصة .
إنها مصر التى تضطرم كراهية لانجلترا .

حاول كارتر الدفاع عن موقفه متعللا بضيق المكان وجوب السهر على الآثار من كل ما يلحق بها من عطب وللتدخل المستمر من جانب

لاكو ، وتدفق الزوار الصحفيين والسياح ، الذين يتجمعون عند مدخل المقبرة ، أو حول العمال المصريين وهم يعملون .
وأضاف كارتر :

- ضرر الصحافة يضارع الضرر الناجم عن النشاط السياسي للوطنيين .
رد وبيجال :

- النار قد تحرق مصر كلها . والموقف يتسم بخطر هائل على بريطانيا .

لقد خلقت عاصفة من الكراهية البغيضة بعملية خاناها التوفيق .
أولها إستهانتك بالحكومة عند فتح مقبرة فرعون جاء من العدم ليصبح -
في نظر الأهالي - ممثلا للوطنية وثائيهما ، دخولك في تعاقد مالى ،
يضطرك إلى إبعاد رجال الصحافة وعلماء الآثار ، وإلى التصرف مثل
قطاع الطرق الذين أقسموا على السرية - ومثل اللصوص بالنسبة
للأهالي .

ورجاء أن يتخذ بعض الإجراءات بأن يجعل كارنارفون يصدر
بيانا بأنه لن يكسب من التايمس وأن يترك كل الصحفيين
يدخلون المقبرة، بحيث يستطيعون الدعاية للعمل الممتاز الذى
يقومان به للحفاظ على الآثار.

وأن يعطى لكل الصحفيين - والمحليين بوجه خاص - الحقائق
الأساسية فى أقرب وقت ممكن بعد فتح الحجرة الداخلية للمقبرة فى اليوم
نفسه الذى تحصل فيه التايمس على الأخبار وليس بعد ذلك .

وقال :

- المشكلة أكبر من مجرد حفائر ، بل بتعين وضع مسألة الوطنية والعلاقات الانجليزية - المصرية في الاعتبار .
حاول تهذئة الصحافة المحلية نظرا للوضع السياسي المتوتر .

* * *

دافعت التايمس عن موقفها وقالت ان هناك عقود إحتكار صحيفة مشابهة .

* الأستاذ ماك اليستير تعاقد مع صحيفة « الديلي تلجراف » البريطانية لتفرد بنشر أنباء وصور حفائره في فلسطين .
* سبق أن تعاقدت « التايمس » نفسها لنشرباً محاولات الجنرال بروس صعود قمة جبال إيفرست في أسيا .
وهناك أمثلة أخرى كثيرة الهدف منها ألا يتعطل باحث بالحديث إلى الصحافة .

وليس لدى كارنارفون أو كارتسر وقت لكتابة البرقيات إلى « التايمس » ولذلك تركت هذه المهمة إلى « ميرتون » مراسل الصحيفة .

واضطرت التايمس الى تبرير موقفها في إجتماع لاتحاد أصحاب الصحف في لندن :

قال مالك الصحيفة :

« لست هنا لأقدم اعتذارا عن شيء فعلناه ولا لتوضيح حقيقة أنه لو لم تحصل « التايمس » على العقد لكان قد ذهب إلى الخارج .

كانت هناك إعتراضات على حصولنا على حقوق الأخبار والصور المتصلة بالحفريات ، وأقترح حقا تنظيم مقاطعة لنا .
ولست قلقا إزاء عدم قانونية الاقتراح ، ولست قلقا بشكل جاد إزاء الاقتراح نفسه .
ولكنى فى دهشة من انه أقترح فى هذا المجلس فرض قيود على الصحف .

وإذا كانت معلوماتى صحيحة فإن الاعتراضات كانت على أساس أن الحفريات تمثل مصلحة قومية .
وأزيد على ذلك القول أنها تمثل مصلحة دولية .
ولكن هل هذا سبب لادانة تعاقبنا ؟
ان « اللورد كارنارفون » لم تكن لديه رغبة فى كسب أموال من وراء العقد - فأية أموال يتم الحصول عليها من وراء العقد لن تذهب إلى جيبه . وإنما مقابل جزء من النفقات التى تكبدها . .

* * *

كانت حملة الصحافة المصرية والعالمية عامل ضغط على وزارة الأشغال مما جعلها ترى أنه لابد من توزيع أخبار الكشف على كل الصحف طبقا لقاعدة المساواة . . لا الاحتكار !
طلبت الوزارة من كارتر السماح لمجموعة من الصحفيين بزيارة المقبرة يوم ٢٦ من يناير ١٩٢٣ فوافق بعد الحاح مستمر من جانب الوزارة ورجال مصلحة الآثار .

ولم يجد عبد الحميد سليمان باشا وكيل وزارة الأشغال مفرا من

الاجتماع باللورد كارنارفون يوم ٧ من فبراير بعد شكوى الصحفيين إلى قلم المطبوعات التابع لوزارة الداخلية .

حضر الاجتماع روس تايلور المستشار القانوني في وزارة الأشغال وكين بويد مدير الادارة الأجنبية بوزارة الداخلية وجلين عن دار المندوب السامي البريطاني ولاكو مدير مصلحة الآثار .

بدأ عبد الحميد سليمان باشا الاجتماع بأن طلب من اللورد إقامة إتصال بالصحفيين أو إذاعة بيان عليهم يوم أفتتاح المقبرة .

إحتج اللورد كارنارفون بأنه ليس ملتزماً بشيء أزاء الصحافة .

وقال :

- كل إهتمامي يدور حول ضمان سلامة محتويات المقبرة وكنوزها لا

أشباع نهم الصحافة للأخبار .

وأضاف :

- سئمت الموضوع كله وخذش آخر يدفعني إلى الكف عن العمل في

المقبرة بقية العام . .

كتم لاكو غضبة وقال :

- أثارت الدعاية التي صاحبت الكشف إهتماماً دوى في مصر كلها .

للمرة الأولى يهتم المصريون جميعاً بكنوزهم القديمة . وأكدت

الصحف أن هذه ثروة قومية . ومن حق شعب مصر - قبل غيره - معرفة

المعلومات الكاملة عنها .

أيد عبد الحميد سليمان باشا هذا الرأي .

ولكن اللورد إعترض .

وإمتد النقاش والجدل فدعا عبد الحميد سليمان باشا الحاضرين إلى

استراحة وفنجان شاي .

إستؤنف الاجتماع للوصول إلى إتفاق يرضى اللورد الذى قال ان ترخيص التنقيب يعطيه وحده حق إذاعة أنباء الكشف والأبحاث العلمية .

وأخيرا إتفق على أن يحضر ممثل قلم المطبوعات التابع لوزارة الداخلية إفتتاح غرفة الدفن المحدد له ١٧ من فبراير ١٩٢٣ وبعث من الأقصر إلى القاهرة ، بقطار المساء بيانا رسميا عن محتويات المقبرة يمليه اللورد كارنارفون .

وتبلغ وزارة الداخلية هذا البيان للمصحف المحلية فى اليوم التالى بعد أن تكون « التايمس » قد سبقت بالأخبار .
قال اللورد وهو يعلن موافقته :

- لا يهمنى ماذا تفعلون ما دتمت تبعدون عنى مندوبى الصحف
الملاعين !

وإتفق على أن يكون عدد الزائرين للمقبرة ٢٠ شهريا بترخيص من وزارة الداخلية يوم الثلاثاء وهو يوم عطلة المنقبين الأسبوعية .

* * *

شكا اللورد كارنارفون لجلين الذى يمثل دار المندوب السامى البريطانى من ضعف الحكومة المصرية مع الصحافة وعدم حصوله على التأييد الكافى من دار المعتمد .

ويكتب جلين إلى رئيسه اللورد قائلا :

- سمعت فى الأقصر والقاهرة أن كارنارفون يضع دار المندوب السامى البريطانى فى جيبه وأن اللنبى يستمع إلى كل ما يقوله اللورد .

* * *

ويشكو عبد الحميد سليمان باشا لفيرنيس السكرتير الشرقى لدار
المندوب السامى ما يلاقه من كارنارفون والصحافة قال :
- لولا الأزمة الوزارية التى تعصف بمصر هذه الأيام لزلت دار
المندوب السامى . إنى فى حيرة : أمامى الشيطان أواجهه أو أغرق فى
أعماق البحر .

أريد الالهام من اللورد اللبى وأتمنى أن يتدخل .
ولكن اللورد لا يتدخل ويترك الصراع ملتهبا بين اللورد كارنارفون
وكارتر ، مع الصحافة البريطانية .. قبل غيرها !!
أصدرت إدارة المطبوعات بلاغا رسميا تحاول فيه إرضاء كارنارفون
وكارتر .. والصحافة وشعب مصر والسياح أيضا .
قال البلاغ :

» قررت وزارة الأشغال العمومية إرضاء الجمهور الراغب فى
الأطلاع على ما استكشف من الآثار بوادى الملوك بدون وقوع تعطيل فى
أعماق الحفر الواجب السير فيها بأقصى ما يمكن من السرعة على أن
يراعى منذ الآن فصاعد الاسلوب الآتى فيما يختص :
(١) بالبلاغات للصحف .

(٢) بزيارة القبر .

أولا : لايسمح للصحفيين أو مراسلى الصحف أو الزوار بزيارة القبر
من تلقاء أنفسهم بل عليهم أن يقدموا طلبا الى وزارة الأشغال ثم يزورون
القبر معا لقيفا واحدا فى أيام معينة .

وسيكون عدد الطلبات لكل لقيف محددا بالنظر إلى ضيق المكان .

وثانيا : يتلقى مندوب قلم المطبوعات ! بالحكومة المضربة من رئيس مفتشى مصلحة الآثار المقيم بالأقصر جميع البيانات العامة عن سير العمل وما يحتويه القبر وتبلغ هذه البيانات بعد ذلك إلى قلم المطبوعات لابلأغها للصحف على السواء .

وفيما خلا هذا البلاغ الرسمي العام سيكون لمتولى أعمال الحفر الحرية التامة في أن يوافق أية جريدة أو أية مجلة يختارها بجميع البيانات العلمية والصور التي يرغب في نشرها .

وليس لمصلحة الآثار أن تتدخل في هذا الشأن بين متولى الحفر والصحف .

* * *

كتب كارتر محتجا إلى لافكو :

« تعاقدا مع « التايمس » لنحمي أنفسنا من الحاح مراسلي الصحف ونتعامل مع صحيفة واحدة ذات توزيع عالمي ، بدلا من أن نتعامل مع عدد كبير من ممثلي الصحف المنفردين .
وأنى مضطر للدفاع بكل السبل الممكنة عن نفسى وعن المصالح التي أمثلها .

وسيعرف العالم مدى عدم كفاية الحماية التي تقدمها الحكومة لأصحاب الامتيازات وعدم إهتمامها بأولئك الذين يعملون للمصلحة العلمية وتشجيعها المستمر لقطاع من الصحافة كسب إستنكارا من العالم المفكر للطريقة الممقوتة التي هاجم بها إتفاق التايمس لأغراضه الخاصة .

ولكل هذه الأسباب ، فانه من الواضح أنه من مصلحة الحكومة

المصرية أن يتوافر للوكيل الحماية فيما يتعلق بهذا التعاقد .
والطريقة الوحيدة التي يمكن بها توفير الحماية له لا تكون بأصدار
البيان المقترح وإنما بالاعتماد عليه في إظهار كل المعلومات إلى العالم من
خلال الهيئة التي إقيمت بالفعل . وإني أثنى مخلصاً أن ما قلته
سيضع الحكومة في الاتجاه الذي تكمن فيه أفضل مصالحها .
وقد حاولت طوال الوقت أن أكون متهاوناً وما من أحد يريد تسوية
أكثر منى ولكن اذا أصرت الحكومة على نواياها فاني سأكون مضطراً
لاتخاذ إجراء ضدها .
ولا أدافع في هذا الشأن عن مصالح رؤوسائي ، وإنما عن مصالح
العالم العلمى كله » .



وصفت صحيفة « الديلي تلغراف » البريطانية : سباق الصحفيين
في وادى الملوك :

« كان الطريق المؤدى إلى الوادى الضيق العميق البذى تحيطه
الصخور . . . مزدحماً بالعربات والحيوانات من كل نوع يمكن
تصوره .

وكان المرشد والصبية من أصحاب الحمير وباعة العاديات الأثرية
وباعة الليموناده يشيرون ضجة هائلة . . .

وعندما أزيلت آخر الأشياء من الممر بدأ مراسلو الصحف إندفاعهم
المتحمس ، عبر الصحراء إلى ضفاف النيل ، على ظهور الحمير
والخيول والجمال ، وفي المركبات الرملية ، في سباق للوصول قبل
الأخرين إلى مكاتب التلغراف !

وعبر فكرى أباطه عن هذا كله فكتب يقول :

هناك فى ذلك الوادى المفعم بالخفايا والاسرار - وادى الملوك - قامت « حكومة » مطلقه مستبدته على إنقراض الحكومة الفرعونية القديمة . والحكومة المصرية الحديثة هى حكومة اللورد كارنارفون والمستر كارتر ليمتد !!

هل ينازعها منازع داخل حدود « الوادى »

أليست هى التى تنقب بلا رقيب وتنقل بلا رقيب وتنظم بلا رقيب .

أليست هى التى تسمح وتشرح ، وتمنع وتمنح . .

أليست هى التى تدعو وزراء مصر - منامنها وكرما - لرؤيه ملوك مصر . وموظفى وزارة الأشغال ومصلحة الآثار . لمشاهدة الآثار !!!

رأس مال هذه الحكومة أيها القراء رأس مال عظيم . انها تتاجر متاجرة رابحة فى الجماجم والعظام والأموات . جماجم وعظام أجدادنا رحمة الله عليهم . . وعلينا !!!

يستغل اللورد كارنارفون رفات أجدادنا أمام عيوننا ويسأى ذوقه السليم . ووجدانه الكريم أن يتكرم على الأحفاد بأخبار الأجداد ففى أى قرن نعيش ولاى حكومة نخضع .

أكتب ما أكتب الآن والمعركة بين الصحفيين دائرة فى مقبرة ، سيتطاحنون داخل القبر بالجواهر واللالىء والعظام الملوكية ، قنابلهم التى يتقاذفونها جماجم المرحومين ، وسهامهم أذرعهم ونبالهم عيونهم فالضحايا نحن - وهم !!

تالله لو كانت جثة الملكة « فيكتوريا » هى قبلة الأنظار وتطلع إليها الأجنبى . لسار على جثث الانجليز جميعا . ولعبر بحارا من دمائهم .

قبل أن يصل إليها وهي في مرقدتها الأخير . . ذلك لأن النفوس غير
النفوس . والحكومة غير الحكومة !!!
صدقت شريعة الهنود . انهم يحرقون الموتى . تكريماً لهم ودرأ
للخطر عن أجسادهم الهامدة فلنحترق أيها المصريون امواتا . فلنحترق
أحياء ذلك أولى واجدر . والسلام « .
وكان عنوان فكرى أباطه : حكومة في حكومة !

سحر الماضي

اثار الكشف دويا سياسيا في مصر والعالم فرض حضارة مصر على الصحافة والاذاعة والسينما فلم يكن التلفزيون قد ظهر بعد !
كان يسود مصر شعور بخيبة الامل ، ويلفها احساس بالفشل ،
ويبدو المستقبل حافلا بالكآبة للشعب كله .
كان الملك أحمد فؤاد يحكم مصر .
أختره الانجليز عام ١٩١٧ أثناء الحرب العالمية الأولى . فلما انتهت الحرب قامت ثورة ١٩١٩ تريد الغاء الحماية البريطانية وتطالب بالاستقلال .
قبض على سعد زغلول في ٨ من مارس ١٩١٩ ونفى الى مالطه وعين الفيلد مارشال اللبني معتمدا بريطانيا على مصر .
وكان اللبني قد قاد حملتين عسكريتين في فلسطين وسوريا ودخل القدس فاتحا بعد هزيمة الاتراك .
وقد أطلق عليه زملاؤه في الجيش البريطاني لقب « الثور » لعناده .
وكان اول ما طلبه « الثور » من الحكومة البريطانية الافراج عن سعد زغلول فوافقت . وأعلن اللورد النبا في ٧ من إبريل .
ولكن حدث الانقسام في الوفد . وأختلف سعد زغلول وعدلى

يكن . وفشلت مفاوضات عدلى يكن رئيس الوزراء فى لندن لأن الانجليز اظهروا حقيقة نواياهم فى استمرار الاحتلال .

أمر اللورد اللبى باعتقال سعد زغلول باشا ، وفتح الله بركات باشا ، وعاطف بركات بك ، ومصطفى النحاس بك وسينوت حنا بك ، ومكرم عبيد بك ، الى جزيرة سيشل وغادروا مصر فى ٣٠ من ديسمبر عام ١٩٢١ . وأعتقل الانجليز افواجا متتابعة من قيادات الوفد .

ولكن مصر لم تهدأ ورفض الزعماء قبول رئاسة الوزارة فاستقال اللورد اللبى واضطرت الحكومة البريطانية الى اصدار تصريح ٢٨ من فبراير عام ١٩٢٢ باعلان استقلال مصر مع ٤ تحفظات .
وتولى عبد الخالق ثروت باشا رئاسة الوزارة المصرية ولكن اللورد اللبى ظل صاحب النفوذ الاول والكلمة العليا فى مصر .

وبقى سعد ورفاقه معتقلين - بأمر الانجليز - رغم الاستقلال .
ولم يصدر الدستور لان الانجليز اعترضوا على بعض نصوصه الخاصة بالسودان . واعترض الملك فؤاد على النصوص الخاصة بحقوق الشعب !

وكان ظلام اليأس من المستقبل يحتوى مصر كلها .
وفجأة انبعث من اعماق الارض ضوء الماضى على هيئة اثار توت عنخ آمون .

اندفعت الكتابات الوطنية تحاول احياء الروح القومية ، وتثير كل القضايا .

كتب توفيق مفرج في مجلة اللطائف المصورة برقية على لسان توت عنخ
أمون الى سعد زغلول .

في هذه البرقية يقول الملك المصرى :

« من المسجونون في قبر الى المسجونون في قصر

من فرعون مصر الى رجل مصر .

انا في وادي الملوك وانت على جبل الملوك (كان سعد ايامها سجيناً

في جبل طارق)

من توت عنخ أمون الى الزعيم الذى يحبه شعبى

٣٠ جيلاً تنتظرك يا زغلول ان حبك لمصر اشد حرارة من وادي

الملوك . وكلانا أسير ياسعد » .

ويشير الدكتور محبوب ثابت ، الذى اصبح بعد ذلك نائباً في

مجلس النواب - قضية السودان من خلال تاريخ البلدين في عهد الاسرة

الثامنة عشرة عندما كانت مصر مالكة للسودان .

وتأخذ كل مصرى هزة الطرب والعجب - كما تقول الصحف -

وفخر المصرى ان يمت بالنسب الى اولئك العظام الذين دانت الشهرة

لسنطوتهم ، والى اولئك الصناع الماهرين الذين تركوا من بديع

التحف ، ما يحدث - بعد ألوف السنين - بخبرتهم ، ومهارتهم ،

وأبداعهم من كل فن وصناعة »

ويقول يوسف كدوانى من اسير على لسان الملك توت عنخ

أمون :

« هزوا الاقلام أيها الكتاب .

وحركوا العواطف أيها الخطباء

- ياشعبي لا تستكينوا على الذل . ولا تليّنوا للحوادث .»
- ويصور احمد الشيخ عضو مجلس مديرية الغربية توت عنخ أمون وهو يحاسب وزراء مصر .
- « ان الملك الفرعوني يحيا بعقلية الاسرة الثامنة عشر التى افتتحت الشام والسودان فيقول لعبد الخالق ثروت باشا رئيس الوزراء السابق :
- كم من الممالك افتتحتم ؟
- يرد ثروت باشا :
- لقد اعلنا استقلال البلاد
- ويبدو على فرعون الغضب:
- ومتى كانت مصر غير مستقلة . من الذى اعتدى على استقلالها ؟
- ثروت باشا (وجلا)
- اعتدت انجلترا على مصر .
- فرعون : ولم قبلت الوزارة وحالة البلاد هكذا ؟
- ثروت باشا : جاهدت حتى اعلن استقلال البلاد .
- الدكتور محجوب ثابت : ولكن السودان يامولاي ضاع .
- فرعون : بأى وجه تشرف بمقابلتى بعد ان نزعنت روح مصر منها ؟
- ويظل الملك توت عنخ أمون يحاسب الوزراء ثم يقول لهم :
- يلوح لى ايها الوزراء ان الرئاسة والزعامة فى مصر هى سبب الشقاء والبلاء فاقبلوا عن هذا .
- ويسخر محمود رشاد رئيس المحكمة السابق فى الصفحة الاولى من الاهرام من انجلترا على لسان توت عنخ أمون الذى ينظر الى من حوله فى

افتتاح المقبرة ويسأل عنهم فيقدمهم له رجال الاثار باسمائهم وجنسياتهم
بادئا باللورد وكارتر قائلا انهم من انجلترا .

يتساءل الملك :

- انجلترا ! ما سمعنا في أيامنا باسم دولة مثل هذه الدولة .

يقول الاثرى :

- هي دولة عظيمة تكونت مع الزمن واصبحت الان صاحبة الحول
والطول في الدنيا

ويقدم له ملكة بلجيكا فيقول فرعون

- لم اسمع ايضا باسم بلجيكا مدة حكمى !

وهكذا .

* * *

ويعزى الاثرى المصرى سليم حسن شعب مصر في انتهاك حرمة

القبور قائلا في صفحة الأهرام الاولى

« اذا كان في نبش المخدع ما يؤلم روح الملك فان فيه ما يثير روحا جديدة
في أمة بأسرها .

وجاء الكشف الجديد مؤيدا بالبراهين القاطعة أننا شعب تاريخه من

أمجد التواريخ ومدينة لا تقل عن مدينة أوروبا الحاضرة .»

وهبطت الجموع الى وادى الملوك لمشاهدة الاثار . . المثيرة .

ولم تكن هناك اماكن كافية لهذه الاعداد الضخمة . . فلم يكن

يوجد في الاقصر سوى فندقين : ووتر بالاس ، والأقصر .

واضطر الفندقان الى اقامة العشى والخيام في الحديقتين المجاورتين

لايواء النزلاء

ولأن صعيد مصر لا يتعرض للمطر فان احدا لم يرفع صوته بالشكوى
لهذه الاقامة الصعبة !

واضطرت الحكومة المصرية لفتح مكتب بريد ، ومكتب
صحفى ، وخط تلغراف جديد ، يصل المدينة بالقاهرة ثم بالعالم .
واستأجر الصحفيون كل « الفلوكات » فى المدينة ، والمدن
المجاورة ، وأصبح سباقهم عبر النيل من الأقصر الى وادى الملوك وكأنه
يمثل معركة النيل الجديد .

ولم تكن هناك وسيلة مواصلات من شاطئ النهر الى الوادى على
امتداد ستة أميال فركب الصحفيون الحمير !

وأضيف قطار آخر من القاهرة الى الأقصر اطلق عليه قطار توت عنخ
أمون .

وبدأ المصريون المقيمون خارج مصر ، وبعضهم يدرس فى الخارج
يكتب الى صحف القاهرة قائلين :

« ان عملنا - كما تصوره صحافة العالم - قاصر على حراسة المقبرة
وخدمتها ، لأننا لم نكتشف المقبرة ، ولا نحفظ ولا نرمم شيئا من
أثارها . ان الاجانب وحدهم يقومون بكل العمل -

أننا لم ندرس علم المصريات والآثار . وقد حان الوقت للتخصص
فى ذلك . وأخذت بعض صحف مصر تطالب ببيع ذهب المقبرة لسداد
ديون مصر التى أدت الى الاحتلال البريطانى » .

وأعلن الملك فؤاد فى برقية لكارنارفون وكارتر ان المصريين سيجنون
« الريح » من هذا الكشف . . فان كلمة « الريح » سيطرت ، فى
البداية ، على مشاعر بعض المصريين !

تدفقت الافواج . . السياحية على الأقصر ، فان الشعوب المختلفة وبالذات في أوروبا وأمريكا ، جنت بهذه الآثار .

وحملت السفن الضخمة ، عابرة المحيطات ، السياح الأمريكيين ، والانجليز ، واليابانيين الى مصر . وقالت الاحصاءات ان اكثر من نصف ركاب السفن المتجهة الى هذه المنطقة من العالم يقصدون . . الأقصر !

وأصبحت الصحف تنشر كل يوم اسماء القادمين الى المدينة ، كما تنشر الصحف الاقتصادية اسماء البواخر التي تصل الى الموانئ . في اسبوع واحد كان بين القادمين لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا الذي وافق على اصدار تصريح ٢٨ من فبراير عام ١٩٢٢ بأعلان استقلال مصر . ووصلت في الاسبوع نفسه مغنية اوبرا وممثلة مسرح وعشرات من اعضاء الكونجرس الأمريكي . وزار المقبرة ايضا اثنان من كبار الصحفيين البريطانيين بيفربروك وروذمير

وأصبح السياح مثل الطيور التي تتجه جنوبا في فصل الشتاء ، فقد وصل الجميع الى الأقصر . بالسكة الحديد والبواخر النيلية . وجذبت المقبرة : السياح الذين اعتادوا زيارة بيت لحم ، مهد السيد المسيح في عيد الميلاد .

كان السياح يصلون الى المقبرة في الخامسة والنصف صباحا على ظهور الحمير والعربات والسيارات .

وأعلنت شركة عربات النوم الأمريكية أن اللورد كارنارفون تعهد بالسماح للسياح الأمريكيين بمشاهدة المقبرة .

ولم يستطع اللورد تكذيب ذلك فإن الحكومة المصرية أعلنت أنها ستوفر للسياح الراحة وطيب الإقامة وسهولة الانتقال .

وانتعشت أعمال وكالات السياحة ، والسفر ، والمرشدين السياحيين ، والأثريين ، والفنادق وتجار الآثار ، ومزييفها ، ووسطائها أيضا ! وأعلنت بعض شركات السياحة أنها حصلت لعملائها على حق دخول المقبرة دون أن تتصل بكارتر أو تحصل منه على تصريح !

وعلقت صحيفة « فيلادلفيا ليدجر » الامريكية على هذا كله بقولها :

« حقق توت عنخ أمون لمصر الحديثة ، ما لم يحققه في حياته وزمانه » !

وكان الأغرب من هذا كله وصول بعض أعضاء الكونجرس الأمريكيين إلى مصر .. بعضهم يريد من القبر مساعدة في الانتخابات .

وبعضهم يكتب لكارتر قائلا ان الناحيين سيأسفون لأننى قطعت ٧٦٠٠ ميل وجئت الى هنا دون أن أطل على صاحب الجلالة » !

وتلقى كارتر ألوف الطلبات التى تتضمن الرغبة فى زيارة الموقع .. ونصائح عن طريقة الحفر ، والتماس إرسال بعض الآثار من الذهب .. أو حبات من تراب أو رمل المقبرة ..

وتنكر الموظفون المصريون والرسميون والصحفيون على هيئة

سعاة التلغراف وعمال مشتركين في عملية الحفر ليحفظوا بنظرة إلى حجرة الملك توت .

وكان الجميع يقفون خارج المقبرة ساعات طويلة والحرارة ٤٥ درجة مئوية. يلتقطون صور العمال وهم ينقلون كل أثر .

وأدعى أحد أقباط مصر واسمه بقطر اثناسيوس أنه الوريث شرعا لكنوز توت عنخ أمون .

قال :
« عودوا الى أوراق البردى التى توجد فى المقبرة لتتابعوا الأنساب .
وقد أمكن فى السنوات الاخيرة معرفة سلالة الامبراطور شارلمان الذى مات فى أوائل القرن التاسع » .

واضطرت السيدة كمبول التى تتبعت سلالة شارلمان فى ايرلندا الى التصريح لصحيفة « دبلن هيرالد » بأنها مستعدة لفحص اوراق البردى لتتبع انساب توت عنخ أمون .

وقالت الصحيفة ان السيدة كمبول اشتهرت بالجلد والصبر !

قال ارثر ميرتون مراسل صحيفة التايمس :

« أصبحت الأقصر كلها بلاطا لصاحب الجلالة .

لقى التكريم فى كل مكان وتردد اسمه على جميع أنحاء المدينة ودوى فى الشوارع ودار به الهمس فى الفنادق .

وفى المتاجر المحلية يعلن توت عنخ أمون عن كل شئ : الفن والقبعات ، والعجائب ، والصور وربما يصل الأمر الى الآثار .

ووضع كل فندق فى الأقصر فى قوائم الطعام صنفا « على طريق

توت » .

ولكى يكون لك شأن في طيبة عليك أن تبين الصلة بالملك القديم .

ان الناس - الذين لا يعرفون بعضهم الا معرفة سطحية - يشتبكون في الحديث عن الاحلام التي تراءت لهم أمس عن توت عنخ أمون .
وهنا أيضا رقصة توت عنخ أمون » . وقال

« ان توت عنخ أمون عاد ملكا حيا يحكم الأقصر » !
في كتابها عن « توت عنخ أمون » قالت السيدة كريستيان ديروش نوبل كور أمينة القسم المصرى في متحف اللوفر الفرنسى وترجمة أحمد رضا ومحمود خليل النحاس :

« حل الكد والاعياء بالمنقبين من جراء الطلبات المتلاحقة التى تنهال عليهم من عظماء الناس الراغبين في زيارة المقبرة ، أو من سياح شديدي العناد واللجاجة . كان كل انسان يريد الفرجة . ويشعر - عن حسن نية - بالاساءة تنال منه اذا لم يستقبل بالحفاوة اللازمة . ولم يعرض عليه كل ما استخرج من المقبرة ،

كان الجميع يريدون دخول المقبرة ، وهبوط الدرجات المؤدية الى الجدار الذى يحمل اسم الملك ولقبه .

وكان كل انسان يريد ان ينفذ ، بأى ثمن ، الى داخل هذا النطاق الذى تبلورت بين جدرانه المطلية بالملاط عمل الاف السنين التى احتفظت لهؤلاء الرواد برسالات خيالية رائعة .

ولم يسلم العلماء المنقبون من متاعب الرجوات والاحتجاجات والتدخلات والحملات الصحفية

وتخلف عن كل هذه الضجة ، المجد والفخر العالمى لتوت عنخ

أمون «

* * *

تساءلت صحيفة الديلى اكسبريس البريطانية :

- ما هو حديث السهرة فى لندن هذه الايام ؟

وأجابت الصحيفة :

- ان توت عنخ أمون سيظل حديث الناس خلال القرن العشرين .

* * *

لم يتوقف الاهتمام بآثار توت عنخ أمون .

أثار الكشف اهتماما ضخما فى كل الولايات المتحدة وبريطانيا

وفرنسا .

أخذت الصحف تخصص كثيرا من أعمدها يوميا لنشر انباء

الكشف .

وتوجه مندوبو الصحف الى كل من يدعى معرفة الآثار المصرية

القديمة لمحدثته ونشر آرائه

قالت صحيفة « نيويورك تايمس » : « أصبح الأمريكى العادى

يعرف عن الملك توت عنخ أمون وزوجته وميلاده وعمره كما يعرف لعبة

البيس بول . . وقالت ان الكشف يفوق كهف على بابا ومصباح علاء

الدين ، وأعلن العالم الأثرى جيمس برستد ان الاكتشافات الأثرية التى

تمت فى اليونان تعتبر شيئا مبتذلا اذا قارناه بتوت عنخ أمون .

وفى البيوت ، والفنادق ، والقطارات ، ودور الملاهى ، وفى كل

مكان ، أخذ الناس يتحدثون عن الملك العظيم .

وفوجئت مكاتب السجل التجارى بطلبات تسجيل « ماركة توت عنخ آمون » على بضائع كثيرة ، وأقيمت عدة قضايا بين الأمريكيين كل يحاول احتكار الاسم لسلعته .
وأعلن فندق بنسلفانيا ان قائد الفرقة الموسيقية هو الأمريكى الوحيد الذى يستطيع عزف موسيقى توت .

وأثرت صور الآثار المصرية فى زينة المرأة والفنون الجميلة .
وازدحمت أقسام الآثار المصرية فى المتاحف بالزائرين من الخياطين وصناع الحلى حتى الحلاقين للقيام بشرة فى الملابس والأزياء .
ونقشت مصانع الأدوات الخزفية الآثار المصرية على مصنوعاتهما .
وظهر شعار مصر فى كل مكان .
فى مسرح بالاس قدمت عارضات الأزياء ملابس توت .
وعلى شاطئ ميامى ظهر ثوب استحمام توت .
والمظلات والعصى عليها اسم ملك مصر ، وأرسلت احداها للرئيس الأمريكى .

وباع محل « ماسى » اكبر محلات نيويورك « عرائس توت »
وفى شارع ٣٨ بنىويورك عرضت حقائب توت .
وفى معرض الزهور فازت زهرة قرمزية بجائزة الملك توت ، وبيعت بذور هذه الزهرة بخمسين دولارا للزطل الواحد .
وفى مقابر نيو اورليانز أعلن « الحانوتية » عن الدفن بطريقة توت .
وظهرت « غلاية توت » وسجاير توت ، واضطر المجلس التشريعى فى ولاية ألاباما الى اصدار تشريع يعاتب من يزور منتجات الملك المصرى !

وحذر رئيس اتحاد مصممي الازياء من المبالغة في تصميم الازياء على طريقة ملك مصر فأن زيا أشبه بالمومياء كان يؤدي الى ضيق التنفس لمن يرتديه .

وأخرج مدير متحف المتروبوليتان الأشياء التي اكتشفها المليونير دافيز قرب المقبرة الملكية وعرضها المتحف لاغراء الزائرين حتى ظن الناس أن هذه القطع نقلت مباشرة من قبر الملك الى نيويورك .

وقلدت متاحف امريكا هذه الفكرة وتسابقت متاحف بروكلين وسنسناتي وكارنيجي وسان دييجو في عرض ما لديها من الآثار المصرية . وكانت باريس رائدة موضة ملابس المرأة ، ولكن الامريكيين الذين سافروا الى باريس - بعد اكتشاف المقبرة - لاحظوا أن أمريكا سبقت فرنسا في موضة ازياء الفراعنة . .

وقدم مصمم الازياء الفرنسي ليون باسكت مجموعة أزياء ايزيس فان تأثير المقبرة كان أوضح ما يكون في عروض الازياء . وقدمت موضة كليوباترا وكأنها خرجت من بين جدران المقبرة بزي جديد .

وفي لندن أعلن المعرض الامبراطوري عن تقديم نموذج مصغر للمقبرة فزار المعرض ٢٠٠ الف يوم الافتتاح . وانتقل التأثير الى الادب ، فظهر الفنان بوريس كارلوف في أدوار الرعب التي تجرى في أجواء مصرية .

واستمر تأثير الكشف في الروايات فقدمت فيكتوريا هولت « لعنة

الملك » وقدمت انجلترا رواية « الغول »

وقدمت برلين « انتقام فرعون »

وفي هوليوود رواية « المومياء » ثم « يد المومياء » عام ١٩٤٠
و« لعنة المومياء » عام ١٩٤٥ وفي عام ١٩٧٤ ظهرت رواية « قلعة
كارنارفون » .

وتلقى اللورد بركات من مؤسسات في اليابان وسويسرا تطلب حق
تسجيل رسوم المقبرة واستغلالها ولكن اللورد اعتذر قائلاً أن الرسوم
ستكون متاحة للجميع .

* * *

رأت مصر بعد حوالى نصف قرن تقريبا عرض هذه الآثار في دول
العالم المختلفة وتوجيه الدخل لانقاذ معبد أبو سمبل واثار النوبة .
عرضت خمسون من هذه الآثار في اليابان عام ١٩٦٥ في معرض
نظمته صحيفة « أساهى » وفي باريس في القصر الصغير وقد نظمتها
الحكومة الفرنسية عام ٦٧ وفي الاتحاد السوفيتى .

وجاء الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون زائرا لمصر عام ١٩٧٤
فطلب من الرئيس المصرى انور السادات عرض هذه الآثار في الولايات
المتحدة تعبيرا عن النوايا الحسنة والعلاقات الطيبة بين البلدين بعد أن
ظلت العلاقات الدبلوماسية مقطوعة بينهما عدة سنين .

وعقد اتفاق بذلك وقعه كل من اسماعيل فهمى وزير خارجية مصر
ونائب رئيس وزرائها وهنرى كسينجر وزير الخارجية الأمريكى .
ولكن مصر طلبت التأمين على هذه القطع الاثرية كما حدث في كل
الدول .

ولم يكن القانون الامريكى يسمح بأن تدفع الحكومة الامريكية اقساط تأمين لأحدى الشركات أو تتعهد بذلك .
وأصرت مصر ..

وكان الحل فى اصصدار قانون ، وافق عليه الكونجرس الامريكى ،
يسمح لمجلس الفنون والانسانيات بدفع تعويض قدره ١٥٠ مليون دولار
إذا أصيبت هذه الاثار بأضرار .

واستقال نيكسون وتولى الرئاسة الامريكية جيرالد فورد فوق قانونا
بذلك فى ٢٠ من فبراير عام ١٩٧٥ .

وجاءت الى ميناء الاسكندرية سفيتتان حرييتان أمريكيتان من
الأسطول السادس الى ميناء الاسكندرية لتنقل هذه الاثار الى الشاطئ
الامريكى . . وهذه أول مرة فى تاريخ الاسطول السادس يقوم بشحن
مجموعة من الاثار .

عرضت الاثار فى ٦ مدن امريكية هى واشنطن ، ونيويورك ،
وشيكاغو ، ونيواورليانز ولوس انجلوس وسياتل .
ومن الولايات المتحدة نقلت الاثار بالسيارات الى كندا .
وتولت ٦ طائرات المانية شحن هذه الاثار لتطوف مدن المانيا الغربية .
وتتابعت عروض الدول التى تطلب اثار توت عنخ آمون .
ولم تتوقف هذه العروض ابدا !

هنيئًا .. للعيون التي رأت

لم يكن كارتر مستعدا لهذا الاكتشاف الضخم .
ان القطع الأثرية ظلت في مكان لا يدخله الهواء أكثر من ٣٠٠٠
سنة . . ودخول الهواء سيؤدي الى تفتتها وربما تتحول الى تراب . .
كانت كل قطعة في حاجة الى ترميم لتتماسك قبل نقلها من
مكانها . .

وعلى سبيل المثال فان ثوبا ملكيا واحدا . . وفيه مئات من الخيوط
الذهبية ، يحتاج الى عمل شهرين كاملين حتى يمكن نقله .
وكان كارتر في حاجة الى خبراء في الكتابة الهيروغليفية يقرأون ما كتب
على الجدران . وفي حاجة الى معمل كامل . . وطاقة كهربائية لأن
الكشف تم على ضوء مصابيح الغاز !
وكان في حاجة الى من يسجل كل اثر برموزه . . والى تصوير كل
تحفة قبل نقلها .

وكان في حاجة الى غرفة تحميم لطبع هذه الافلام . .
كان كارتر فردا وأثريا واحدا امامه ٥٠٠٠ قطعة آثار عمر كل منها أكثر
من ٣٠٠٠ سنة .

ففي الغرفة الأولى - فقط وقد اطلق عليها الغرفة الخارجية -
تكدست كل الامتعة الشخصية للملك وعددها ٥٠٠ قطعة ، وهي التي

يحتاجها في العالم الآخر . . بينها عربات الملك وسلاحه وأثاث مغشى بالذهب ، ومطعمٍ بالعاج والزجاج الملون ، وعلب الجواهر والملابس مكومة فوق بعضها . وصورة للملك مع زوجته . وصورة توت عنخ آمون جالسا - دون اكتراث - على عرش آخر بينما تقوم الملكة بدهان كتفه بالزيت ، وبينهما قرص الشمس تنتهى اشعته بأيدٍ انسانية رمز عبادة اتون التى مارسها اخناتون ، فى عاصمته تل العمارنة .

ووجد قوس الصيد المحلى برؤوس تسعة من الاسرى وصورة للملك وبصحبه الملكة يصيد الطير ويقف الى جانبه شبل اسد . والزينة التقليدية للأمتعة والتحف الملكية



فكر كاتر فى الاستعانة بمصلحة الآثار ورجالها ولكنه وجد الموقف قد تغير تماما فى هذه المصلحة .

مات احد ابناء ماسيرو مدير المصلحة فى الحرب العالمية الأولى فساءت صحة الأب .

واضطر للاستقالة والعودة الى فرنسا حيث توفى فى ٣٠ من يونيو عام ١٩١٦ وعمره سبعون عاما اثناء حضوره الجلسة الاخيرة لمؤتمر الشرقين فى باريس .

وتولى ادارة مصلحة الآثار فرنسى آخر هو بيير لاکو الذى يجيد اللغة المصرية القديمة وتخصص ايضا فى آثار مصر واصدر أول كتاب عنها عام ١٨٩٤ .

وظل لاكمديرا لمصلحة الآثار حتى عام ١٩٣٦ ثم عاد الى فرنسا
ليشغل كرسى شامبليون في كلية فرنسا بباريس ويوالى نشر ابحاثه ودراساته
عن آثار مصر حتى عام ١٩٥٨ ومات عام ١٩٦٢ في سن التسعين .
وكانت سياسة لاكم مختلفة تماما عن ماسبيرو .
انه يرى الاحتفاظ بآثار مصر . . داخل مصر . .
وهو - في البداية - يشك في كارتر .

ورأى كارتر ألا يستدعى احدا من رجال المتحف البريطانى في لندن
مع انهم اكثر دراية وخبرة .

وكان السبب في ذلك الخوف من ان ينسب هؤلاء كل شىء
لانفسهم . ولم يبق امام كارتر إلا متحف المتروبوليتان في نيويورك .

أنشئ المتروبوليتان عام ١٨٧٠ اقيم في ضاحية مانهاتان بمدينة
نيورك . أسسه عدد من كبار رجال المال والصناعة في المدينة ،
ويختلف عن كل المتاحف الكبرى في ان الملوك والنبلاء لم ينشئوه ولم
يجمعوا له التحف بل اهداها واقترضها له ، الى الابد ، الامريكيون
الأثرياء !!

وفي المتحف الآن ٣ ملايين تحفة فنية تمثل التطور وفيه اكبر
مجموعة من التحف والآثار المصرية والاسلامية في اوربا وامريكا . وبه
الف موظف وعامل و ١٩ جناحا وقسما .

وهو أحد ٦ متاحف كبرى في العالم الغربى هى المتحف البريطانى في
لندن ، والهيرميلاج في لسنجراد ، واللوفر في باريس ، وبرادو بمديرد ،
والفاتيكان في روما . .

وقد أهدت مصر إلى المتحف معبد « دندور » تقديرا لمساهمة الولايات المتحدة في إنقاذ آثار النوبة كما أقيم به معرض آثار توت عنخ آمون عام ١٩٧٨ .

وكان متحف المتروبوليتان في أوائل القرن ثريا . . ترك له صاحب ملايين اسمه جاكوب روجرز ١٠ ملايين دولار يستفيد بريعها في شراء الآثار .

أنشأ هذا المتحف قسما للآثار المصرية عام ١٩٠٦ عهد بإدارته إلى ليجو الذى طلب إلى أرثر ميس أن ينقب لحسابه عن الآثار المصرية . وكان المتحف ينفق سنويا ٦٠ ألف جنيه للبحث عن هذه الآثار ، ويدفع ٤٠ ألفا للمطبوعات الأثرية عن مصر بينما ميزانية مصلحة الآثار المصرية ٤٧ ألف جنيه تدفع منها مرتبات الموظفين وتكاليف البحث عن الآثار وصيانتها وترميمها !

* * *

وكانت هناك أسباب كثيرة دفعت كارتر للاستعانة بمتحف المتروبوليتان:

أولها ان كارتر وكارنافون لديهما علاقات مالية مع هذا المتحف ظلت سرا لسنوات طويلة .

وثانيها ان رجال المتحف ساعدوا كارتر فى الوصول الى اكتشاف المقبرة عندما اطلعوه على ما قام به وينلوك .

وثالثها ان رجال المتحف لديهم الخبراء الذين يصلحون للعمل المطلوب : التصوير والترميم ، الحفظ ، ترجمة النصوص

الهيروغليفية ، وعدد منهم يقيم في الأقصر وصعيد مصر ، ينقب عن الآثار .

وافق متحف المتروبوليتان على ان يضع امكاناته ، ورجاله والأمناء العاملين في القسم المصري بالمتحف سواء كانوا في مصر او نيويورك في خدمة كارنافون وكارتر والكشف الجديد .

وهكذا أصبح لدى كارتر فريق من الخبراء . .

أرثر ميس خبير حفظ الآثار .

هارى بيرتون أفضل مصور للآثار وكان اسطورة عمره يجمع بين العلم والفن في كل صورة .

جيمس هنرى برستد استاذ علم المصريات بالمعهد الشرقي في شيكاغو .

والسير آلان جاردنر - البريطاني - أستاذ الكتابة الهيروغليفية

وخبرها العالمى الأول في ذلك الوقت .

وانضم اليهم الفريد لوкас رئيس قسم الكيمياء بمصلحة الآثار

المصرية . .

ولم يكن ذلك عملا خيرا من المتحف تشجيعا للبحث عن الآثار المصرية ، بل كان عملية دقيقة تمت بحسابات هدفها ان يحقق كل منهما أقصى مايمكن تحقيقه من المكاسب الفنية والمالية والتاريخية ، فان الكشف لم يحدث من قبل في تاريخ الآثار ، او الفن ، في أى من بلاد الدنيا .

وكان المتحف على يقين من انه بعد حصول اللورد وكارتر على نصف

الآثار فانهما سيقدمان بعضها هدية للمتحف تقديرا لمساعداته القيمة . .

سمحت مصلحة الآثار باستخدام قبر سيتى الأول وقبرين مجاورين
كمعامل للتصوير وترميم الآثار وحفظها ، وأطلق عليها اسم
« الورشة » .

واشترى كارتر بابا من الحديد وزنه طن ونصف طن لاجلاق مقبرة
توت عنخ آمون وأدوات كيماوية لترميم الآثار .

واصبح مشهدا مشيرا نقل قطعة اثرية من مقبرة توت عنخ آمون الى قبر
سيتى الأول لتصويرها .

كانت الآثار تنقل على « نقالة » وكأنها إنسان مريض .

وكان السياح يلتقطون مئات الصور لهذه العملية المثيرة . !

كان يرأس الوزارة المصرية منذ ٣٠ من نوفمبر ١٩٢٢ ، أى منذ
اليوم التالى لافتتاح المقبرة رسميا محمد توفيق نسيم باشا ، الذى لم
تعمر وزارته سوى عشرة اسابيع سلمت خلالها للانجليز بالتنازل عن
نصوص الدستور الخاصة بالسودان .

وكان اسماعيل سرى باشا يشغل منصب وزير الاشغال . .
ولكن أزمة وزارية ظهرت مرة اخرى بسبب مشروع الدستور
المصرى .

وجه الانجليز انذارا الى الملك فؤاد لحذف المواد الخاصة بالسودان
فى مشروع الدستور .

قبل الملك الانذار وحذف ما طلب الانجليز حذفه .
استقال محمد توفيق باشا رئيس الوزراء يوم ٩ من فبراير ١٩٢٣ بعد
ان خضع للملك والانجليز
حدد اللورد كارنار فون يوم ١٧ من فبراير ١٩٢٣ لافتتاح غرفة الدفن .
وهو يوم كانت فيه مصر بغير وزارة . . تماما كما حدث يوم ٢٩ من نوفمبر
١٩٢٢ عند افتتاح المقبرة نفسها فان وزارة مصر في ذلك اليوم كانت قد
استقالت ، ولم تشكل وزارة جديدة . . بعد ! ومن الغريب ان تتكرر
المصادفة مرتين !!

جاء مئات المصريين والسياح الى المقبرة منذ الصباح الباكر على ظهور
الحمير ، والخيول والعربات ، وسيرا على الاقدام . . كل يريد اقرب
مكان الى المقبرة ليشاهد الحدث الضخم الفريد في التاريخ !!
في الغرفة الامامية اعدت المقاعد لكبار الضيوف .
تخلف الملك أحمد فؤاد عن الحضور .
وكان مقررا دعوة عشرين فقط ولكن الرقم تضاعف الى اربعين جلسوا
في صفوف متراصة وكانهم يشهدون مسرحية . . وركزت الاضواء على
جدار غرفة الدفن !!

ووصل اللورد اللنبى وقرينته واثان من الامراء عمر طوسون ويوسف
كمال ، وخمسة من رؤساء الوزارات السابقين حسين رشدى ، ومحمد
سعيد ، وتوفيق نسيم ، وعدلى يكن ، وعبد الخالق ثروت ،

واسماعيل صدقى الذى تولى رئاسة الوزارة فيما بعد والسير جون ماكسويل القائد البريطانى العام السابق فى مصر والوزراء المفوضون للدول الكبرى ، وبير لاكمودير عام مصلحة الآثار وكبار رجال المصلحة وابنة اللورد كارنارفون .

وتخلفت ملكة بلجيكا اليزابيث الثانية وولى عهدا الأمير ليوبولد - اللذان جاءا من بلجيكا خصيصا لهذه المناسبة ، واستقلا قطارا خاصا من الاسكندرية - الى اليوم التالى فقد مرضت الملكة وقيل انها خشيت من الحرارة والزحام .

ونشرت بعض الصحف انها « اللعنة » .

ولكن صاحبة الجلالة تحدثت اللعنة وامضت شهرا فى مصر تبرعت خلاله بمبلغ ١٨٠٠ جنيه وزارت المقبرة فى اليوم التالى وعقدت مؤتمرا صحفيا عن اهمية الكشف . . ثم دخلت المقبرة زائرة ٣ مرات بعد ذلك . !!

وكان موكبها المؤلف من ٧ سيارات حدثا هاما فى الأقصر !!

قال اللورد كارنارفون للصحفيين وهو يتجه الى المقبرة :

- سنقيم حفلا موسيقيا وسيغنى كارتر أغنية لنا .

وفتح كالندر - مساعد كارتر - الباب الحديدى الضخم الذى سماه

الصحفيون « باب البرج الحصين » . !!

بدأ الحفل بخطاب قصير للورد كارنارفون شكر فيه العاملين فى

المقبرة ، وكان أغلب الشكر للأمريكيين الذين تطوعوا بالمساهمة فى

الحفظ والترميم والتسجيل والتصوير . . مجانا . . !!

وكان اللورد شديد الانفعال يخشى ان تكتشف عملية دخوله مع كارتر
 خلصة وسرا . . مساء ٤ من نوفمبر عند الاكتشاف .
 وتلاه كارتر بخطاب عن الجهود التى بذلها حتى عشر على قبر
 الملك .
 ثم بدأت اول « مسرحية » من نوعها فى تاريخ الاكتشافات
 الأثرية !!

* * *

أخذ كارتر معوله يكسره الجدار الذى يفصل بين الحجرة الخارجية
 وحجرة الدفن . استغرق ذلك حوالى عشر دقائق قبل ان يجد فتحة يبلغ
 عرضها قدما واحدا وارتفاعها ثمانى او عشر بوصات . . حتى يستطيع
 النظر من خلالها بمساعدة كشاف كهربائى « بطارية » .
 أزال كارتر الجزء العلوى من الحائط .
 ورأى - كما قال - :

« على بعد متر من الباب، وبقدر ما يستطيع المرء أن يرى،
 يحجب مدخل الغرفة ما يبدو حسب كل الظواهر أنه حائط من
 الذهب.. كان الجانب الخارجى للمقاصير التى تحتوى على
 التابوت الحجرى والمومياء.

وكان منقوشا على الغشاء الذهبى النصوص والرموز السحرية التى
 يحتاجها توت عنخ آمون لحماية نفسه فى رحلته خلال العالم الآخر .
 وفى جدران المقاصير حول التابوت الحجرى وضعت الاشياء السحرية
 التى يحتاجها اثناء الرحلة .

ورقدت سبعة مجاديف سحرية جاهزة لعبوره مياه العالم الآخر .
ومصاييح متخوطة من الحجر الجيري الشفاف ، ولها مساند نحتت بكل
رقعة في صورة سيقان اللوتس . . . أعدت لتضيء طريقه . والبوق الفضى
الذى ربما كانوا يحملونه امامه . . عند استعراضه لجيوشه وجد راقدا
الى جانب المقصورة . . وأوانى من العطور والدهون نحتت في صور
رقيقة كانت معدة لاستعمال الملك .
واعطى البرت ليتجو الامريكى صورة لما يجرى في الداخل .
قال :

« وقفنا جميعا نرقب كارتر في صمت - حتى ان المرء كان يستطيع
ان يسمع صوت ارتطام الابرّة بالأرض .
ورأيت بالقرب منى مابدا وكأنه احد جوانب ضريح عظيم او منصة
تابوت طليت باللون الأزرق اللامع والذهب » . .

استمرت عملية هدم الجدار ثلاث ساعات وصفها مراسل صحيفة
« الديلى تلجراف » البريطانية الذى كان يجلس في الخارج تحت أشعة
الشمس الحامية . . فقال :
« طوال الساعات الثلاث كانت كل كبيرة وصغيرة تتم ملاحظتها .
احيانا يكون هذا الشئ قطعة من البناء تم احضارها ، وأحيانا
اخرى كنا نسمع صيحات تعجب من السيدة ايفلين ابنة اللورد !!
وفي بعض الاحيان الأخرى كنا نسمع صوت ضربات « الأزميل » او
المطرقة .

وزادت اثاره المشاهدين عندما رأوا العمال يخرجون كتلا من البناء
وسلالا من الانقاض الصغيرة « . .

وفي أول الأمر أخذ كارتر وكارنافون يشقان طريقهما بصعوبة خلال
الحيز الضيق بينما انتظر الجميع عودتهما . . وعندما رجعا اعربا عن
ذهولهما مما شاهداه .

وقام الضيوف بالدخول . . اثنان معا في كل مرة .
التفت لاکوالى جاردنر وهو بدين قائلا :
- الأفضل لك ألا تحاول الدخول .

ولكن جاردنر دخل مع البروفيسور برستد .
وكان برستد قد غادر فراش مرضه ليشهد هذه المناسبة الفريدة في
التاريخ .
وكتب يصف تلك اللحظة :

« في القلب الساكن للجبل ظل الملك راقدا هناك طيلة ثلاثة آلاف
سنة تقريبا منذ هبطت زوجته درجات السلم الى حجرة السدف للمرة
لاخيرة ، وربما تكون هي التي وضعت الكفن بأصابعها على جسده .
وربما تكون هي التي وضعت في مدخل الحجرة المفضية الى المدفن
اقة من الزهور البرية الرقيقة التي وجدناها ماثلة أمامنا . . وكان هذا
مثابة إيماءة الحب والاسى الاخيرة التي قدمتها الى الملك الراحل . .
ولما اصبحنا في مواجهة مقدمة الضريح ذى البوابتين الكبيرتين .
فتح كارتر البابين . فاصبح بإمكاننا رؤية ما بداخل هذا الضريح
لأننى يبلغ طوله ١٧ قدما وعرضه ١١ قدما . »

قال كارتر وعندما رفع غطاء التابوت الحجري « خرجت أمة
اعجاب من شفاها . . فتابوت ذهبي للملك الشاب من ابداع ما اخرجته
الصانع كان داخل التابوت الحجري .
وعلى حاجبه وضع اكليل صغير من الزهور ، ربما هدية من
ملكته . .

وقال ليتجو :

- ياله من مشهد !!

عرفنا اننا وحدنا رأينا الآثار المقدسة والمعدات الجنائزية لملك
مصرى . وجعلنا غطاء النعش نتحقق من اننا في حضرة الملك الذى مات
من عصر مضى . وكانت الاقفال فوق الابواب المغلقة . . لم تفض .
كان الضريح سليما لم يمس ، وكانت ابوابه تحمل اختامها
الاصلية دون خدش . . مما يشير الى ان اللصوص لم يصلوا اليه . .
وأدركنا اننا اول من يطأ أرض هذا الضريح الذى لم يدخله انسان ،
والذى توجد به اشياء لم يمسه احد منذ سجد الملك الطفل فيها منذ
ثلاثة آلاف مضت من السنين .

وعندما سحبنا المزاليج الابنوسية للضريح العظيم . . ارتدت
الابواب الى الخلف كما لو كانت قد أغلقت بالامس فقط . . وكشفت
النقاب عن ضريح آخر يشبه طراز الضريح الأول لم يمسه اذى والمطعم
ايضا باللون الأزرق .

وكانت للضريح ابواب وضعت عليها مزاليج مشابهة . ولكن يوجد

عليها ختم سليم يحمل اسم توت عنخ آمون وصورة لأبن أوى مضطجعا
على اعداء مصر التسعة .

ولا تستطيع الكلمات ان تصف مشاعرى عندما وقفت .. مذهولا
تماما عن كل شيء ..

لم أشعر بالاثارة العصبية ، بل احسست برهبة مذهلة .. ولأول
مرة طوال خبرتى فى مشاهدة ودخول غرف الدفن القديمة .. شعرت
بحضور الموت .

وكان كارتر اكثر الجميع احساسا برهبة الموت .
قال :
« فى كل العصور والنسبة لجميع الاجناس ظل الموت طيفا متشحا
بالغموض الكثيف باعتباره القضاء المحتوم الذى لامناص للانسان من
مواجهته .

وظلت الجهود الرامية الى القاء الاضواء على الظلام الذى يكتنفه
الموت جهودا تدعو الى الأسى والحزن . ولذلك كانت حياة الانسان
المصرى وفنه معنيين بهذه المشكلة التى لا حل لها .

حاول العقل البشرى دائما تهدئة المخاوف الانسانية ، وتطلع هذا
العقل الفضولى الى ان يجد فى معتقداته سلوكى له .. لتوفير بعض
الحماية من الاخطار التى تحفل بها هاوية المجهول المظلمة .

ولكن المصرى القديم سعى دائما - على عتبات الموت - الى
الحصول على الراحة فى الحب والحنان اللذين يربطانه بالحياة - وهو
مسعى طبيعى كشف النقاب عن نفسه فى الطقوس الجنائزية القديمة !!

وأضاف كارتر
« لم نكن راغبين في كسر الاختتام لأن احساسا بالتطفل غمرنا بشكل
كبير ، وربما تزايد من جراء تأثير الغطاء الكتاني الذى وضع على الضريح
الداخلى . . وشعرنا باننا فى حضرة الملك المتوفى وانه يجب علينا
توقيره » .

اعتمد المراسلون فى الاقصر على الاشاعات .
قال احد العمال الوطنيين : انه تم العثور على ثمانى مومياوات .
وقال عامل آخر انه تم العثور على ثلاث مومياوات .
وأدت هذه المعلومات الزائفة التى أوعز بها كارتر الى ارباك
الصحف - عدا التايمس - بدرجة كبيرة وانتشرت الاشاعات والنبوءات
فى مصر والعالم
بعض الصحف تقول انهم سيجدون صحيفة من عهد نابليون الذى
دخل المقبرة عندما جاء الى مصر . .

والنبوءات لا حد لها .
نشرت الاهرام ان كارتر سيقوم بتهريب مومياء الملك الى لندن .
وبين الاشاعات ان ٣ طائرات هبطت الى وادى الملوك ليلا وحملت
الآثار وطارت الى مكان مجهول .
وسخر مراسل صحيفة الديلى تلجراف من اسلوب معاملة
الصحفيين فقال :
« يكفى ان تظهر انك لست صحفيا حتى يسمح لك بدخول
المقبرة » !

وكتب مراسل مصرى من الاقصر :

« عومل رجال الصحافة فى المقبرة كما يعامل الصبية . واذا كان فى هذه المعاملة تفريط فى حق فانما هو حق رأى العام لا فرق بين الاجنبى منه ، والوطنى .

لم نتمكن من خطف الاسرار من طيات ضمير الواقفين عليها ومن ظلمات مدفن ذلك المصرى القديم .

وقضى على الجمهور بألا يعلم من اخبار المدهشات المكتشفة إلا ما يعطيه لورد كارنارفون لمراسل التايمس ، وما يجود به قلم المطبوعات المصرى .

ركبنا الحمير مسافة ثمانين دقيقة لنطل من كوة على منظر ذلك الصندوق الكبير المذهب الموجود فى الغرفة الأولى .
هذا كل ما رأيناه . . فهنيئا للعيون التى رأت أكثر من ذلك » .

واستمرت انباء المقبرة تجذب اهتمام العالم . .

كان مراسل « التايمس » هو الصحفى الوحيد الذى دعى للحضور .

ولم يسمح للورد لصحفى آخر بالحضور . قالت الصحف المصرية ان ذلك كان تنفيذا للصفقة التجارية المعلومة .

وكان لذلك تأثير بالغ على الصحفيين الذين بلغ استياؤهم درجة بعيدة . . وصمم اللورد على عدم الأخذ برأى أحد مهما اشتدت الحملة .

وثارت بعض الصحف الانجليزية « كالدلي ميل » و « الديلي اكسبريس » و « المورننج بوست » وعهدت الى احد المحامين اقامة دعوى منه على اللورد امام قاضى الأمور المستعجلة .
ولكن رثى انه لا يمكن عقد جلسة مستعجلة قبل موعد الافتتاح فعدلت الصحف عن اقامة الدعوى . . . مؤقنا .

بعد ايام من الافتتاح لم يجد مراسلو الصحف شيئا مثيرا يكتبونه عن المقبرة يبررون به بقاءهم فى الاقصر فبعث مندوب جريدة « النيويورك تايمس » الى صحيفته يقول :

« تسلل فأر ضخم الى مقبرة توت عنخ آمون أحس به الآثريون فتوقفت اعمالهم ، وقد وضعوا مصيدة ، ووضعوا قلوبهم على ايديهم . خوفا على المقتنيات الثمينة من فأر يتجول حرا فى أثمن مالى مصر من آثار قد يحطمها » . . .

ومرة اخرى غطت اخبار المقبرة على الاحداث العالمية الكبرى التى جرت فى ذلك العام . . . زلزال طوكيو وولاية أوكلاهوما الامريكية والقتلى الذين بلغ عددهم ١٢٠ ألفا . . وفشل انقلاب هتلر فى ميونيخ ، وانهيار سعر المارك الألماني ، حتى اصبح الدولار يساوى ٤ ملايين مارك وعزل ملك اليونان جورج الثانى ، وانتخاب حايم وايزمان رئيسا للمؤتمر الصهيونى العالمى . . وانتخاب مصطفى كمال رئيسا لتركيا . .

بدأ شحن اول مجموعة من القطع الأثرية وعددها ٥٠٠ ، تم
ترميمها ونقلت على ٩ سيارات الى محطة سكة حديد الاقصر ٥ أميال
ونصف ميل ثم ٥٠٠ ميل على النيل حتى استقرت على الشاطئ قرب
المتحف المصرى بالقاهرة لتعرض على الجمهور .
وتكررت القصة القديمة التى وقعت فيها قبل نصف قرن .
رأت الفلاحات الصناديق تخرج من المقبرة محملة بالآثار فأخذن
يندبن ويبكين .. ربما على انتهاك حرمة القبور .. وربما على ضياع
مقبرة كاملة بآثارها .. كان يمكن ان تضاف الى قائمة السرقات
الطويلة !!

وفاة اللورد

استقل اللورد كارنارفون الباخرة من ميناء الاسكندرية يوم ١٤ من ديسمبر عائدا الى بلاده ليستقبله ملك بريطانيا جورج الخامس في قصر باكنجهام يوم ٢٢ من ديسمبر ويستمتع باهتمام الى وصف الحفائر والاكتشافات الهامة التي أجراها اللورد في مصر خلال ستة عشر عاما متتالية .

وكان ذلك تكريما للورد ، لم يحظ كارتر بمثله ، فلم يستدع أبدا الى قصر ملك بريطانيا .

وفي قوائم « الانعامات السامية » باللقاب التي تعلن في بريطانيا في بداية كل عام خلت قائمة يناير عام ١٩٢٣ من اسم كارتر بينما منح لقب لمدير مصلحة الجمارك في نيوزيلندا !

أما فؤاد ملك مصر فلم يكرم أيا من الرجلين مكتفيا بعبارات الشاء التي اغدقها عليهما قائلا « ان اسميهما سيقيان خالدين في تاريخ مصر القديمة وعلم الآثار » .

ولكن اللورد كارنارفون خلال اقامته القصيرة في لندن ، بعد الكشف ، لم يهنأ بالشهرة .

بعث اليه الكونت لويس هامون « قارئ اليد » الشهير يطلب منه عدم دخول مقبرة توت عنخ امون . . مرة اخرى .

وفي هذه الرسالة قال هامون أن أميرة مصرية تراءت له محذرة اللورد لأن دخول المقبرة سيعرضه للمرض ، وسيطارده الموت في الأقصر ، اذا استمر يحفر في الوادي .

وقال هامون : « إن عصيان هذه النصيحة سيلحق الخطر باللورد .

وكان كارنارفون يعرف هامون فهو الذي تنبأ بيوم وفاة الملكة فيكتوريا ، واغتيال ملك ايطاليا ، ومحاولة اغتيال شاه ايران في باريس .

وهامون تعرض لغضب اسرته فكان يسمى باسم آخر هو « شبيرو » لان اسرته ترى انه لا ينبغي لاحد افرادها أن يقرأ الكف .

وتحت الاسم المستعار قرأ هامون كف سارة برنار الممثلة الفرنسية الشهيرة ، ومارك توين الكاتب الامريكى ، وجوزيف تشمبرلين السياسى البريطانى .

خاف اللورد فرأى ان يستشير منجما آخر هو « فيلما » الذى تنبأ باغتيال قيصر روسيا وابنه في الثروة البلشفية !

قرأ « فيلما » يد اللورد ، ثم نظر في كرتة البللورية وقال :
- أرى خطرا كبيرا أمامك .

زاد اضطراب اللورد ، فانصرف ليعود بعد فترة ليسمع تحذيرا جديدا من « فيلما العظيم » كما كان يسمى في ذلك الاوان !
قال له :

- هل تستطيع أن تكشف شيئا اخر ؟

أجاب فيلما :

- أرى الخطر يتضاعف . وفي راحة يدك أجد خط الحياة يعادل عمرك
الآن - ٥٧ سنة - ان الصور تتابع أمامي واحدة بعد الاخرى . . معبد
مصرى ، ورجل وقور مصرى جرد من كبريائه .
... ربما يقصد الملك الذى اكتشف قبره .

واضاف فيلما :

- لو كنت مكانك لا نسحبت ببيان علنى التمس فيه عذرا . . بدلا من
الانطلاق نحو كارثة .

قال اللورد :

- يجب أن أتم ما بدأت . انها مغامرة أتحدى فيها القوى الخفية .
روى هذه الوقائع كاتب بريطانى هو بارى وين فى كتابه « خلف قناع
توت عنخ آمون » نقلا عن ابن اللورد كارنارفون قائلا « ان الايمان
بالسحر وقراءة الطالع كان طابع تلك الأيام » .

* * *

ولم تكن هذه اول مرة يوجه فيها للورد هذا التحذير

○ ○ ○

شاهد العالم الصحفى ارثر ويجال اللورد يدخل المقبرة يوم افتتاحها

قال :

- اذا استمر اللورد بهذه الروح فانى أعطيه ستة اسابيع فقط يعيشها !
وقال فلاح من صعيد مصر :

- هؤلاء الناس يبحثون عن الذهب ، ولكنهم لن يجدوا الا الموت !

عاد اللورد الى الاقصر ومعه سيارة « فورد » تعتبر من اوائل السيارات التى عبرت النيل الى الضفة الغربية فى وادى الملوك .
وهللت صحيفة التايمس لوصول السيارة الى المدينة واعتبرتها حدثا هاما ادى الى كثير من الاثارة بين السكان .
فوجيء اللورد فى الاقصر بابنته الليدى ايفلين تبلغه بانها تحب صديقه وشريكه هوارد كارتر .
انفجر اللورد فى ابنته غاضبا يعاتبها لانها تحب رجلا يكبرها سنا ويقل عنها فى الطبقة الاجتماعية .
وقال اللورد ان كارتر الذى يعمل عنده ليس زوجا مناسباً لابنته .
وتوجه اللورد على الفور الى عشة كارتر يلومه .
قال كارتر انه لا يميل الى ايفلين وليس لديه وقت لغرام لانه يحب عمله الاثرى .
قال اللورد ان ذلك زاد ايفلين هياما تحول العتاب الى كلمات غاضبة ، وتبادل الرجلان السباب .
ولم يجد كارتر ما يقوله الا ان يأمر اللورد بمغادرة العشة . فلما لم يخرج كارنارفون طرده كارتر .
أقسم اللورد انه لن يعود الى هذه العشة ابدا .
عرف بالامر العالمان الاثريان جيمس هنرى بروسند والسير الان جاردنر فحاولا التوفيق بين الرجلين دون جدوى .
وفشل وينلوك رئيس بعثة متحف المتروبوليتان ايضا . وتنبأ بأن القطيعة بين كارنارفون وكارتر ستكون ابدية .

- في رسالة كتبها جيمس برستد في ١٣ من مارس ١٩٢٣ قال ان الانفصال

اصبح محتوما بين الصديقين ، الشريكين .

علقت صحيفة « ستار » اللندنية على الازمة بين الرجلين « حيث
توجد الجثث تتجمع النصور وهذا ماحدث حتى عند قبر الفرعون توت
عنخ امون »

وقالت « . . النصور تسير على طريقة النصور فيما يتعلق بالجثث . .
فتنهمك في مرح في نقرعيون بعضها .

وتقول الحكومة المصرية انها المالكة . وتقول نصور اخرى في نشيد
جماعى اننا الملاك . طبعاً وتبدأ الاجنحة في التحليق .

ومضت « ستار » تقول هناك شيء غير لائق يكمن في الخطه
الاصليه لنهب مقبرة والعبث في مومياء فرعون بيت يتم بدعوى ظاهريه هي
مصلحة العلم

ويصبح الأمر مسلماً عندما يتشاجر خبراء علم الآثار فيما بينهم حول
الغنائم. مثل الكلاب الضالة التي تتزاحم على جثة ممزقة « . .

ولم تكن صحيفة ستار تعرف سر الصراع بين اللورد وكارتر !

قال لى توماس هوفنج المدير السابق لمتحف المتروبوليتان انه اطلع
في الاوراق الخاصة للورد في عزته في هاى كليرك في انجلترا على الرسائل
الغرامية التي بعثت بها الليدى ايفلين الى كارتر .

وقال ان الفتاة التي كانت في الحادية والعشرين تعلق بكارتر وكان في
التاسعة والاربعين لانها رأت فيه نجما تتحدث عنه الصحف وتشير

اليه .

وقال هوفنج ان الاسرة التى سمحت له بالاطلاع على الاوراق
الخاصة طلبت منه عدم نشر الرسائل . وهددت بمقاضاته . فرأى ان
يكتفى بالاشارة اليها تلميحا فى كتابه خاصة وان الليدى ايفلين التى كانت
على قيد الحياة فى ذلك الوقت ظلت مريضة نحو عشر سنوات لا تستطيع
مغادرة الفراش .

ولكن نتيجة المشادة الحادة بين اللورد وكارتر ان احدهما لم يتحدث
بعد ذلك الى الآخر . . . قط !

بعد يومين بعث اللورد برسالة صلح الى كارتر قال :
« عزيزى كارتر

ينتابنى اليوم حزن شديد ولا اعرف مايجب ان افكر فيه أو أفعله .
وقد رأيت ايفلين التى أخبرتنى بكل شئ .
لم يعد لدى شك فى انى اتيت ببعض التصرفات الطائشة . وأشعر
بالاسف الشديد لذلك

وأعتقد أن حالة من الهياج والقلق اثرت على ولكن هناك شيئا واحدا فقط
أريد قوله وأمل أن تذكره دائما مهما كانت مشاعرك فى الوقت الحاضر أو فى
المستقبل وهو ان مشاعرى نحوك لن تتغير ابدا .
انى رجل قليل الاصدقاء . ومهما حدث فلن يكون هناك شئ قادر
على تغيير عواطفى تجاهك .

وعادة يتميز الوادى بالضوضاء الشديدة ونقص الهدوء وعدم القدرة
على الحفاظ على الاسرار . وهو الامر الذى جعلنى اشعر بانه لاينبغى على

ان اقبالك بمفردك على الاطلاق رغم انى اتوق كثيرا الى لقائك والحديث الممتع معك .

وقد شعرت بالراحة بعد أن كتبت اليك هذا الخطاب .

صديقك المخلص

كارنارفون

ورغم هذه الرسالة فإن اللورد ربما يكون قد فكر فى الاستغناء عن خدمات كارتر إلى الأبد . . رغم ثقة اللورد بأن كارتر وحده يستطيع استكمال عمله فى المقبرة .

ولا يعرف احد ما الذى كان يحدث لو أن اللورد طرد كارتر !

ولكن القدر يتدخل مرة أخرى !

وتجىء اللعنة لصالح هذا الكشف الغريب !

زار اللورد أسوان ، وأقام فى فندق « الكاتاراكت » الشهير ودخل معبد « فيلة » ثم عاد إلى الأقصر يوم ٦ من مارس .

تردد يومين على وادى الملوك فلدغته بعوضة - فى خده الأيسر - قيل إنها من الوادى وقيل إنها من الأقصر ، لأن الوادى لا يعرف البعوض .

ولم يتبهِ اللورد فى البداية لخطر البعوضة ، فهو رجل اعتاد زيارة مصر بانتظام خلال العشرين سنة الماضية ، ومر بموسى الحلاقة على الجرح فتسمم من التراب أو من ذبابة . . واللورد لا يدرى !

وجدته ابنته يرتجف من البرد فأجرت له علاجاً مؤقتاً أدى إلى تحسن صحته . وظن أنه شفى ولكنه انتكس مرة أخرى فنقلته ابنته ، وهو مغطى ببطانية ، إلى القطار ثم إلى القاهرة يوم ١٤ من مارس للعلاج .

اقام اللورد بفندق الكونتنتال وساءت حالته يوم ١٧ من مارس ولكن ابنته بعثت في اليوم التالي برسالة الى كارتر قالت فيها ان اباه مريض بالانفلونزا .

وفي اليوم التالي أعلن رسمياً مرض اللورد وقال البيان « ان المرض جاء نتيجة عضه حشرة ! »

نشر النبأ في الصفحات الاولى من الصحف لأن كل اعمال وحركات اللورد اصبحت تحت الاضواء

في رسالة تالية قالت ايفلين ان صحة والدها تتدهور ولا يستطيع الحركة .

وتوالت الرسائل على كارتر من القاهرة . . .

البرت ليتجو يقول ان البعوضة مؤذية وإن اللورد مصاب بالتهاب

رئوى .

أبرقت ايفلين تستدعى والدتها من بريطانيا .

استقلت الأم طائرة من لندن الى مطار « لى بورجيه » في باريس وكان

الطيران شيئاً جديداً ، مما استرعى انتباه الصحافة الى خطورة مرض كارنارفون .

ومرضت الليدى فى باريس وامت الرحلة بالقطار من باريس الى
مرسيليا وبالبخرة الى الاسكندرية فوصلتها يوم ٢٦ من مارس .
ويكتب ريتشارد بيتيل سكرتير اللورد - وأبوه لورد أيضا ! الى كارتر
إن كارنارفون فى حالة خطرة وأن الجرح تسمم ، ودماء اللورد
تسمت ، ودرجة حرارته ارتفعت ، ولم تنخفض ، ويخشى أن يصبح
المرض خطيرا جدا .
أبرقت ايفلين الى طبيب الاسرة الاستراالى جونسون للحضور من
لندن .

وأرسلت تستدعى اخاها الضابط بالجيش من الهند . بعد ان بدأت
اسنان الاب تساقط .
* * *

كان الابن يلعب «البولو » أمام اللورد ريدنج نائب ملك بريطانيا فى
الهند عندما تلقى البرقية فأمر ريدنج بالحاق عربة بقطاره الخاص ليستقله
الابن من دلهى الى بومباى .

ووافقت قيادة الجيش على منح الابن أجازة ٣ شهور . فترك زوجته
فى الهند ، ليسافر وحده . . مسرعا .

وكان مدير أكبر شركات الملاحة البريطانية « ب أند أو » حاضرا
فقال ان احدى سفنه ستبحر غدا من بومباى الى السويس وانه سيأمر
بتخصيص مكان للابن رغم ان البخرة كاملة العدد .

وأبرق المدير الى القبطان لمضاعفة سرعة البخرة الى ٢٢ عقدة فى
الساعة ، ومضاعفة عدد العمال فى عدن الذين يزودون السفينة بالفحم
حتى لا تتعطل فى الميناء .

قال أحمد شفيق باشا « ان الباخرة كانت تقل الحجاج المسلمين في طريقهم الى السعودية فأخذوا يبتهلون الى الله أن يشفى اللورد !
في السويس وجد الابن زورقا خاصا أقله الى رصيف الميناء بأمر من اللورد اللنبى المندوب السامى البريطانى فى مصر .

وفى الطريق إلى القاهرة كان الابن يحدث نفسه : « انه لم يعرف أباه منذ صغره فقد تعلم فى مدرسة داخلية ثم التحق بالجيش عقب تخرجه ، ولم ير أباه إلا ليلة عيد الميلاد عند زواجه عام ١٩١٦ » .

وجد الابن ابا لا يعرفه ولكن يتشبت بالحياة كما فعل قبل عشرين عاما فى المانيا عند اصابته فى حادث السيارة .

طال شعر الذقن ، والعيون حمراء ، والزبد يتصاعد من الفم .
- انا ابنتك

رد الأب قائلا :

- هل تذكر كيف كنا نحارب الايطاليين وهم يفرون أمامنا كالفيران ؟
نظر الابن الى أبيه فى دهشة فالأب لم يلتحق بالجيش بسبب ضعف صحته ولم يشارك أبدا فى حرب .

تطلع الابن إلى الممرضة التى أشارت إليه بأن أباه يهذى .
وأدرك الابن أنه قطع المسافة كلها من الهند ليجد أبا لا يستطيع التعرف على أحد . . حتى ولده !

وأحس بالاكئاب فهذا أبوه أمامه . . سياسى مغامر ، ورجل

أعمال ، وفنان ، وجامع تحف ، وصاحب حظائر الخيول وقد أضاف
إلى هذا كله موهبة جديدة في الحفر والتنقيب ومع ذلك فإنه يهذى
ويردد :

- سمعت النداء وأنا مستعد !
ويردد :

- عصفور يخدش « يخرش » وجهي .
وهي كلمات كتبت على قبر « نخبت » لمن يفعل أى شيء ..
لقبرا !

في الثانية من صباح ٥ من ابريل ١٩٢٣ ، أيقظته الممرضة من نومه
قائلة :
- لقد مات .. منذ خمس دقائق .

وقالت شهادة الوفاة التي صدرت في القاهرة والمحافظة في « قلعة
هايكليز » في انجلترا أن اللورد مات وعمره ٥٧ سنة - ولد في ٢٢
يونيه ١٨٦٥ - وأن الوفاة تمت في الساعة الواحدة و٤٥ دقيقة يوم ٥
ابريل عام ١٩٢٣ .

وفي الطريق الى حجرة أبيه اطفئت الأنوار في الفندق ، وفي القاهرة
كلها ، فأضاء بطاريته ليجد أمه راكعة بجوار السرير تبكي .. وتصلي .
بعد دقائق عادت الأنوار مرة أخرى .

وكان طبيب الاسرة يهبط في اللحظة نفسها من السفينة في بورسعيد .
وفي اللحظة ذاتها أخذت كلبة عرجاء اسمها « سبوزى » يملكها
الابن في عزبة الاسرة في انجلترا - تعوى - وتطلق صيحات مرعبة ثم
١٨٤

ماتت ساعة وفاة اللورد . . مع مراعاة فروق التوقيت !

نشرت صحيفة « التايمس » نبأ الوفاة في طبعتها الأخيرة .

وأبرزت صحف العالم نبأ وفاه اللورد بطريقة حجبت أنباء عالمية هامة في ذلك اليوم مثل اعدام السوفييت للبولنديين ، واحتلال الفرنسيين أراضي في منطقة « الروهر » الالمانية !

وربطت صحف القاهرة في الصباح التالي بين وفاة اللورد وإطفاء الأنوار وزعمت أن ذلك تم بأمر من الملك توت !

وقالت ان كارنارفون رفض تحذيرات الملك المستمرة من اقتحام قبره وأن الملك قد انتقم .

تلقى الابن رسالة من اللورد اللنبى يطلب منه الحضور في العاشرة صباحا .

قال اللنبى :

- رأيت ان اقدم لك تفسيراً عما نشرته الصحف عن انوار القاهرة التى اطفئت امس وقدم المهندس الكولونيل كورنول مدير الكهرباء الذى روى له القصة . قال :

كنت في سريرى عندما دق جرس التليفون من المدير المناوب الذى ذكر ان عطلا لايعرف سببه وقع في محطة القاهرة وطلب منى الحضور .
أخذت في ارتداء ملابسى عندما عادت الاضواء فجأة ولكنى ذهبت الى المحطة ولم أجد تفسيراً او جواباً مقنعاً للعطل .

ان القاهرة اضيئت بالشموع والقناديل ونجوم السماء ساعة وفاة اللورد . . لسبب مجهول .

قال مورتون مراسل صحيفة الديلي اكسبريس البريطانية ان المصادفة الغربية فسرت على نطاق واسع على انها روح الشر .

صدم الناس في مصر من وفاة اللورد الفجائية . . واعتبر العالم الاثرى السير وليم فلنדרز بيتري هذه الوفاة مصيبة وكارثة . وقال العالم نيوبرى الذى التقط كارتر من احدى قرى انجلترا ، انه في كل تاريخ الحفريات لم تقع مثل هذه المأساة . وتساءل الاثريون عمن يمول عملية التنقيب بعد وفاة اللورد الذى اضطلع وحده بعبء التمويل خلال ١٦ سنة .

أعلن في القاهرة رسميا ان الالتهاب الرئوى والتسمم في الدم اديا الى وفاة اللورد الذى اوصى بان يدفن في الخلاء في عزبته في بريطانيا ولا يدفن في الكنيسة الصغيرة داخل العزبة .

نقل جثمان اللورد الى المستشفى لتحنيطه كما حنط جثمان الملك المصرى !

. ولكن تاخر وصول الجثمان الى انجلترا فقد مرض كارتر وفزعت الأرملة السيدة المينا وبقيت في مصر حتى شفى كارتر . وصحبت السيدة المينا جثمان اللورد على سفينة فألغى عدد من المسافرين رحلتهم عليها تشاؤما وخوفا .

ودفن اللورد يوم ٣٠ من ابريل فى تل يطل على قلعة
« هايكلير » .

بعد الدفن مباشرة ظهرت سيدة اسمها « ويلما » قالت لابنه :
لا تقترب من قبر أبيك ، انه سيحمل اليك الحظ السيء .

ولم يزر الابن قبر أباه قط !
.. مات اللورد دون أن يعرف ما إذا كانت مقبرة وادى الملوك
تحتوى على مومياء الملك المصرى ، ودون أن يتطلع إلى ملامح
الفرعون الذى أثرت حياته ووفاته على اللورد وأسرته .

وبعد وفاة اللورد بيومين نشرت صحيفة « التايمس » المقال
الأخير الذى كان كارنارفون قد بعث به من الأقصر .

بدأ اللورد هذا المقال قائلا :
« لقد وصلنا الآن إلى مرحلة النهاية » .

وكان يقصد بذلك نهاية موسم التنقيب ، لا نهاية الحياة !
وفى هذا المقال تمنى « أن تبقى مومياء الملك فى مكانها الذى ظلت
فيه ٣٠ قرنا » .

وأقيمت الصلوات على روح اللورد فى القاهرة ولندن وحضرها وزراء
من هنا وهناك وأبرق ملك بريطانيا معزيا .. وكذلك سعد زغلول .

استمرت صحف القاهرة تربط بين اكتشاف المقبرة ووفاة اللورد .
قالت إن أصعبه جرح من آلة أو حربة مسمومة داخل المقبرة .. وأن
السم كان قويا بدليل أنه احتفظ بتأثيره ثلاثة الاف عام .

وقالت أن نوعا من البكتريا نما داخل المقبرة يحمل المرض
والموت .

كتب كلير شريد ان فى صحيفة « ورلد » .

« دفع اللورد الثمن لانه جرؤ على مديده الى شرقى ميت ، وكل
مومياء فى اوربا لها تاريخ شرير مع الذين يعترضون طريقها » .

وفى باريس قال الفلكي لانسيان :

« لقد انتقم توت عنخ آمون » .

وتحدثت منافسته السيدة فرايا فقالت :

« تقدم علم الروحيات فى مصر وذهب اللورد ضحية للروح المزدوجة

للملك توت » .

ولكن السير ارثر كونان دويل مؤلف شخصية شيرلوك هولمز قال :

« تستطيع المومياء المصرية ان تشع روحا شريرة . وربما يكون

السبب فى وفاة اللورد . . لعنه الفراعنه !

وقالت صحيفة التايمس تنعى اللورد :

« انه لن يرى ملامح الملك الفرعونى الذى ظل يبحث عنه ستة عشر

عاما أيد أخرى ستزيل الاكفان . وعيون أخرى سترى بعد ٣٠٠٠ سنة ،

لاول مرة ، مومياء الملك .

انه لم يحصل على الجائزة التى تمنهاها » .

. . وقد تكون هذه هى اللعنة التى احاطت باللورد . .

وعلى ايه حال فقد لاحظته اللعنات . . لان كل أوراقه الخاصة

احترقت اثناء غارات الالمان على لندن عام ١٩٤٠ .

كتبت صحيفة نيويورك تايمز نبأ الوفاة في الصفحة الأولى تحت عنوان بارز وقالت : نشرت وفاة اللورد على نطاق واسع ، النظريات عن انتقام الفرعون ..

وكتبت الصحيفة خبرا صغيرا عن مرض الزعيم السوفيتى الكبير لينين وتوقع وفاته في اية لحظة !

وقالت صحيفة « الديلى اكسپريس » البريطانية بعد ٤٨ ساعة من الوفاة تحت عنوان عريض :

« جامعو الآثار المصرية في رعب . اندفاع لتسليم الآثار المصرية للمتحف البريطانى . خوف لا مبرر له » .

وقالت الصحيفة ان الناس وجدوا الخلاص في التنازل عن الآثار التي اخذوها في وقت من الأوقات من المقابر المصرية - او اشتروها من مصر - تبركا ! وشحنوا كنوزهم من التماثيل والآثار المصرية الى المتحف البريطانى ، الذى تلقى ايضا اجزاء بشرية قال اصحابها انهم اخذوها في وقت من الأوقات من المقابر المصرية او اشتروها من صعيد مصر .. !

وطالب الجميع بوضع الآثار المصرية في دواليب زجاجية محكمة ، داخل المتحف . وفي اماكن بعيدة .. منعزلة !

وطلب السياسيون الامريكيون فحص موميאות الفراعنة في المتاحف . وفي كل مكان ، خوفا من ان تحتوى على الميكروب الذى أودى بحياة اللورد !!

ولكن رجال المتحف البريطانى وجدوا فى هذه الخرافات ،
والاساطير ، واحاديث اللعنة ، نعمة كبرى لأن المتحف - عن هذا
السبيل - جمع كثيرا من الآثار المصرية !!

وحاول رجال المتحف القضاء على مخاوف الناس فقالوا :
- لو ان اللعنة حقيقية ما عاش اثرى واحد . ولو قلنا ان ساحرا مصريا
يملك منذ آلاف السنين القدرة على قتل رجل - الآن - فان ذلك يحمل
اللعنة اكثر مما تحتمل .

قال رئيس تحرير مجلة « السحر » . . رالف شيرلى . . ربما يكون
احد المصريين قد ضاق بما فعله اللورد من دخول المقبرة فوضع السم
فيها .

رد أحد مشاهير الكتاب « الجرنون بلاكود » :

« ولماذا يؤثر السم فى رجل واحد فقط ؟ »

ولكن هذا المنطق لم يعجب عالما فرنسيا فقال :

كارتر خبير له حصانة يعرف ما يلمس ، وما لا يلمس ، أما
اللورد فليس خبيرا ، ولذلك قتل « !

* * *

وزار الاستاذ « لايجستر » المنوم المغناطيسى المشهور وادى
الملوك مع بعض الصحفيين فاخطف ذبابتين ، احدهما من مدافن
امنتح ، والثانية من مدفن توت عنخ آمون .

وقدمهما للتحليل الكيميائى البكتريولوجى فلم يظهر فى الذبابة
الاولى شئ غير عادى . وظهر فى الذبابة الثانية - المأخوذة من مدفن
توت عنخ - آثار سم شديد التأثير يحدث احتقانا فى الجهاز التنفسى .

سئل لايجستر :

- هل يرى فى ذلك ايضا حالما نسب من الاسرار الغامضة عن موت لورد كارنافون

قال :

- ربما كان فيه دليل على ذلك .

وقال عن حكايات اللعنات :

- انها قد تكون حديث خرافة ولكن قوة الاسرار لا تنكر .

وقال :

- هناك فى أعماق تلك المقابر الفرعونية حقائق غريبة قوية يدركها

الخبيرون بالأسرار الغامضة من المصريين .

وقد وقفت بازائها مضطربا وشعرت بعاطفة احترام فى اعماق نفسى

وجاذبية كبيرة .

سئل .

- هل شعرت بتأثيرات اخرى معنوية ونداءات من عالم غير منظور

قال انه يدرس امرا لا يستطيع تفسيره حتى الان .

ولم يعرف ابدا اذا كان المنوم المغناطيسى اراد استغلال حكاية

اللعة ليزيد شهرته ولكن حكاية الاحتقان فى الجهاز التنفسى اثر زيارة

المقابر ترددت علميا . . فيما بعد .

* * *

وبدا يقال ان كل اثار مصر الفرعونية تحمل ثناياها اللعنة لان احدا لم

يسمع عن وفاة انسان نتيجة عضه بعوضة فحسب دون ان يصاب بالمalaria

أو الحمى الصفراء . . .

ولكن اغرب ما في هذه القصة. ان البعوضة عضت اللورد في خده
الايسر ..
... والاصابة التي وجدت في مومياء توت عنخ آمون كانت في خده
الايسر أيضا !!

لعنة تحمى الفرعون

وجدت على صخرة فى مدخل مقبرة توت عنخ آمون هذه الكلمات بالكتابة الهيروغليفية : « لتضمير اليد التى ترتفع فى وجه هيكلى . وليحرق الدمار بأولئك الذين يهاجمون اسمى وقاعدتى وموميائاتى التى هى صورى . وسرعان ما ستحمل أجنحة الموت أولئك الذين يدخلون هذه المقبرة » !

وفى المعابد والمقابر المصرية وجدت كلمات تهدد « بالويل » الذين ينتهكون حرمة القبور . وقد توفى الكثيرون من الذين لهم دور فى إكتشاف مقبرة الملك توت عنخ آمون فقال المصريون والأجانب ان « لعنة » الملك توت عنخ آمون .. حلت بهم ! .

بدأت حكاية « اللعنة » بعصفور الكنارى الذهبى الذى حمله كارتر معه عند حضوره إلى الأقصر .
وعندما اكتشفت المقبرة ، اطلقوا عليها ، أول الأمر ، إسم « مقبرة العصفور الذهبى » .

وسافر كارتر إلى القاهرة ليستقبل اللورد كارنارفون فوضع مساعده كالندر العصفور فى الشرفة ليحظى بنسمات من الهواء .
ويوم إفتتاح المقبرة سمع كالندر إستغاثة ضعيفة كأنها صرخة انسان فأسرع ليجد ثعبان .. كوبرا يمد لسانه إلى العصفور .. داخل القفص .

قتل كالندر الثعبان ولكن العصفور كان قد مات !
وعلى الفور قيل إن « اللعنة » بدأت مع فتح المقبرة ، فان ثعبان
الكوبرا يوجد على التاج الذى يوضع فوق رأس تماثيل ملوك مصر .
وقيل أيضا ان هذه بداية انتقام الملك من الذين « أزعجوه » فى
مرقده .

واعتبرت صحيفة « النيويورك تايمس » وفاة العصفور « حادثا
فريدا » بينما رأى عالم الآثار جيمس هنرى برستد . . أن شيئا رهيبا فى
الطريق !

* * *

بعد وفاة اللورد انتشرت قصص اللعنة ، وتعددت أقوال الصحف
عن انتقام الفراعنة و« أرواحهم » التى تتعقب جامعى الآثار .
وأعطى عالم المصريات الفرنسى الأستاذ مادرو ثقلا لحكاية لعنة
الفراعنة . . وذلك بعد عام من وفاة اللورد .

عقد مؤتمرا صحفيا أعلن فيه أن القرن العشرين رفض المعتقدات
المصرية القديمة عن حضارة مصر .

وقال ان قبر توت عنخ آمون هو أول قبر لفرعون مصرى ، لم
ينهب ، ولم ينبش ، ولم يسرق خلال ثلاثة آلاف عام . وقد ترك فيه
الكهنة المصريون وسائل حماية الفراعنة من الذين ينتهكون حرمتهم .
وأخذ مادرو يعدد أسماء أولئك الذين ماتوا بعد دخولهم المقبرة ،
أو ماتوا نتيجة لعنة الفراعنة بصفة عامة ، الملك توت أو غيره :

* وانتحر إيفلين هوابت عالم الآثار المصرية بجامعة ليدز في ظروف غامضة بعد أن ترك رسالة يقول فيها « حلت بى اللعنة » !

* ومات ليون باسكت مصمم الأزياء الفرنسى الذى صمم مجموعة ايزيس ليلة افتتاح العرض .

* ومات جورج بنيديت أمين قسم الآثار المصرية بمتحف اللوفر بضربة شمس وهو يغادر مقبرة الملك توت .

* وكازانوف الأستاذ بكلية فرنسا ، الذى حفر فى وادى الملوك ، مات فجأة .

* الكولونيل أوبرى هربرت ، وهو نصف شقيق للورد حضر افتتاح المقبرة ومات فى نفس سنة وفاة كارنارفون .

وفى السنة ذاتها مات الأثرى المصرى أحمد كمال وعالم المصريات الأمريكى هنرى جودير .

وفى العام التالى ١٩٢٤

أرشيبولد دوجلاس ريد خبير الأشعة .

وفى عام ١٩٢٦ .

المليونير الأمريكى جورج جاى جولد صديق اللورد الذى سافر إلى الأقصر فدخل المقبرة ليشاهد الكشف الشهير .

وفى الصباح التالى أصيب بحمى ومات فى المساء .

وأردن أمبر عالم الآثار الأمريكى الذى أراد إنقاذ مخطوط ألفه عن « كتاب الموتى » المصرى من بيته وهو يحترق .. فاحترق معه !

ومعرضة اللورد كارنارفون ماتت في الثامنة والعشرين وهي تضع طفلها الأول .

وقال مادرو :

- يجب ألا نرفض هذه الروحيات أو الخرافات ، أو السحر ، بمجرد هزة كتف !

وأضاف :

- ان المصريين خلال سبعة آلاف عام مارسوا تقاليد سحرية ولا بد أنهم ركزوا قوة ديناميكية لمنع إزعاج الموتى وإقلاق راحتهم !

وفي كتاب الصحفي الألماني فيليب فاند نبرج « لعنة الفراعنة » روى حكايات كثيرة غامضة عن قتلى ومرضى من رجال الآثار .

ولم يجد الأطباء تفسيراً إلا القول بأن هؤلاء « قتلهم » أو « أصابتهم » ، لعنة الفراعنة ..

حضر الاحتفال بإفتتاح غرفة الدفن ، يوم ١٧ من فبراير ١٩٢٣ اناس كثيرون ، مات منهم ١٣ .

وقال فاندنبرج إنه منذ إكتشاف المقبرة حتى عام ١٩٢٩ مات ٢٢ شخصا كانت لهم صلات مباشرة ، أو غير مباشرة ، بالتنقيب والحفر وكشف المقبرة وفحص وترميم آثارها .

* * *

استمرت حكاية اللعنة تروج ..

قالت الكاتبة البريطانية ماري كوريللي إن لديها كتاباً باللغة العربية من معلم لويس السادس يقول فيه :

« توجد في القبور المصرية أسلحة سرية تقتل سارقى القبور » .
ومارى كوريللى ألقت قصصا وروايات كثيرة عن عالم الأرواح طبعت
أحداها ٤٠ مرة .
وهذه الكاتبة لم تتزوج . وصررت ذلك بأن لديها ٣ حيوانات :
كلب ينبج صباحا . ويبغاء يسب عصرا ، وقطيعود متأخرا كل مساء !
رد على ماري كوريللى السير واليس ارنست بادج أمين القسم المصرى
بالمتحف البريطانى قائلا : « توجد نسخة من هذا الكتاب في
المتحف . وقد مات مترجمه عام ١٦٦٧ ولا يمكن أن يكون معلما
للويس السادس الذى مات عام ١١٣٧ !

استقرت عام ٢٩ فكرة اللعنة تماما بالنسبة للذين ارتبطوا بوادى
الملوك .
أضيف للقائمة :
* الليدى اليزابيث كارنارفون ، عضتها حشرة .
* السيدة الأمريكية ايفلين جريللى التى انتحرت عند عودتها لشيكاغو
بعد زيارة المقبرة .
* لافلير أستاذ جامعة ماك جيل الكندى الذى كان ضيفا على كارتر بعد
زيارة المقبرة .
* الدكتور جوناثان كارفر أحد مساعدى كارتر .
* ريتشارد بيتل سكرتير كارنارفون الذى وجد ميتا على كرسية
بنادى « ماى فير » .

* اللورد ويستبرى - والد رينشارد بيتل - الذى إنتحر بعد سماع نبأ وفاة
إبنه بإلقاء نفسه من الدور السابع فى بيته قرب قصر بكنجهام - وقد ترك
رسالة يقول فيها :

« لا أستطيع مغالبة رعب أكبر ولا أظن فائدة فى بقائى » .

* أثناء موكب جنازة ويستبرى مات صبى فى الثامنة من عمره
تحت عربة الموتى .

* ادجار ستيل الموظف بالقسم المصرى بالمتحف البريطانى الذى
مات فى حجرة العمليات بمستشفى بلندن .

* وزار على كامل فهمى بك المقبرة وبعد عودته إلى لندن قتلته
بالرصاصة زوجته مرجريت مساء ٩ يوليو عام ١٩٢٣ .

* ارتفع رقم ضحايا اللعنة - عام ١٩٣٥ - إلى ٢٤ شخصا .

* * *

وتلقى كارتر رسائل كثيرة تشرح له كيف يواجه اللعنة .

ونصحه أحد الايرلنديين بإلقاء زيت ونبيذ ولبن على المقبرة
واغلاقها ! .

ومرة أخرى حاول مسئول فى المتحف البريطانى القضاء على هذه
الخرافة فقال :

« لو كانت اللعنة صحيحة لكانت وباء يجتاح الناس » !

* * *

حاولت جامعة بنسلفانيا الأمريكية تكذيب الاشاعة بطريقة علمية
فقالت :

» . . قبل خمس سنوات اكتشف قبر نبش عام ٢٨٠٠ قبل الميلاد
فكانت رائحته سيئة حتى أن أحدا لا يستطيع العمل فيه أكثر من ساعة
يومية وتنطفئ أية شمعة لأنه لا يوجد أكسوجين يساعد على اضاءتها .
وغاز المقبرة يؤدي إلى الوفاة » .

ونفى عالم الآثار البلجيكي جان كابار ما قيل عن اللعنة .
قال أنه لا توجد كلمات في مقابر الملك توت عنخ آمون تذكر ان
الموت سيأتي على أجنحة سريعة لكل من يلمس قبر الفرعون .
وقال العالم الألماني جورج ستانيدون مدير المعهد المصري في ليزنج
أن معظم الوفيات السابقة لا علاقة لها بالمقبرة .
وأعلن هربرت وينلوك عام ١٩٣٤ أن الأرقام وحدها تكذب موضوع
اللعنة وهي التي تتكلم . وشرح الأرقام قائلا :

* في ٢٩ من نوفمبر عام ١٩٢٢ حضر الافتتاح الرسمي للمقبرة ٢٢
شخصا مات منهم ٦ فقط حتى عام ١٩٣٤ .
وفي ١٢ من فبراير عام ١٩٢٤ شهد فتح التابوت ٢٢ شخصا أيضا
مات منهم إثنان حتى ديسمبر .

* وفي ١١ من نوفمبر ١٩٢٥ حضر ١٠ أشخاص عملية نزع
لفائف الأكفان ، وتعرية المومياء وفحصها بالأشعة وقد ظلوا جميعا
على قيد الحياة ، حتى عام ١٩٣٤ .

ولكن مات في عام ١٩٣٤ نفسه كل من البرت ليتجو صديق
كارنارفون وكارتر ، وأرثر ويجال مفتش الآثار السابق ، الذى وصف
لعدة صحف ، افتتاح القبر وغرفة الدفن ، وكان قد أيد بشدة مارى
كوريللى فى تحذيراتها .

وقصد جامع التحف اللورد هارنجتون الذى اشترى مومياء
مصرية الى السودان وهناك قتله فيل وأزالت الأمطار آثار قبره تماما .
* العالم البريطانى فلنדרز بيتري الذى أمضى سنوات « يحفر » فى
منطقة الأهرام ، مات فجأة فى القدس عام ٣٢ وكان قادما من القاهرة .
* والأستاذ الأمريكى جورج ديزنر الذى كان أول من أذاع من داخل
الاهرامات عام ١٩٣٩ انهارت قواه فجأة داخل مقبرة أم خوفو
١٩٤٢ ونقل شبه مشلول خارج الهرم ليموت فى معسكر قريب

* * *

ولم تقتصر اللعنة على الوفيات التى وقعت بعد العثور على قبر الملك
توت عنخ آمون بل التصقت اللعنة بقبور الفراعنة ومومياواتهم جميعا . .
قبل الاكتشاف . . ويعدده .

* العالم الفرنسى 'جان فرانسوا شامبوليون الذى « قرأ » حجر
رشيد وعرف اللغة الفرعونية مات بعد عامين من زيارته لمصر وعمره
٤٢ سنة .

* الفرنسى بروسير ماريلها الذى سافر مع المسلة المصرية التى
أقيمت فى ميدان الكونكوردي فى باريس مات وعمره ٣٦ سنة ، وهنرى

كورينج الأمريكى الذى سافر أيضا مع المسلة المصرية التى أقيمت فى حديقة سنترال بارك فى نيويورك .

● ريتشارد ليسبيوس الألمانى سارق المقابر المصرية من وادى الملوك
عمر أطول من زملائه رجال الآثار فقد مات فى الرابعة والسبعين ولكنه
أصيب فى أواخر سنوات حياته بأزمة قلبيه أعقبها شلل ومات بالسرطان عام
١٨٨٤ .

● والعالم الألمانى جورج موللر فتن بالآثار المصرية وهو طفل وتعلم
الهيروغليفية فى المدرسة قام بحفائر فى طيبة وأبو صير درس مراسم
الدفن وأمضى معظم سنواته فى مصر داخل مقابر الفراعنة وعمل ملحقا
علميا للسفارة الألمانية بالقاهرة وهو فى الثامنة والعشرين . . مات
بالحمى - وعمره ٤٤ سنة - عندما كان فى رحلة إلى أوسالا .

● تيودور بلهارز العالم الألمانى الذى اكتشف ميكروب البلهارسيا فى
مصر أهدى لجامعة فريبورج شحنة من الجماجم المصرية عام ١٨٥٧ .
زار وادى الملوك فلما عاد إلى القاهرة أصيب بالحمى وعاش فى
غيبوبة اسبوعين أعقبها الوفاة عام ١٨٥٨ .

● وحدث يوم ١٤ من أبريل عام ١٩١٢ أن ابهرت الباخرة تيتانيك فى
رحلتها الأولى من ميناء سووثهامبتن فى انجلترا إلى نيويورك فاصطدمت
بجبل من الجليد .

كانت تقل ٢٢٠٠ راكب وتحمل شحنة ضخمة من الطعام ٤٠ طناً

من البطاطس و١٢ ألف زجاجة مياه معدنية و٧٠٠٠ جوال من البن و٣٥ ألف بيضة .

غرق ١٥٠٠ راكب ولكن أمكن انقاذ الباقيين .
وقال خبراء الملاحة ان الخطأ يرجع إلى ريان البخارة ادوار سميث .

ولكن البعض قال ، بعد إكتشاف مقبرة الملك توت ، ان اللورد كارنافون شحن على السفينة مومياء كاهنة فرعونية من عهد امنحتب الرابع وأن لعنة الفراعنة حلت بالبخارة !

● وجن عالم الآثار المصرية الألماني هاينريش بروكش قبل ان ينتحر عام ١٨٩٤ .

اتقن بروكش قراءة اللغة القديمة وهو في السادسة عشرة من عمره وكان يعامل المومياوات المصرية برقة كأنها أحياء .
بعد الإقامة الطويلة في مصر تغير بروكش تماما وعند عودته إلى ألمانيا أخذ يردد ان أباه كان أميراً مع انه كان «أومباشي» .
وأخذ يشتري قطع آثار مقلدة ويزعم أنها حقيقية . وشكا للصحف من اضطهاد مزعوم لحق به . . قبل ان ينتحر .

● وأصيب بالهلوسة والجنون العالم الألماني جوهان داميشين الذي كان ينقل رسوم المقابر والمعابد الفرعونية طلب إليه الناشرون وضع دليل عن مصر العليا فلما انتهى منه رفضوا نشره لأنه لا يستحق النشر .
وطلبوا اليه اعداد الجزء الخاص بمصر في كتاب عن تاريخ العالم

فكتب ٣٠٠ صفحة قال انها مقدمة للجزء الخاص بمصر . . ورفضوا نشرها ايضا .

وقد فرما أصاب داميشين بأن المصريين القدامى أصابوه بعلمهم لا بلعنتهم عن طريق عقار من عقاراتهم المتقدمة .

في عام ١٩٣٨ اكتشف صيدلى سويسرى هو الدكتور البرت هوفمان عقار الهلوسة . كان يعمل في شركة أدوية عندما ابتلع - دون أن يدري - ذرات من بعض المواد الطبية فأحس بأعراض الهلوسة . راجع هذه المواد وأعاد تحليلها واكتشف العقار .

وربما يكون داميشين قد أمسك ببعض الآثار المصرية ومنست أصابعه شفتيه فتسللت اليهما المادة الطبية المصرية القديمة فأصابته بالجنون !
● وجيوفانى بلزوني الذى سرق الآثار المصرية مات بحمى فى الباخرة التى كانت تنقله على الساحل الأفريقى .

أصابته الحمى واحس بيد الموت تقبض عليه وقال لمن حوله :
- اعرف أنه لم تبق لدى سوى ساعات قليلة أعيشها .
وخلع الخاتم من أصبعه وطلب ان يسلموه لزوجته .

* * *

في عام ١٩٦٦ وافق الرئيس المصرى جمال عبد الناصر على شحن مجموعة من آثار الملك توت عنخ آمون ، وبينها قناعه ، إلى فرنسا لعرضها فى المتحف الصغير بناء على طلب الجنرال ديجول .

عارض الأثرى المصرى محمد إبراهيم فى تصدير هذه الآثار للخارج . ثم عاد فوافق لأنه لم يكن يملك إلا الموافقة . ولكن إبنته أصيبت فى حادث .

وفى الليل جاء من يقول له ، فى الحلم ، إنه يجب أن يستمر فى الاعتراض . وعلى ذلك طلب من الحكومة المصرية إعادة النظر فى الأمر ، ولكن أحدا لم يتتبع إلى هذا الطلب ولم يستجب له المسئولون .

توجه يوم ١٩ من ديسمبر عام ١٩٦٦ إلى السفارة الفرنسية يطلب من السفير المصرى الاتصال بالجنرال دييجول ليسحب عرضه أو يعتذر عن قبول المعروضات .

استمع رجال السفارة باهتمام ثم قالوا للأستاذ المصرى :
- أنت كرجل علمى يجب ألا تصدق هذه الخرافة .
وعند خروج محمد إبراهيم من دار السفارة صدمته سيارة ومات بعد يومين .

بقى من الذين شهدوا افتتاح المقبرة وغرفة الدفن وفحص المومياة بالأشعة اثنان فقط عام ١٩٧٠ .

الأول هى السيدة ايفلين ابنة اللورد كارنارفون وقد ظلت مريضة خلال السنوات العشر الأخيرة من حياتها .

والثانى ريتشارد ادامسون رجل البوليس الحربى البريطانى الذى كان يحرس المقبرة عند افتتاحها وحتى انهى كارتير عمله سنة ١٩٣٢ .

كان ادامسون قد بلغ السبعين من عمره عندما أدلى في أواخر عام ١٩٧٠ بحديث إلى التلفزيون قال فيه :

- لم أؤمن لحظة واحدة بخرافة اللعنة .

وغادر استديو تليفزيون نورويتش في إنجلترا فصدم جرار سيارة التاكسى التى يستقلها وألقاه فى الطريق وتفادته عربة لورى مرت على بعد أشبار من رأسه !

ولم تكن هذه هى المرة الأولى التى يدين فيها ادامسون اللعنة .

ماتت زوجته بعد ٤٨ ساعة من حديثه الأول .

وفى المرة الثانية كسر ظهر ابنه فى حادث سيارة .

وبعد الحادث الثالث عند ستديو نورويتش قال ادامسون :

- كنت - حتى الآن - أنكر أية علاقة لللعنة بما حدث لى ولأسترتى .

ولكنى أعيد التفكير الآن !

* * *

وفى الطائرة الحربية - بريطانيا - التى شحنت بها آثار توت عنخ آمون لعرضها فى لندن عام ١٩٧٢ ركل الضابط الفنى لانسدون بقدمه الصندوق الذى يضم القناع الذهبى وهو يقول - متفاخرا لزملائه :

- ركلت اغلى شىء فى العالم . .

وبعد فترة كان يصعد سلما انهار تحته فجأة . وكسرت رجله وظل فى « الجبس » لا يستطيع حراكا خمسة شهور كاملة .

وتبادل خمسة من ضباط وجنود الطائرة الجلوس فوق صندوق القناع متتابعين وهم يضحكون ساخرين . .

- . . ملاح الطائرة الملازم جيم ويب دمر بيته في حريق أفقده كل ما يملك .
- ومضيفة أجريت لها عملية جراحية في رأسها أدت بها إلى الصلع الكامل .
- والمضيف الأومباشي بريان رونسفول - ٣٥ سنة - الذي لعب الورق فوق صندوق القناع أصيب بأزمتين قلبيةتين خلال السنوات الأربع التالية .
- وقائد الطائرة « ريك لورى » مات بازمة قلبية عام ٧٦ وعمره ٤٠ سنة . وقالت زوجته دولوريس لى :
 - قتلته لعنة توت عنخ آمون .
- والمهندس كين باركنسون مات أيضا بازمة قلبية .
 - وقالت زوجة باركنسون :
 - الأزمة القلبية الأخيرة عام ١٩٧٨ قتلته وهو فى الخامسة والأربعين .
 - وإستمر الناس فى كل مكان يتابعون الحديث عن اللعنة .
- اقام ضابط شرطة ملازم أول اسمه جورج لابرash - ٥٦ سنة - دعوى امام محكمة كاليفورنيا يطالب فيها الولاية بتعويض ١٨٤٠٠ دولار عما أصابه من أضرار نتيجة لعنة الملك الفرعونى القديم .
- وقال الضابط انه كان يحرس القناع الذهبى للملك فى مدينة سان فرانسيسكو لمدة شهر كامل خلال عام ١٩٧٩ .
- خلال تلك الفترة كان يقف على مسافة متر واحد تقريبا من القناع وظل ينظر إليه فأحس بأنه ينوم مغناطيسيا .

أصيب بأزمة قلبية وظل ٨ شهور لا يغادر الفراش .
وعندما جاء أطباء الشرطة لفحصه لم يجدوا به مرضا أو أثرا لأزمة
قلبية .
ومن هنا رفضوا اعتبار ذلك إصابة عمل لانهم لم يستدلوا على
شيء . . . ووصل بهم الأمر إلى اتهامه بإدعاء المرض .
قال الضابطان « اللعنة » لا يمكن اكتشافها في التحاليل الطبية ،
ولا صور الأشعة ، ولذلك يريد من القضاء اثبات أن « اللعنة » حقيقة
ويطالب بالتعويض عنها .
وجمع المحامى كل ما قيل عن « لعنة الفراغة » وقدمها للقضاء
باعتبارها مستندات أساسية ينبغى الاعتراف بها !



واستمرت حكاية « اللعنة » حتى عام ١٩٨٠ .
انتجت محطة ن . ب . س الأمريكية برنامجا تليفزيونيا اسمه
« توت » الملك الطفل اشترك فيه الفنان العالمى أورسون ويلز
وساهمت فى اخراجه الكاتبة جون ريج التى أصدرت بعد ذلك كتابا عنوانه
« يوميات الملك الطفل توت عنخ آمون » .
صور الفيلم فى القاهرة والأقصر ليجمع بين قصة الملك ، وحكاية
الكشف عن قبره .

استقل أحد الممثلين وهو « يان ماكشين » سيارة موديل ١٩٢٢
تشبه تلك التى كان يستعملها هوارد كارتر وكانت بجواره الممثلة
« ايفامارى سانت » فى طريقهما إلى مكان المقبرة .

اندفعت السيارة فجأة من قمة تل ، وتوقفت « الفرامل » عن العمل .

ألقي الممثل روبرت فريزر بنفسه من السيارة المسرعة .
واستطاع كهربائي ضخيم أن يجذب الفنان ويخرجها من السيارة .
أما الممثل « يان ماكشين » فقد اطبقت عليه عجلة القيادة عندما اصطدمت السيارة بشجرة وكسرت ساقه فظل متعطلا - عن العمل سنة كاملة وطالب بتعويض مليون دولار .

وقالت الممثلة « جوان كولنز » انها اعتذرت عن التمثيل في الفيلم خوفا من اللعنة التى تحققت وأصابت زميلها !
* * *

في كتاب « لعنة الفراعنة » يقدم فيليب فاندنبرج أكثر من تحليل علمي لللعنة الفراعنة .

بدأ الملك مينا زراعة النباتات السامة في مصر عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد وسجل تأثيرها .

ومن القصص المعروفة ان كليوباترا نجحت في مزج أنواع مختلفة من السموم وجربتها على العبيد فماتوا . . وعندما عاش البعض أجرت تجارب أخرى كثيرة حتى تتأكد ان سمومها تقتل .

وكان مارك أنتوني لا يأكل - حتى مع كليوباتره - الا بعد أن يتذوق أحد رجاله الطعام ولا يموت . . سما ! .

ذاق العبد كأسا من النبيذ قدمتها كليوباتره فبدأ مارك أنتوني يحتسيها .

أرادت ملكة مصر مداعبته فأخذت وردة من شعرها ووضعتها في القدرح . وعندما رفعه مارك أنتوني إلى شفثيه أوقفته كليوباتره وطلبت من العبد أن يشرب منه . . فمات

قالت كليوباتره لمارك أنتوني :

- كان السم في أوراق الزهرة . وأردت أن أبين لك أنى استطيع قتلك مهما اتخذت من احتياطات .

وهذه القصة ، وغيرها ، تبين أن لعنة الفراعنة يمكن أن تجيىء من السموم التى يبقى تأثيرها آلاف السنين .

إن حور محب طمس وحطم كل آثار من سبقوه الا القبور ، لا نقاء أو طهرا ، بل خوفا من سمومها وما تركه فيها السحرة ولذلك بقى قبر الملك توت عنخ آمون .

وبعض أنواع البكتريا فى قبور الفراعنة يبقى تأثيرها قرونا عندما تتعفن الزيوت والأطعمة والصمغ مع الجسد عندما يتحلل . وقد ثبت من تشريح المومياءات وجود خلايا بكتريا حية فيها . . كما أن بعض هذه الخلايا يصبح أشد ضراوة بعد الموت .

قال عالم الذرة لويس بولجارينى عام ١٩٤٩ :

هناك احتمال قوى بأن قدامى المصريين استعملوا الاشعاعات النووية لحماية أماكنهم المقدسة وربما تكون أرض المقابر قد غطيت باليورانيوم أو أضيفت مادة مشعة من اليورانيوم والذهب إلى صخور المقابر يمكن أن تقتل الإنسان.

وأكد فيليب فاندنبرج ان المصريين عرفوا تحليل الذرة وأنتجوا غازا للأعصاب يحمى القبور ووضعوا نظما دفاعية لحماية القبور بهذه الغازات كما يفعل المعاصرون بأجهزة الانذار المبكر المختلفة .
والأهرامات أيضا . بطريقة تصميمها ، تطلق قوى وطاقات قد تكون مدمرة .
وهذا كله يعبر عنه ، غير العلماء ، بكلمة واحدة هى
« اللعنة » .



فى عام ١٦٥٦ دخل عالم جيولوجى من جنوب أفريقيا كهفا على عمق ١٥٠ مترا تحت الأرض فى روديسيا فشهد آلاف الطوايط المحنطة .
أحس العالم واسمه الدكتور « جون وايلز » بضيق فى التنفس فغادر الكهف .
بعد أيام أصيب بالتهاب رئوى ونقل الى المستشفى .
وجد الطبيب المعالج أن مرض العالم يرجع إلى نوع غريب من الفطريات أرسلها الى الولايات المتحدة لتحليلها لأنه قرأ عن ميكروب مماثل وجد لدى الرواد الذين دخلوا كهوفا فى بيرو .
تبين من التحليل أن الميكروب واحد . . ومن هنا بدأ الشك فى أن يكون الميكروب نفسه هو الذى أدى إلى مرض أوموت الذين دخلوا قبور الفراعنة .
وأكد هذه النظرية الدكتور الدكتور عز الدين طه أستاذ البيولوجيا بطب القاهرة .

عقد مؤتمرا صحفيا في ٣ من نوفمبر ١٩٦٢ اعلن فيه انه فحص موظفي المتحف المصرى ورجال الآثار وعماله فوجد ان البعض منهم مصاب بالتهاب فى الجهاز التنفسى نتيجة فطريات لا بد أنها وجدت فى قبور المصريين القدامى وآثارهم .

وقال إن هذا الميكروب يبين سر وفاة الفراعنة ويقضى على حكاية اللعنة لانه يقدم سببا علميا للمرض .

ولكن توفى الدكتور عز الدين طه نتيجة تصادم سيارته فى حادث . . . كان فى طريقه الى السويس مع اثنين من مساعديه عندما انحرفت السيارة يسارا فاصطدمت بسيارة أخرى قادمة الى القاهرة فمات الطبيب ومساعداه ولحقت اصابات خطيرة بركاب السيارة الثانية . وتبين من الفحص ان خلايا فى الدورة الدموية أدى الى وفاة الطبيب الذى كان يتعاطى مضادات حيوية بصفة منتظمة اثناء اجراء ابحاثه على موظفي المتحف ورجال الآثار :

وبذلك انتعشت من جديد حكاية « لعنة الفراعنة » !

* * *

ولكن . .

هناك حقيقة هامة وهى ان معظم الذين قيل ان « لعنة » الفراعنة الملك توت عنخ آمون قتلهم أغلبهم من الاجانب وليست لهم علاقة بعملية التنقيب والحفر . . انهم مجرد زوار . يبقى شخص واحد وهو اللورد كارنارفون .

انه الرجل الذى جاء الى مصر بحثا عن جوداقيء بعد حادث سيارته
فى المانيا .

وقد انفق المال للتنقيب عن المقبرة ثم مات فكان كل دوره اقتصر
على عمليات التمويل وبعد أن أدى دوره اختفى بالموت بينما
« بعث » ! توت عنخ آمون ! !

وبأخفاء كارنارفون فقد كارتير شخصية ذات نفوذ قوى مؤثر على
المسؤولين بدار المندوب السامى البريطانى وفى الوزارة المصرية ومصصلحة
الأثار . . وكان يمكن لكارنارفون ان يضغط على حكومة مصر لتسلمه
بعض آثار المقبرة .

أما أولئك الذين اشتركوا فى عمليات التنقيب والترميم والحفر ونقل
آثار الملك توت عنخ آمون فهؤلاء عاشوا حتى أنموا مهمتهم . .
وهذه بعض الأسماء . .

هوارد كارتير اكتشف المقبرة عام ١٩٢٢ عاش بعدها ١٧ سنة ومات
عام ١٩٣٩ وعمره ٦٦ عاما .

هارى بيرتون المصور الذى التقط ١٨٠٠ صورة لكل الأثار وصور
أيضا تشريح المومياء عاش ١٨ سنة بعد افتتاح المقبرة ومات عام ١٩٤٠
وعمره ٦١ سنة .

وارثر ميس مساعد كارتير وشريكه فى تأليف المجلد الاول عن العملية
كلها والذى مات فى فندق اللورد كارنارفون .
كل الذين قالوا ان اللعنة لحقت بميس لم يذكروا أبدا انه مات بعد
إكتشاف المقبرة بست سنوات كاملة . .

توفى سنة ١٩٢٨ وعمره ٥٤ عاما .

والبرت مورتون ليتجو أمين القسم المصرى بمتحف المتروبوليتان في نيويورك ، ورئيس بعثة المتحف للبحث عن الآثار المصرية وهو الذى رحب باشتراك أعضاء بعثة المتحف من علماء الآثار والعمال الفنيين عاش ١٢ سنة ومات عام ١٩٣٤ .

وعاش السير فلاندرز بيتري ٢٠ عاما بعد افتتاح المقبرة ومات وعمره ٩٢ سنة .

وهربرت وينلوك الأمين المساعد للقسم المصرى بمتحف المتروبوليتان وعضو بعثته للتنقيب عن الآثار المصرية فى الاقصر ، وصديق كارتر ، الأول أو الوحيد ، كان أول من ابرق الى كارتر يقول إن الآثار التى اكتشفها المليونير الأمريكى تيودور دافيز تؤكد أنها للملك توت عنخ آمون . . وكانت برقية وينلوك أهم حافز لكارتر للاستمرار فى البحث والتنقيب وصولا الى المقبرة .

عين وينلوك مديرا لمتحف المتروبوليتان عام ١٩٣٢ . وعاش بعد افتتاح المقبرة ٢٨ سنة ومات سنة ١٩٥٠ وعمره ٦٦ عاما .

وادوارد روبنسون - مدير متحف المتروبوليتان عند الاكتشاف - والذى اعطى الموافقة النهائية على اشتراك رجال المتحف فى مساعدة كارتر . . عاش روبنسون ٩ سنوات بعد الكشف ومات عام ١٩٣١ وعمره ٧٣ سنة .

والاسماء كثيرة

جوستان ليفيفر كبير امناء متحف القاهرة - حينئذ - عاش ٣٥ سنة بعد الكشف ومات فى الثامنة والسبعين من عمره .

والترهوسر المهندس المعماري ، ومساعد وينلوك في مصر وفي مقبرة الملك توت عاش بعد الكشف ٢٧ عاما ومات وعمره ٦٦ عاما .
وجان كابار عالم الآثار البلجيكي الذي دعا ملكة بلاده لزيارة المقبرة يوم افتتاح غرفة الدفن ورافقها يومئذ عاش ٢٥ سنة أخرى ويوم وفاته كان في السبعين من عمره .

والفريد لوكاس مدير معمل الكيمياء بمصلحة المساحة المصرية والذي رمم كل آثار الملك عاش ٢٣ عاما بعد الكشف ومات وعمره ٧٣ سنة وأنجلباك مفتش آثار الوجه القبلي والذي ظل يتردد على المقبرة يوميا لحمايتها من السرقة عاش بعد اكتشافها ٢٤ سنة ومات وعمره ٥٨ عاما .
والسير الان جاردنر الذي فك الرموز الهيروغليفية التي وجدت على جدران المقبرة عاش ١٧ سنة ومات في السابعة والسبعين .
وعاش ١٣ سنة أخرى بعد الكشف حتى الثامنة والسبعين كل من هنري جيمس برستد عالم الآثار الأمريكي الذي بلغ السبعين وكيبييل مساعد لاکو

والمهندس ارثر كالندر مساعد كارتر عاش ٩ سنوات أخرى
واخيرا بيير لاکو مدير مصلحة الآثار الذي أصر على الحفاظ على كل آثار الملك في مصر طال عمره ! بعد الجميع
عاش ٤١ سنة أخرى بعد افتتاح المقبرة . ويوم مات كان في التسعين من عمره .

... وبعد

فانها لعنة غريبة لم تمس انسانا كان له دور لصالح الكشف ، بل
تركت هؤلاء يعيشون حتى يتم كل منهم عمله في كشف آثار الملك ،
وحفظها ، وترميمها ، ونقلها الى المتحف المصرى فى القاهرة !

المواجهة

رجل واحد أدرك أهمية المقبرة ، منذ اللحظة الأولى ، وفكر في مستقبل آثار توت عنخ آمون . ومن الأولى بامتلاكها .

هذا الرجل هو السير ارنست واليس بادج الذى ظل ٥١ عاما أميناً للقسم المصرى بالمتحف البريطانى زار مصر عدة مرات للتنقيب عن الآثار وجمع كميات هائلة منها للمتحف البريطانى . واستعان بالجيش عندما قامت عقبات في طريق سرقة لآثار مصرية في منطقة الأهرامات .

كتب في صحيفة « التايمس » البريطانية مقالا طويلا عن مصر وتاريخها ، وتوت عنخ آمون ، وذلك بعد ٢٤ ساعة من إفتتاح المقبرة رسميا .

قال :

« تنص القوانين الخاصة بأعمال البحث والتنقيب التى يقوم بها الأجانب في مصر على أن يكون للمكتشف نصف الآثار التى يعثر عليها . وكانت هذه القوانين تسرى بكرم وسخاء في عهد ماسبيرو . ورجاؤنا أن تطبق هذه القوانين أيضا فيما يتعلق بالآثار التى اكتشفت اليوم . وآملنا أن يحذو مدير المتحف المصرى حذو ماسبيرو في معاملته للورد كارنارفون .

إن العامل يستحق أجره . ولكن اللورد كارنارفون أشتغل ١٦ عاما بدون أجر وفوق ذلك أنفق مبلغا من المال » .

ولكن السيرارنست واليس بادج كان يعتقد أن مصر لم تتغير منذ نقب
عن الآثار وسرقها .
قال في مقاله :

« إن الأمر يعتمد على اللورد اللنبي ... وحكومة مصر ! »
فان بادج ظن أن المندوب السامى البريطانى يستطيع أن يحصل
لبريطانيا على ما تريد من آثار الفرعون .

كانت هذه مجرد بداية تابعها اللورد كارنارفون وهوارد كارتير
بأصرار .

أدلى اللورد بحديث إلى صحيفة « التايمس » قال فيه أن القبر نبش
فى عهد رمسيس التاسع أى بعد أكثر من مائتى عام من وفاة توت عنخ
آمون . وما دام القبر غير سليم وسرق فان من حق المكتشف الحصول
على نصف الآثار طبقا لقانون ماسبيرو .

وزعم كارتير أنه وجد « ختم » رمسيس التاسع على المقبرة مما يقطع
بأن القبر سبق نبشه وإعادة ختمه مرة أخرى .

ورأى اللورد كارنارفون أن يستغل متاحف العالم الكبرى للضغط على
حكومة مصر فقال انه « لا يريد هذه الآثار لنفسه بل يريد أن يهدى جزءا
منها إلى المتحف البريطانى ومتحف اللوفر ومتحف الفنون
« المتروبوليتان » فى نيويورك » .

وجاء العالم الأثرى جيمس هنرى برستد ليؤكد هذه الحقيقة من
خلال مراجعة النقوش الهيروغليفية فى المقبرة فقال إنه وجد ختمين الأول

للملك توت عنخ آمون والثاني لمدينة الموتى الملكية مما يدل على أنه جرت محاولة لسرقة المقبرة وأعيد ختمها .

ولكن برستد قال إنه راجع الاختتام فوجدها من عهد الأسرة الثامنة عشرة التي ينتمى إليها توت عنخ آمون أى أن السرقة تمت في عهد هذه الأسرة لا في عهد الأسرة ١٩ التي ينتمى إليها رمسيس التاسع .

ولكن اللورد وكارتر لم ينشرا شهادة برستد لأنهما يريدان اثبات أن القبر سرق بعد وفاة الملك توت بمائتي عام أو أكثر مما يؤكد حقهما في نصف الآثار .

* * *

اذاعت وكالات الأنباء على العالم في ٣ من ديسمبر عام ١٩٢٢ أن قيمة الآثار تقدر بمبلغ ثلاثة ملايين جنيه وهو رقم ضخم بحسابات ذلك الزمان إذا عرفنا أن كل ما أنفقته اللورد خلال ١٦ سنة من الحفر لا يتجاوز ٥٠ ألف جنيه .

وبدأ اللورد يحلم بنصف هذا المبلغ وهو الذى فكر في وقف الحفر في ذلك الموسم حتى لا ينفق خمسة آلاف جنيه !

* * *

استمرت المطالبة بنصف الآثار عن طريق الصحف البريطانية والأمريكية بدعوى أن المقبرة ليست سليمة . وما دام اللصوص قد دخلوها مرتين ونبشوها يصبح من حق كارنارفون الحصول على نصف الآثار .

قالت « التايمس » : القانون يقضى بأن تنقل الأشياء الثمينة إلى متحف القاهرة ، وتأخذ الحكومة نصف الباقي ، ويأخذ الذى عشر عليها النصف الآخر .

وكتب الأثريون البريطانيون يطالبون بضرورة إعطاء المكتشف حصة وافرة من الآثار ، وحثوا الحكومة البريطانية على التدخل لدى حكومة مصر للتنازل عن جزء من الآثار .

اضطرت وزارة الأشغال المصرية إلى إذاعة بلاغ رسمى فى ٢١ من ديسمبر ١٩٢٢ تعلن فيه أنه ليس من حق اللورد الحصول على شئ من محتويات المقبرة لأن الترخيص ينص على حق المصلحة فى كل الآثار .

قال البيان :

« كثر تحدث الصحف عن نبأ الاكتشاف وعلق عليه بعضها بما لا يطابق الواقع فوزارة الأشغال العمومية تشر الآتى اثباتا للحقيقة :

للآثار المكتشفة أهمية جلية وقيمة عظمى من الوجهة الفنية فإنها مجموعة كاملة سليمة .

وقد أتخذ كل ما يلزم من التدابير لحراسة المكان حراسة دقيقة ريثما يتم الاستعداد لنقل المحتويات بما ينبغى فى هذه الأحوال من العناية الخاصة ووسائل الاحتياط التام . فهناك عمال اللورد كارنارفون الذين اكتشفوا هذه المقبرة ومعهم خبراء مصلحة الآثار يعاونهم جنود من بوليس مديرية قنا .

أما مصير الآثار المكتشفة فليس هناك ، خلافا لما أظهرته بعض الصحف ، ما يدعو إلى ازعاج رأى العام المصرى بشأنه .

وليبيان ذلك نذكر أن لائحة الآثار المصرية تنص على اعطاء المكتشف نصف ما يعثر عليه من الآثار (مع استثناء أشياء معينة قضت اللائحة بحفظها للحكومة المصرية) .

ولكن نظرا لما تعلمه وزارة الأشغال العمومية من أهمية منطقة وادى الملوك من الوجهة الأثرية .

ولما كان منظورا من العثور على آثار قيمة قد نص صراحة في الترخيص المعطى للورد كارنارفون على ألا يكون له حق في الاستيلاء على شئ مما قد يعثر عليه .

وقد قبل اللورد كارنارفون هذا النص عن طيب خاطر فكان عمله في هذا برهانا جليا على تنزهه عن المطامع المادية وتفانيه في خدمة العلم ومحبة الفن .

ولقد أشارت بعض الصحف إلى أن اللورد كارنارفون يطمع في احراز هذا الكنز الثمين . ولكن وزارة الأشغال العمومية لا تعلم عنه وعن عامله الفاضل المستر كارتر أنهما أظهرتا أى رغبة في الاستئثار بشئ منه .

وعما قريب تتخذ التدابير اللازمة لنقل هذه العاديات إلى دار الآثار المصرية بالقاهرة . وتنظر الحكومة ، بعد ذلك ، فيما إقترحته لجنة حفظ الآثار نحو مكافأة اللورد كارنارفون إعترافا بجليل خدمته للتاريخ » .

ولكن كارتر جمع مساعديه وأعلن يوم ٢٣ من ديسمبر سنة ١٩٢٢ أن القبر لم يمس وأنه اقتحم بعد ٢٥ سنة من وفاة الملك توت وأن أحدا لم يدخله منذ عام ١٣٧٧ ق . م .

وقال إنه واثق من أنه سيجد مومياء الملك .

وكان هدف كارتر من ذلك تأكيد حقه في نصف الآثار .

ولكن المصريين فسروا هذا البيان بأنه دليل على أن المقبرة نبشت ولكنها لم تسرق ، وأنها سليمة . فقد بقيت لا تمس ثلاثة آلاف عام ولذلك فإن قانون ماسبيرو يقف مع وزارة الأشغال ولا يساند وجهة نظر كارتر بأى حال .

وأدركت ذلك صحيفتا الديلى اكسبريس البريطانية والنيويورك تايمس الأمريكية فوجهتا اللوم إلى كارتر لأنه ببيانه . . خسر قضيته .

ولكن السير فردريك كينيون مدير المتحف البريطانى وقف مع كارتر ليحول المناقشة في اتجاه آخر .

كتب يقول أن نصف الآثار حق مقرر للورد وله أن يحتفظ بهذه الآثار وأن يهدى هذا النصف أو بعضه لمن شاء .

وكان كينيون يقصد من ذلك أنه لا نقاش في نصيب اللورد ولا جدال في حقه في اهداء نصيبه . . للمتحف البريطانى أو متحف المتروبوليتان الأمريكى !

ردت الصحافة المصرية بأن هذه الآثار مرآة الماضى ، يرى فيها المصريون عجزهم الحالى وقصورهم .

وقال بعض الكتاب إن للآثار لوائح وقوانين تنص على إعطاء مكتشفها حصة منها فيما عدا الآثار التى لا نظير لها فتبقى في مصر . . واللوائح والقوانين لا تنطبق على الآثار التى وجدت في وادى الملوك لأن بين الحكومة المصرية واللورد عقدا ينص على أن جميع الآثار التى توجد في المقابر السليمة تكون ملكا للحكومة المصرية .

ويتعين على الحكومة أن تترك بهذا العقد ولن يؤثر فيها بعض الصحفيين الانجليز وإذا استخدمت الحكومة المصرية حقها في الاستيلاء على أملاكها فلا يحتمل أن تحصل المتاحف الأخرى على نصيب من هذه الآثار .

وتكتب صحيفة مصرية بأن من حق اللورد وكارتر ومساعديهما الحصول على أوسمة وإقامة تماثيل لهم ولكن الآثار يجب أن تبقى لمصر .

ونشرت صحيفة « مورنينج بوست » البريطانية أن الحكومة المصرية لا تجد مندوحة من الأذعان لصحافة مصر .

وجد بيير لاكمدير مصلحة الآثار أن ظروف مصر السياسية لا تساعد على الوقوف في وجه كارتر ورأى أن تأجيل البت في ملكية الآثار ومناصفتها أفضل من أى قرار ! !

رأى اللورد كارنارفون أن يقطع الشك باليقين .

طلب اللورد من لاكمدير مصلحة الآثار ما اكتشف من آثار مناصفة بينهما أى بين اللورد والمصلحة .

أخذ كارنارفون يؤكد وجهة نظره قائلا :

- نصوص العقد واضحة . أن اللصوص دخلوا المقبرة من قبل ولذلك فإن حقى واضح في نصف الآثار .
رد لاكمو :

- بل ان المقبرة لم تمس أبدا ولذلك فإن كل ما فيها يؤول للمصلحة .

طال الجدل في هذه النقطة ولكن لاكو قال :

- لندرجىء عملية التقسيم حتى يتم ترميم الآثار ونقلها إلى المتحف
المصرى فى القاهرة .

وأضاف تلميحا :

- لابد من حصولكم على أية حال على نصف الآثار المكررة التى
اكتشفت .

ورفض لاكو أن يحدد عدد الآثار ونوعها واكتفى بالإشارة العامة
المبهمة .. الغامضة .. اطمأن اللورد إلى هذا الوعد خاصة وأن لاكو
قال له :

- كلما قمتم بعمل ضخم فى ترميم الآثار كلما أخذتم نصيبا أكبر !

* * *

أبلغ اللورد ذلك إلى ليتجو فى لندن الذى بعث برسالة إلى ادوارد
روينسون مدير متحف المتروبوليتان فى نيويورك وقال له :

- أننا سنساعد اللورد فى حفظ وترميم ونقل الآثار . وقد تعهد بأن
يعطينا بعض الآثار .

رد روينسون قائلا :

- لابد من استمرار بعثة المتحف فى مصر فى التنقيب عن آثار
الأسرة ١١ .

أجاب ليتجو :

- أننا سنستمر فى الحفر . ولكن ما سنأخذه من اللورد أفضل من كل
حفائرننا فى الماضى والمستقبل . أن اللورد متأثر من مساعدتنا له .

وتمادى متحف المتروبوليتان فى مساعدة كارنارفون وكارتر والأمال
تراود رجال هذا المتحف فى اثار توت عنخ آمون خاصة وأنهم يمسون
بأيديهم كل يوم هذه الثروة الضخمة ويعدونها ويعبئونها ويشحنونها
للمتحف المصرى بالقاهرة !

* * *

عقد كارتر - من ناحيته - عدة اجتماعات سرية مع لاکو لبحث
ملكية الآثار الذى قال له :
- سيكون من حقكم اختيار مجموعة ممتازة من الآثار .
طلب كارتر ، وهو ذكى حريص ، من لاکو تسجيل ذلك الوعد
كتابة .
قال لاکو :

- تكفيك كلمتى . ولا أريد علانية فى هذا الأمر .
اطمأن كارتر وأبلغ ذلك للورد الذى أجمع بليتجو وقال له :
- ثق أنى سأراعى كثيرا متحف المتروبوليتان .
فرح ليتجو وكتب لروينسون فى نيويورك قائلا :
- أرجوك حفظ هذه المسألة سرا بيننا . لا تبلغ هذا الأمر لمجلس
إدارة المعهد عدا اثنين وسماهما بالاسم لأنهما يكتمان الأسرار .
وفى متحف المتروبوليتان فى نيويورك توجد هذه الرسالة التى كتبها
ليتجو وقال فيها : « كان كارنارفون بسيطا ورائعا وهو يبلغنى
ذلك » !

* * *

أصبح اللورد وكارتر والمتحف البريطاني ومتحف المتروبوليتان على يقين من أن نصف الآثار في طريقها إليهم فبدأ كارتر يدلي بتصريحات يبدى فيها أمله في أن تظل مجموعة الآثار متكاملة في المتحف المصري ! وكان كارتر - في هذه التصريحات - مناورا يريد أثبات حسن نيته لتبادهل وزارة الأشغال المصرية حسن النوايا وتهبه نصيبا أكبر من الآثار . ولكن رسائل اللورد السرية لكارتر من لندن أكدت أن الأثرى كان يحاول سرا مع لاکو الوصول إلى نصف الآثار !

* * *

عاد اللورد كارنارفون إلى مصر ومات بعضه البعوضة ، وبقي كارتر وحده بعد أن فقد مساندة اللورد ونفوذه وصلته بالنبي والدوائر المسئولة في لندن والقاهرة .

لاحظ بيير لاکو أن كارتر يسجل الآثار بطريقة تثير الشكوك . أنه يسجل في دفاتر المتحف المصري بالقاهرة بعض الآثار التسي ينبغي أن تؤول إلى حكومة مصر .

ويضع في قوائم خاصة الآثار المكررة مما يوحي بأنها ملكية مشتركة بين المصلحة والمكتشف . وهي طريقة مقنعة لأثبات حقوق اللورد . . فيما بعد . .

وبالإضافة إلى ذلك فإن كارتر يصف بالتفصيل كل شيء في هذه القوائم حتى يؤكد عملية الأزدواج والمطالبة وأثبات الحقوق . وتزداد المشاكل بين كارتر والصحافة حول عقد التايمس وأحتكارها للأنباء الصحفية الخاصة بالمقبرة ، وحق كارتر في اختيار من يدخل المقبرة ومن لا يدخلها ،

أعد بير لاکو نصوصا فى عقود التنقيب الجديدة تتضمن حق الحكومة المصرية المطلق فى الاشراف على عمليات الحفر . . وللحكومة المصرية وحدها منح دخول مناطق التنقيب للأجانب . وأيضا حق الحكومة المصرية فى النشر عن هذه العمليات .

وبعث لاکو بالنصوص الجديدة إلى كارتر قائلا :

- يريد وزير الأشغال كشفا بأسماء معاونيك .

• رد كارتر :

- أنى حر فى استخدام من أشياء ما دمت ملتزما بنصوص الترخيص .

قال لاکو :

- لابد من أسماء مساعديك حتى يوافق الوزير على دخولهم المقبرة .

حاول كارتر الاعتراض ، ولكن لاکو قال :

- لن يدخل أحد المقبرة ألا بإذن من الحكومة المصرية لضمان أن

يدخل المؤهلون الذين يعملون فى هذا الكشف العلمى ولابعاد الفضوليين .

ولكن لاکو لم يستطع أن يفرض رأيه أو يغير العقود فقد استقال

محمد توفيق نسيم باشا رئيس وزراء مصر يوم ٩ من فبراير عام ١٩٢٣ بعد

أن وافق على كل التعديلات التى طلبها الجنرال اللورد النبى على دستور

مصر وأسقط من هذا الدستور كل المواد الخاصة بالسودان .

وبقيت مصر بلا وزارة خمسة أسابيع عندما أختار الملك يحيى

ابراهيم باشا رئيسا للوزارة .

وكان يحيى ابراهيم في الحادية والستين من عمره .
بدأ حياته كاتبا في وزارة العدل وانتقل للتدريس في مدرسة الحقوق
وأصبح أستاذا ثم وكيلا لها ثم أنتقل إلى وزارة العدل قاضيا بمحكمة
الاسكندرية وتوالت تنقلاته وترقيات السريعة فتولى منصب رئيس محكمة
الاستئناف ويختار وزيرا للمعارف في وزارة يوسف وهبه باشا في ٢٠ من
نوفمبر ١٩١٩ وهي وزارة شكلت بعد الثورة وأعلن رئيسها أنها وزارة
إدارية لا شأن لها بالأمر السياسية .

وعندما أسندت رئاسة الوزارة إلى محمد توفيق نسيم باشا في أول
ديسمبر عام ١٩٢٢ تولى يحيى باشا وزارة المعارف أيضا . .

ولما لم يجد الملك أحمد فؤاد رئيسا للوزراء خلال الأسابيع
الخمسة التي أعقبت استقالة توفيق نسيم وجد أن يحيى ابراهيم يصلح
لرئاسة الوزارة في تلك الفترة الحرجة !

في تقارير اللورد اللنبي قال أن « يحيى باشا يفعل دواما ما يؤمر به وأنه
يصبح عنيفا عندما يجد من يؤيده وأنه خاضع لحسن نشأت باشا رجل
الملك » !

وتسند وزارة الأشغال إلى حافظ حسن باشا مدة شهرين ثم يتولاها في
١٥ من مارس ١٩٢٣ عبد الحميد سليمان باشا زوج ابنة إسماعيل سري
باشا .

ورأى المندوب السامي في وزير الأشغال الجديد يتلخص في « أن
علاقته بالانجليز طيبة ومرضية للغاية بل انه يتمادى في اعلان ذلك » .



تقدم كارتر نيابة عن الليدى المينا أرملة اللورد كارنارفون إلى عبد الحميد سليمان باشا يطلب الترخيص بمواصلة التنقيب فى المقبرة لمدة عام آخر لأن كل التراخيص السابقة صدرت باسم اللورد .

عقدت عدة اجتماعات فى مصلحة الآثار بالقاهرة وفى الاسكندرية لمناقشة الطلب .

عارضت المصلحة فى أفراد « التايمس » وحدها بأخبار الكشف ولكن كارتر رأى أن يتغلب على الاعتراضات بتعيين أرثر ميرتون مراسل التايمس عضوا فى فريق الكشف الأثرى بحيث يستطيع دخول المقبرة وقتما يريد دون أن يثير اعتراضا من أحد ولكن لاكو أصر على حق الصحفيين المصريين فى الحصول على الأخبار فوافق كارتر بشرط واحد وهو أن يوزع بيانا مكتوبا عليهم بعد أن يبرق مراسل التايمس برسالته إلى لندن .

واضطر لاكو إلى أن يكتب إلى عبد الحميد سليمان باشا وزير الأشغال قائلا :

« إذا أصر كارتر على عدم احترام إرادة الحكومة فيما يختص بزيارة أصدقائه ومساعديه للمقبرة فيجب أن تطلق يد مصلحة الآثار لمنع هذه الزيارات بقوة البوليس » .

وقال مدير الآثار :

« . . . ويجب رفع المسألة إلى القضاء فان هناك أحوالا يصبح الصبر فيها جريمة من الجرائم وأنها لضربة قاضية لسلطة الحكومة وهيبتها أن تعتمد دائما إلى التهديد والا تعول أبدا على العمل » .

ومن لا يحسن أن يدافع عما يعتقدُه حقاً من حقوقه يكن قد سلك
أضل سبيل لا أدراك هذا الحق »
وطلب لآكو أن تتولى مصلحة الآثار مراقبة زيارات أصدقاء كارتر
للمقبرة وتحديد عدد مساعديه ولكن كارتر رفض .
كتب إليه لآكو :

« تلك هي المرة الأولى التي تجد فيها مصلحة الآثار صعوبات
وعقبات في سبيل البحث عن الآثار »
ولم يكتف لآكو بذلك بل طلب إلى وزارة الأشغال أن يوقع كارتر
عقداً جديداً واضحاً ، بعد انتهاء العقد القديم ، يحدد موقفه ،
وموقف الحكومة ، منعا لأي أشكال .
أشتدت حملة الصحف المصرية والأجنبية ضد كارتر ومصلحة الآثار
المصرية ووزارة الأشغال لأن مراسل التايمس وحده ، يدخل المقبرة على
هواه .

ولكن كارتر تمادى . .

قامت مصلحة الآثار بطبع دليل جديد للمتحف المصري فأضافت
إليه أسماء القطع التي وجدت في مقبرة توت عنخ آمون ونقلت إلى
المتحف فاحتج كارتر بدعوى أن المصلحة افتأتت على حقوقه بنشر تلك
المعلومات .

وطلب كارتر حذف هذه المعلومات وهدد برفع قضية على مصلحة
الآثار دفاعاً عن حقوق ورثة اللورد .

هنا فقط رفض عبد الحميد سليمان باشا تهديدات كارتر !

ولكن وزير الأشغال عبد الحميد سليمان تدخل وفرض رأيه قائلا
لرجال مصلحة الآثار :

- تولوا أنتم الصحافة الأجنبية وسأتولى شخصيا صحافة مصر
ويجتمع عبد الحميد سليمان باشا - تحت ضغط الحملات
الصحفية - بكارتر ويقول له :

- سبب المشكلة هو ارثر ميرتون مراسل التايمس فلو أنك منعتهم من
دخول المقبرة وحده ، وسمحت له بالدخول مع الصحفيين الآخرين
لانتهد الأزمة .
قال كارتر :

- أسف لا أستطيع الأمتثال للقيود التي تريدون فرضها على .
تدخل توتنهام وكيل وزارة الأشغال وأخذ كارتر معه إلى مكتبه وقال
له :

- أن ما يطلبه وزير الأشغال منك هو مجرد تنازل سياسى محدود .
انه يعطى حكومة مصر إشرافا روتينيا محدودا وربما يفيدك ذلك .
ولكن كارتر أنهى الحديث . . ففى تلك الأيام لم تكن حكومة مصر
تملك أمورها أو أمور آثارها ومقابر أجدادها .

ورغم ذلك وافق الوزير فى ١٢ من يوليو ١٩٢٣ على منح ترخيص
التنقيب لأرملة اللورد حتى أول نوفمبر ١٩٢٤ على أن يجدد بعد ذلك . .
! لا لم يكن العمل قد تم . . محافظة على ذكرى اللورد كارنارفون .
فان الترخيص :

« تحتفظ مصلحة الآثار بأستعمال حقها في الرقابة بكيفية لا تفسح المجال لشيء من تعليقات الصحف في السنة الماضية ، وتحمي المنقب بقدر الامكان من الزيارات العقيمة .
 ويفهم طبقا أن النشر محفوظ كله ، بحسب المؤلف ، لليدى كارنارفون .
 ... أى التايمس » !

* * *

رأى لاکو أن الخلافات كلها تدور حول نقطة واحدة وهى أقتسام الآثار مناصفة .. فإن اللورد كارنارفون ، ومن بعده كارتر ، أشارا في أكثر من مناسبة إلى حقهما في نصف الآثار باعتبار أن المقبرة سبق نبشها وسرقتها .
 ووجد لاکو أن منح امتياز النشر للتايمس والأصرار على أن من حق كارتر وحده السماح بدخول الزائرين المقبرة كل ذلك بهدف التمهيد لحقيقة واحدة وهى أن يفعل كارتر في المقبرة ما يريد بقصد الوصول في النهاية إلى نصف الآثار .

ووجد لاکو من ناحيته أنه قد حان الوقت لتحديد المواقف .
 بدأ يكتب خطابات متابعة إلى كارتر .

الأول في ١٠ من ديسمبر ١٩٢٣

والثاني في ١٦ من ديسمبر ١٩٢٣ يقرر فيه ملكية الآثار .
 وعندما لا يجد لاکو ردا يكتب الخطاب الثالث في ١٠ من يناير

١٩٢٤

قال لاکو بحزم :

« الحكومة لا تناقش بل تبلغك قرارها بعد أن استشارت إدارة قضايا الحكومة »

أما القرار - كما حدده لاکو - فهو أن كل آثار مقبرة توت عنخ آمون ملكية عامة .. وهي حق للمصلحة وحدها ، ولا توجد حقوق فيها ... للسيدة المينا کارنارفون .. !

* * *

رأى کارتر أنه مع تولى عبد الحميد سليمان باشا وزارة الأشغال وبعد حصول أرملة اللورد على ترخيص جديد أن يدخل المعركة الحاسمة مع لاکو للحصول على نصف الآثار .

واعتقد کارتر أنه سيكسب المعركة حتما .

وبدأ يحشد أنصاره .

كتب أربعة من كبار علماء الآثار العالميين وهم آلان جاردنر وجيمس برستد والبرت ليتجو ویرسی نیوبری - رسالة إلى لاکو بتاريخ ١٣ من يناير ١٩٢٤ شكوا فيها مما يتعرض له کارتر من مضايقات .

قالوا في هذه الرسالة :

« أنك بحكم موقعك - كمدير عام لمصلحة الآثار - فشلت فشلا ذريعا في تنفيذ الالتزامات التي تقع على عاتقك لحماية الاجراءات اللازمة لانجاز هذا العمل الهام .. »

وقالوا هناك اتفاق عام بين علماء الآثار على أن مستر هوارد کارتر يقوم بأصعب وأعقد مهمة بصورة تفوق كل أشادة .

ومعروف في كل مكان أن زملاء العمل الذين جمعهم مستر كارتر هم مجموعة من العلماء ذوى الخبرة والقدرة الفائقة لم يتوفروا لأى مشروع أثيرى من قبل . وأنت شخصيا اعترفت برضايتك التام عن النتائج التى ينجزونها .
ومع ذلك فإن عملهم لسوء الحظ توقف هذا الموسم لا مرة واحدة ، ولكن عدة مرات ، بسبب مطالبك مثل تنظيم الزائرين ومسائل أخرى من هذا القبيل وهى مسائل ليست لها صلة بالعمل للمقبرة وحفظ محتوياتها .

والى جانب تعرض انجاز وأمن السجلات للخطر فإن التأجيل غير الضرورى الذى حدث الآن يعرقل ويؤجل الموضوعات الخاصة بالهيئات المتعاونة فى هذه المهمة .
وهذه خسائر - لا يمكن تعويضها - فى الوقت والمال ، والتى تقدمها المنظمات التى توجد فى مصر لخدمة العلم وتقوم بانجاز يعود بالفائدة على الحكومة المصرية دون أن تتكلف مليما واحدا .
وإذا لم تذلل الصعوبات فأنت كمدير عام للاثار تكون قد فشلت تماما فى تنفيذ تعهداتك لحماية الاجراء العلمى ومن الضرورى لنا لفت الانتباه للأثر السئ لهذا الفشل من جانبك « .

وأعلن كبار الأثريين من معاونى كارتر أنهم سيشكون إلى اكااديمية العلوم البريطانية ومجلس الأبحاث القومى فى واشنطن واكاديمية الآداب والفنون الجميلة فى باريس .
بعث مورتون هاوّل الوزير الأمريكى المفوض إلى حكومته برقية يعلق فيها على رسالة العلماء الأربعة فقال :

« في آخر خطابات الاحتجاج التي صاغها مستر كارتر - أو التي صيغت بناء على اقتراحه - والموجهة إلى السلطات المصرية . . سمح كل من مستر ليتجو (عن متحف المتروبوليتان) والبروفيسور بريستد (من جامعة شيكاغو) لنفسيهما بالتوقيع على الخطاب . . الأمر الذي اعتبره خطأ بينا نظرا لأن تصرفهما هذا يعنى على الأقل أنهما يدفعان الحكومة المصرية إلى اتخاذ موقف معارض لاستمرار عمل علماء المصريين الأمريكيين بعد انتهاء العام .

اننا أستطعنا بقدر من الصعوبة أن نقنع في نهاية الأمر هذه الحكومة بالسماح لدول أجنبية - بينها دولتنا - بمواصلة الحفائر بموجب العقد نفسه الذي تم الحصول عليه وسرى مفعوله خلال السنوات العديدة الماضية .

وقد سررت عندما وجدت عالم مصريات أمريكيا واحدا على الأقل يتمتع ، بوعى ، عن الدخول في الجدل الدائر حول هذا الموضوع ، وهو الدكتور جورج ريزنر من متحف هارفارد .

ولا أوجه هذا النقد لمستر ليتجو أو البروفيسور بريستد بدافع شخصي بأي حال ، لأنى أكن لشخصيهما أوفر احترام وأقدرهما كل التقدير . ولكن المسألة ببساطة تتعلق بالدبلوماسية .

وأعتقد أن النهج العملى الذى سار عليه الدكتور ريزنر هو النهج الذى يسر الحكومة المصرية أكثر من غيره وهو النهج الذى يحقق بسهولة أكبر فرصنا للاستمرار بموجب العقد القديم »

وتبدأ الضغوط على مصر فقد أدرك الجميع أن لاکو كان يناور ،

خاصة بعد أن كتبت صحيفة وستمنستر جازيت البريطانية أن مجموعة فرنسية تريد الحصول على جانب من الآثار .

كتب ليتجو إلى متحف المتروبوليتان يطلب الاتصال بوزير الخارجية الأمريكي للضغط على الوزير المصري المفوض في واشنطن الذي عين - حديثا - في منصبه ، وكذلك الضغط على السفير الفرنسي لوقف نشاط بيير لافو المعادي والمعارض .

وأعلن السير جون مارشال مدير الآثار في الهند أثناء زيارته للقاهرة استياءه من موقف مصلحة الآثار .

وهدد السير فردريك كينيون بأنه إذا لم يحصل ورثة اللورد على نصف الآثار فإن أحدا لن يبحث عن الآثار في مصر لأنه لا توجد حوافز للمتاحف والأثرياء والأثريين .

- وتنبأ بريستد بأن مصر لن تسلم آثارها .

.. وفي لهجة استعمارية بغیضة قال هربرت وينلوك

« ان التنقيب عن الآثار يمثل أهمية كبرى للاقتصاد المصري والعمالة وأصحاب الحمير والجمال » وقال « وينلوك أن القرى المصرية أثرت من هذه الحفائر !! »

ولكن العالم الأثري السير بيرسي نيويرى كان أبعد نظرا وبصيرة

قال في خطاب هام في صحيفة التنقيب المصرية في لندن :

- هذا آخر الاكتشافات الأثرية الهامة في مصر !

* * *

وفي ٣ من فبراير بعث كارتر برسالة طويلة إلى لوكو أكد فيها حقه في
أقتسام نصف الآثار . وقال انه كان من الاكرم الانتظار حتى يتم العمل
العلمي في المقبرة بترميم ونقل وتسجيل جميع الآثار ثم يبدأ الحديث بعد
ذلك عن الحقوق القانونية للاكتشاف .
وقال ان المقبرة سبق اقتحامها فهي ليست سليمة . . وما ارسلته من
آثار للمتحف المصري لا يعتبر جزءا من مجموعة المتحف « .
وهكذا بدأت المواجهة حول ملكية الآثار نفسها لا حول مسائل ،
مهما بلغت أهميتها ، فانها ثانوية !

إغلاق المقبرة

تغيرت الوزارة في بريطانيا ومصر خلال يناير عام ١٩٢٤ .
في بريطانيا جرت الانتخابات لمجلس العموم ففاز حزب المحافظين
بـ ٢٥٩ مقعدا في مجلس العموم والعمال ١٩١ وحزب الاحرار ١٥٩ .
وكان من الطبيعي ان يتولى حزب المحافظين حكم بريطانيا ولكن
الاحرار اعلنوا انهم سيؤيدون العمال لا المحافظين ولكنهم لن يدخلوا
الوزارة .

استدعى جورج الخامس ملك بريطانيا رامزي مكدونالد - ٥٨ سنة -
زعيم حزب العمال وشكا اليه من ان نواب الحزب الاشتراكي يغنون نشيد
« المارسيليز » وهو نشيد الثورة الفرنسية التي اعدمت ملك فرنسا لويس
السادس وكذلك نشيد « العلم الاحمر » .
ولكن صاحب الجلالة لم يستطع الا ان يعرض على مكدونالد
تشكيل وزارة من حزب العمال .. لأول مرة ...
تألفت الوزارة يوم ٢٢ من يناير ١٩٢٤ واحتفظ مكدونالد لنفسه
بوزارة الخارجية .

وفي اول اجتماع لمجلس الوزراء اشعل توماس وزير المستعمرات
السيجارة الأولى فتبعه باقي الوزراء . وكانت هذه اول مرة في التاريخ
البريطاني يدخن الوزراء في اجتماع مجلس الوزراء !!!

وأخذ رئيس الوزراء يعطى زملاءه درسا في « الأتيكيت » ويطلبهم باحترام المواعيد ومخاطبته بلقب « رئيس الوزراء » .

كان على ماكدونالد ان يتحسن خطواته السياسية بحذر بالغ لأن حزب الإحرار يستطيع اسقاط الوزارة في أية لحظة اذا تخلى عن تأييدها . طلب سكرتير الملك ألا يحضر الاجتماعات داخل القصر الملكي إلا الوزراء الذين يرتدون البدة الرسمية المخصصة لمثل هذه المناسبات . . وثمنها ٣٠ جنيها .

ويرى الوزراء ان موافقتهم على ذلك يعتبر « استسلاما طبقيا » ! ولكن رئيس الوزراء يضطر الى الموافقة حتى لا يغضب الملك والعمال يبدأون عصرا وعالما جديدا .

وكانت المشاكل الدولية كثيرة امام الحكومة الجديدة . . فرنسا استولت على منطقة « الروهر » الألمانية عندما تخلف الالمان عن سداد تعويضات الحرب . وكان على الانجليز تحقيق التوازن في اوروبا بين الفرنسيين والالمان .

وكان على ماكدونالد اقناع الدول الأوروبية بقبول الالمان في عصبة الأمم .

اما العلاقات البريطانية السوفيتية فكانت سيئة بعد الثورة البلشفية وتريد بريطانيا عقد اتفاق تجارى بين البلدين وتسوية الديون والقروض . وكانت المشاكل الداخلية في بريطانيا متعددة .

فى أول اجتماع للمجلس قدم وزير الداخلية تقريراً عن وسائل توفير
 اللبن والطعام والفحم اذا أضرب عمال السكك الحديدية .
 وكانت هناك تهديدات أخرى باضراب عمال احواض السفن ،
 وعمال مترو الانفاق فى لندن الذين اندروا الحكومة بالاضراب ايضا .
 وكان صاحب الانذار السكرتير العام لعمال النقل والذي أصبح وزيراً
 للخارجية بعد الحرب العالمية الثانية . . أرست ييفن !!
 وبعث قائد بوليس اسكوتلانديارد تقريره الاسبوعى الى رئيس الوزراء
 عن « الحركات الثورية » فى بريطانيا العظمى متسائلاً :
 - هل أوالى هذه التقارير فى ظل الحكومة الجديدة .
 ويجد رئيس الوزراء ان التقرير يخص الحركات الاشتراكية والعمالية
 فيطلب ان يشمل التقرير النشاط السياسى اليمى المتطرف ايضا !
 وكانت البطالة مرتفعة بعد الحرب العالمية الأولى بلغت نسبتها
 ١٠ ٪ بين العمال ، والضرائب غير المباشرة كثيرة ومشاكل الاسكان
 متعددة وسياسة حزب العمال تنادى بتوفير فرصة لكل طفل فى التعليم .
 وكانت هناك مشاكل عاجلة مثل انشاء قاعدة بحرية فى سنغافورة بناء
 على طلب وزارتى البحرية ورجال وزارة الخارجية وإلا تمت تصفية نصف
 سلاح البحرية وتعرضت الهند وسيلان للخطر وضاعت التجارة
 البريطانية !!
 وكان على حكومة العمال حل كل هذه المشاكل وفرض سياسة
 اشتراكية وليست للحكومة اغلبية برلمانية ويمكن للحكومة ان تسقط فى
 اية لحظة .

* * *

وفي مصر أضطر الملك فؤاد لاستدعاء سعد زغلول زعيم حزب الوفد ليؤلف الوزارة لأول مرة .

كان سعد زغلول في السابعة والستين ، درس في الأزهر ، وعمل محررا في الوقائع المصرية ومعاوننا للدخالية واتصل بالشيخ محمد عبده وجمال الدين الافغانى وشهد الثورة العربية واعتقل ٣ شهور بتهمة تأسيس جماعة الانتقام من اعداء هذه الثورة .

اشتغل بالمحاماة ٩ سنوات وكان أول محام يسند اليه منصب القضاء ١٢ سنة في المحاكم الابتدائية والاستئنافية .

وتولى خمس سنوات منصب وزير المعارف ثم العدل واستقال عام ١٩١٢ لخلافه مع الخديو عباس حلمى الثانى واللورد كتشنر المعتمد البريطانى .

واختير عضوا في الجمعية التشريعية عن دائرتين، أى عن نصف دوائر القاهرة، ووكيلا منتخبا لهذه الجمعية التى توقفت أعمالها بعد قيام الحرب العالمية الأولى. وفى ١٣ من نوفمبر عام ١٩١٨ توجه مع زميليه على شعراوى وعبد العزيز فهمى الى دار المعتمد البريطانى السير ريجنالد وينجت يطالب بالاستقلال .

وكان ذلك اللقاء التاريخى الذى اطلق على يومه « عيد الجهاد » ، مقدمة لتأسيس الوفد ليطالب باستقلال مصر عن بريطانيا .

وعندما رأت السلطات العسكرية البريطانية وقوف الشعب وراء سعد اعتقلته يوم ٨ من مارس ١٩١٩ لمدة شهر مع محمد محمود واسماعيل

صدقى وحمد الباسل وفتحهم السلطات العسكرية البريطانية الى
مالطه . . فكان الاعتقال والنفي بداية لثورة ١٩١٩ .

أفرج اللورد اللنبي المعتمد البريطانى الجديد عن سعد فسافر الى
باريس ليحضر مؤتمر الصلح ولكنه منع من حضوره .

وتتابعت الاحداث وجاء اللورد ملنر الى مصر على رأس وفد بريطانى
ليحاول الوصول الى حل يضمن مصالح بريطانيا .

وقاطع الشعب لجنة ملنر فتفاوض مع سعد فى لندن ، ولكن
المفاوضات لم تنته الى نتيجة وتمزق الوفد بين سعد وعدلى ، وفشلت
مفاوضات عدلى فى بريطانيا . وامتنع رجال مصر عن قبول رئاسة
الوزارة .

اعتقل سعد مرة ثانية يوم ٢٣ من ديسمبر عام ١٩٢١ فى جزيرة سيشيل
ثم جيل طارق حتى تقرر الافراج عنه فى ٢٧ من مارس عام ١٩٢٣ ولم يعد
الى مصر الا فى ١٧ من سبتمبر من ذلك العام بعد صدور تصريح ٢٨ فبراير
عام ١٩٢٢ فاكسح الوفد خصومه وفاز بأكثر من ٩٠ ٪ من مقاعد مجلس
النواب وأسقط يحيى ابراهيم رئيس الوزارة التى اجرت الانتخابات . .

وقال سعد للملك فؤاد عندما عرض عليه رئاسة الوزارة محمدا
سياسة حكومته وهى احترام المصالح الاجنبية التى لا تتعارض مع
الاستقلال . .

وهكذا جلس على كرسى رئاسة الوزارة فى كل من مصر وبريطانيا
حزبان يتوليان الوزارة لأول مرة !!

* * *

اسندت وزارة الاشغال - التي تتبعها مصلحة الآثار - الى مرقص حنا بك بدلا من عبد الحميد سليمان باشا .

كان مرقص حنا في التاسعة والأربعين من عمره يتقن الفرنسية وأختير نقيبا لمحامي القاهرة .

وكان عضوا بلجنة الوفد المركزية عام ١٩٢١ واشتهر بخطبه التي يدعو فيها لوحدة الاقباط والمسلمين .

وعندما نفى سعد زغلول الى سيشل اصبح مرقص حنا عضوا في الوفد في يناير عام ١٩٢٢ فدعا شعب مصر الى مقاطعة الانجليز وبضائعهم واعتقل اياما في ثكنات الجيش البريطاني في قصر النيل بالقاهرة . .
واشترك مع ٦ زعماء وفديين يوم ١٨ من يوليو عام ١٩٢٢ في طبع منشورات تدعو لكرهية الحكومة المصرية والتمرد على طغيانها وتحرض على قلب نظام الحكم .

كانت لهجة المنشورات ملتهبة ، عنيفة ، تدعو للاغتيال السياسي ضد طغيان الحكومة .

وتطالب كل مصري بان يظهر رفضه للطغيان بكل الوسائل ، فاصدر قائد القوات البريطانية قرارا باعتقال الزعماء السبعة .

قبض عليهم فجر ٢٥ من يوليو في ثكنات قصر النيل وحوكموا داخل الثكنات البريطانية امام محكمة عسكرية مؤلفة من ٥ ضباط انجليز .

بدأت المحاكمة في العاشرة والنصف صباحا فطلب محامي مرقص فهمي وزملائه التأجيل اسبوعين فرفضت المحكمة .

وطلب ماكسويل النائب العام ممثل الادعاء الحكم باعدام المتهمين
السبعة وأخذ يبين خطورتهم على امن بريطانيا وأمن الجيش البريطاني في
مصر .

طلب الدفاع التأجيل يومين فرفضت المحكمة ، فانسحب الدفاع
من المحاكمة واكتفى المتهم الأول حمد الباسل بان تلا بيانا مكتوبا قال
فيه ان الوفدين استعملوا حقهم المشروع في نقد الحكومة ، ولكن
المحاكمة انتهت في اليوم نفسه بصدر الحكم باعدام المتهمين جميعا !
رأى القائد العام للقوات البريطانية تخفيف حكم الاعدام الى
الاشغال الشاقة سبع سنوات وغرامة ٥٠٠٠ جنيه . .
وارتدى المتهمون ملابس السجن وصودرت اموالهم لتحصيل
الغرامات .

وبعد صدور الدستور افرج عن مرقص حنا وزملائه في مايو ١٩٢٣ .
وفي ٢٨ من يناير ١٩٢٤ تولى منصب وزير الأشغال .
كتب اللورد اللنبى المعتمد البريطاني في مصر في تقريره السنوى
يصف وزير الاشغال الجديد :

« مرقص باشا حنا أول وزير للاشغال لم يكن مهندسا بالوزارة .
وهو يبدو مستقيما ومتلهفا على فهم عمله ، وأظهر تصميمًا على ان تكون
له الكلمة العليا في مجاله .
ونظرا « لجهله » فانه مضطر للاعتماد بالكامل على الآخرين .
وقد أظهر التحيز المعهود للمعادي للانجليز ؟ . !! »

* * *

وجد كارتر انه من الضروري التعجيل بتأكيد حقه في نصف الآثار بعد
التغيير الوزارى .

وبنى افتراضاته على اساس ان اللورد كارنارفون كان مجاملا لسعد
زغلول عندما زار لندن عام ١٩٢٠ - قبل اعلان الاستقلال . وأقام له
ولزملائه مأدبة عشاء تكريما لهم .

ومن ناحية اخرى فان الوزارة الجديدة تهتم بشئون السياسة وجلاء
الانجليز وتريد علاقات طيبة معهم تمهيدا للمفاوضات السياسية . . كما
ان هذه الحكومة فى شغل عن شئون الآثار بمشاكل حادة .

* * *

قصد كارتر الى مكتب وزير الاشغال الجديد مرقص بك حنا لتهنتته
يوم ٧ فبراير .

رأى الوزير ان يتفق على نظام حفل افتتاح التابوت الحجرى وأسماء
المدعوين حتى لا يخرم الصحفيون المصريون والأجانب من شهود هذه
المناسبة القومية .

بدأ الوزير الحديث قائلا :

- زارنى العالم الأثرى « آلان جاردنر » واحتج على اجراءات مصلحة
الآثار واعتقد انك الذى اوفدته .

نفى كارتر ذلك وقال ان كل الأثرين الكبار شديد والاستياء من
مصلحة الآثار ، وهم يرون فى ذلك خطرا على البحث العلمى كما ان
فيما يجرى ضياعا لوقت ثمين .

قال الوزير :

- اذا كان ثمة خلاف بينك وبين رجال مصلحة الآثار فاكتب شكواك واني على استعداد لبحثها .

وأضاف الوزير :

- لننس الماضي ، ومافات قد فات فلنحاول تجاهله .

وقال :

- ربما يكون لك حق قانوني في منح التايمس وحدها احتكار حقوق النشر ولكن ذلك ادى الى غضب كل الصحف .

رد كارتر :

- ان عقد احتكار التايمس سينتهي هذا الموسم .

قال الوزير :

- سمعت انك ستسافر الى الولايات المتحدة في الربيع القادم لالقاء محاضرات في هذا الكشف .

أجاب كارتر بالاجاب فقال مرقص حنا :

- هذا خطأ ان تسافر في الوقت الحاضر . ان تعهدك القيام بهذا العمل الدقيق يجعل منك موظفا مصرية عاما ويجب ان تستمر في هذا العمل حتى ينتهى .

قال كارتر :

- من حقى ان يختلف معك في هذه النقطة .

عند ذلك استدعى الوزير بيير لاکو . .

جاء معه ملفات ودوسيهات ضخمة ، ذهل كارتر واخذ يسأل

نفسه :

- كيف يقول الوزير انه يريد نسيان الماضي بينما يستدعى لاکو بمستنداته واوراقه .

قال لاکو :

- لقد سمحت يامستر کارتر لاشخاص بدخول المقبرة بلا تصريح .
رفض کارتر مناقشة الموضوع ، ولكن الوزير أصر .
واتفق الاثنان على نظام الاحتفال الذى سيجرى فى الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم ١٢ فبراير لفتح التابوت الحجرى الضخم الذى يضم رفات ملك مصر بعد ان رفع کارتر غطاءه ووزنه طنان من حجر الجرانيت ١١
وقع اتفاق بنظام الحفل فى اليوم التالى ٨ من فبراير ١٩٢٤ .

حذرت مصلحة الآثار من الافراط فى التفاؤل بالنسبة لفتح النواوس
فقد يكون خاليا من جثمان الملك وأذاعت ادارة المطبوعات قبل ٢٤
ساعة من فتح النواوس بيانا جاء فيه :

- « هناك شيء » من الشك يحوم حول ماقد يوجد بداخل النواوس إن
هذا الاكتشاف وان كان بالغام من العظمة كل مبلغ فهو ليس سابقة يهتدى
بها ويقاس عليها لاسيما وان هذه اول مرة يهتدى فيها الى نواوس ملكى
سليم ولكن تاريخ الدفن يرجع الى عهد مملوء بالانقلابات العظيمة
والتطورات غير العادية .

شهد احتفال رفع غطاء النواوس الحجرى يوم الثلاثاء ١٢ من فبراير
٢٤ مستولا كبيرا بينهم اللورد اللنبى الذى وصل بقطار خاص .

وجد بداخل التابوت الحجري صندوق المومياء ملفوفا بقمماش الكتان .

رفع الكتان فظهر تابوت يزيد طوله على ثلاثة امتار من الخشب المذهب .

وعلى غطائه صورة بارزة للملك مكسوة برقائق الذهب الخالى تغشى البصر .

وعلى رأس الملك تاج مذهب به رأس نسر والحية المقدسة . ويدا الملك مضمومتان الى صدره وقابضتان على صولجان الملك ومحليان بصفائح ذهبية جميلة .

وعين الملك من الاحجار الثمينة .

وقال الخبراء ان التابوت الخشبي يحتوى على تابوتين او ثلاثة ويوجد بالتابوت الاخير جثمان الملك . وقد ارجىء فتح تابوت المومياء الى الخريف .

كان بين الحاضرين مراسل التايمس .

وتخلف سعد زغلول باشا رئيس وزراء مصر ومقرص حنا بك وزير الاشغال .

وبعد انتهاء الحفل اشار كارتر الى ٢٢ من زوجات مساعديه سيقمن بزيارة المقبرة فى اليوم التالى بعد رجال الصحافة . .

قال محمد زغلول باشا وكيل وزارة الاشغال :

- هل بين مساعديك مسلمون ؟

قال كارتر في دهشة :

- مامعنى هذا السؤال ؟

قال زغلول باشا :

- انى استكثر الأثنين وعشرين سيدة على الستة عشر مساعدا إلا اذا كان بينهم مسلمون تزوج كل منهم باثنتين !

وقال محمد زغلول باشا انه سيتصل تليفونيا بالوزير فى القاهرة يطلب موافقته .

جاء رد الوزير بالرفض فان ذلك اليوم كان محددًا لدخول الصحفيين المصريين والاجانب وحدهم الى المقبرة .

توجه محمد زغلول باشا الى الاقصر وارسل الى كارتر يستدعيه لمقابلته فاعتذر لكثرة اعماله وطلب ان يحضر اليه زغلول باشا !
تسامح « الباشا » وذهب الى كارتر فى فندق ونتر بالاس وسلم اليه صورة محضر اتفاق زيارة المقبرة الموقع بين الطرفين يوم ٨ من فبراير .
ولكن كارتر اعاد مرة اخرى موضوع الزوجات واطاف اليهم استور صاحب جريدة التايمس .

ووفق على زيارة استور ورفض طلب الزوجات .
وفى يوم الاربعاء زار ممثلو الصحافة المقبرة مع ستة عشر من مساعدى كارتر .

ورغب كارتر فى ادخال الـ ٢٢ سيدة فرفض وكيل وزارة الاشغال احتج كارتر ولكن زغلول باشا اصر على الرفض .

جن كارتر للقرار واسرع غاضبا عاصفا الى زملائه يطلعهم على الرسالة فغضبوا مثله وقرروا الامتناع عن العمل .
ووضع كارتر اعلانا في فندق « ونتر بالاس » وزعه على الصحافة يقول فيه :

« ان جميع زملائي يحتجون ويرفضون مواصلة العمل ، وسنغلق القبر ولن يجرى فيه عمل بعد زيارة رجال الصحافة له اليوم . »
وبعث كارتر الى وكيل وزارة الاشغال بانه قرر اغلاق المقبرة . . .
وبالفعل اخذ مفتاحها الوحيد معه . . بعد اغلاقها !!
أصدر وكيل وزارة الاشغال القرار التالى :

« حيث ان المستر كارتر اخلق المقبرة من تلقاء نفسه وبغير اتفاق مع الحكومة . وحيث انه اخل بشروط النظام الذى وضع لفتح المقبرة .
وحيث ان بيده مفاتيح المقبرة .

وبعد المداولة مع لاكمدير مصلحة الآثار فيما يجب اتخاذه للمحافظة على المقبرة وما فيها وما استخرج منها من آثار وضعت فى قبر الملك سيتى .

تقرر ان يتعاون محمد شعبان ابراهيم حبيب وانطون بولس الموظفان بمصلحة الآثار فى المحافظة ليلا ونهارا على مقبرة الملك توت ومقبرة الملك سيتى وعدم السماح بفتحهما لأى شخص سواء فى ذلك رجال كارتر او رجال الحكومة .

ويساعد كلا من هؤلاء الموظفين ثلاثة من خفراء الآثار بوادى الملوك .

ويراقب انجليباك كبير مفتشى مصلحة الآثار تنفيذ ذلك واطار مركز
الاقصر ومديرية قنا اية مخالفات » .
وعلى الفور احاط رجال الشرطة بالمقبرة .

فطن كارتر لخطورة اغلاق المقبرة فحاول دخولها ولكن رجال
الشرطة منعه ومعاونيه من الدخول فعاد الى بيته غاضبا هائجا ليبرق الى
مرقص حنا وزير الاشغال قائلا انه يعد ذلك اهانة ماسة بكرامته .
قالت البرقية :

« يوم الجمعة الماضى منعنى البوليس المسلح من دخول قبر توت
عنخ آمون . . وأطلعنى على امر ادارى من المدير العام للآثار المصرية
بمنعنى الى ان تصدر أوامر جديدة .

انى اعد عمل مدير الآثار مهينا . ومن الضرورى للمحافظة على
سلامة النواوس ومحتوياته ان يسمح لى بدخول القبر الذى هو حق لى لا
سيما ان التدابير التى عملت يوم الاثنين الماضى لتعليق غطاء التابوت
الحجرى كانت تدابير وقتية .

ولما كان يجب ان اعطى الفرصة لاتخاذ الاحتياطات الكاملة لحفظ
محتويات القبر والمعمل الكيماوى مدة الانقطاع عن العمل فأرجو
معاليكم الجواب حالا لأن المسألة عاجلة جدا . . »
- وقال كارتر لرجال الصحافة : ان غطاء النواوس ترك معلقا بحبال قد
لا تتحمل الضغط ولو قطعت لانقض الغطاء على التابوت وأصبح النواوس
ومحتوياته وبينها مومياء الملك كومة من التراب !

رد وزير الاشغال بان كارتير المسئول عن كل ما جرى وانه الذى اغلق
المقبرة بيديه .

ومع ذلك فان الحكومة تتسامح معه اذا تعهد خلال ٤٨ ساعة بتنفيذ
كل ما تشير به الوزارة عليه ولا عدت الامتياز الممنوح للسيد كارنارفون
ملغيا وتولت بنفسها العمل .

قال مرقص حنا فى برقيته :

« ان الاحتياطات التى تشكو منها لم تتخذها الحكومة إلا بعد
أن أقفلت أنت المدفن خلافا للبرنامج المتفق عليه بينك وبين
الوزارة وبعد أن أضربت أنت ومساعدوك.

وبعد ما نشرت اعلانا فى ١٥ الجارى قلت فيه انه لن يتم بعد الآن
عمل جديد فى المدفن .

وانى لمستغرب جدا ما علمته من انك عندما اقفلت المدفن لم تتخذ
جميع الاحتياطات الضرورية لضمان سلامة الناوس الذى يهم امره العلم
والعالم باسرة .

وانى احتفظ بكل حقوقى فيما لو نشأ عن ذلك ضرر .

ومع ذلك فرغبة منى فى اعطائك فرصة اخرى ادعوك الى القيام
بتعهداتك بصفتك ممثلا لصاحبة الرخصة .

واذا لم تبلغنى فى مدة ٤٨ ساعة بانك مستعد لاستئناف تنفيذ
البرنامج المتفق عليه فى ٨ الجارى تلغى رخصة الحفر فى الحال .
وقد تلقى موظفو مصلحة الآثار الأوامر بان يكونوا حاضرين
لمساعدتك اذا استأنفت العمل » .

أخذ العالم كله يتحدث عن الأزمة وتطوراتها ، وابعادها ، من زاوية واحدة وهي ان غطاء التابوت ، الذى يزن طنين ، معلق فى الهواء ، وقد يسقط ، فى لحظة على التابوت فيحطمه .

نشرت صحيفة « كريستيان ساينس مونيتور الامريكية » تحت عناوين عريضة .

« الرعب ينتشر . آثار لاتقدر بثمان قد تدمر غدا . . نزاع الاقصر . غطاء التابوت معلق فى الهواء » .

وهكذا أصبح مصير التابوت يهم العالم .

ولو ان كاتباً قال ذلك فى احدى رواياته لكان القراء قد اتهموه بالمبالغة . ولكن حقيقة مايجرى فى مقبرة توت عنخ آمون كانت أغرب من كل خيال !!!

طرد كارتر

كان يمكن ان تنتهى الأزمة ، وكأن شيئا لم يكن ، لو أن كارتر عاد إلى العمل في المقبرة .

ولكن الجولة الأولى في الصراع الحاسم كانت قد بدأت . . وأصبح التراجع يعنى التنازل عن ملكية نصف الآثار .

أبرق كارتر إلى مرقص حنا يقول انه شرع في إتخاذ الاجراءات القانونية بالمحكمة المختلطة .

وبدأ كارتر - في هذه البرقية - يملئ شروطه قال :

« اذا اعتذر مدير الآثار العام عن إهانة السيدات اللواتى دعوتهن بالنيابة عن الليدى كارنارفون لزيارة القبر يوم الأربعاء الماضى بعد إنتهاء زيارة الصحفيين .

واذا تعهدت المصلحة بالامتناع عن كل إزعاج وتعرض . فأنى أعيد فتح القبر مدة عشرة أيام طبقا لاتفاق ٨ من فبراير الذى نقضتم المادة الثالثة منه » .

وزار ماكسويل محامى كارتر وزير الأشغال مرقص حنا فى منزله بشارع سليمان باشا ليؤكد ضرورة إعتذار مدير الآثار .
رد الوزير قائلا :

- كل ما فعله لاكم كان بناء على أوامرى التى أبلغتها لوكيل وزارة الأشغال . وأنا المسئول عن كل ما حدث . ولا أجد محلا ، أو داعيا ، للاعتذار عن شىء .

وصرح مرقص حنا وزير الأشغال لمراسل رويتر بأن الحكومة المصرية لا تستطيع أن تتحمل وقوف كارتر موقف الشاكى لها . ويجب أن يذكر أنه يعامل حكومة

ابرق كارتر إلى سعد زغلول شاكيا مصلحة الآثار وتضييقها عليه . حتى جعلت عمله مستحيلا .
قال كارتر :

« اسمح لنفسى ان اوجه انظار دولتكم إلى إهانة كبرى نالتنى من موظفى مصلحة الآثار الذين منعونى صباح اليوم من تمكين أشخاص من أسر معاونى من زيارة مدفن توت عنخ أمون .

وانى واثق من أن دولتكم ستستنكرون هذا العمل . القليل المجاملة ، الذى هو فى الوقت نفسه غير مشروع ولا يمكن تبريره .
وبناء على ذلك احتج زملائى وأبوا الاستمرار فى متابعة التنقيبات العلمية وآسف لانى مضطر فى هذه الحالة إلى إقفال المدفن وإلى مقاضاة الحكومة المصرية »

رد سعد :

« ان رفض طلبكم الخاص بزيارة بعض العائلات للمدفن فى اليوم المخصص لزيارة مندوبى الصحف له هو رفض إتفاق سابق اشركتم فيه . فموظفو مصلحة الآثار لم يقوموا الا بتنفيذ التعليمات التى تلقوها فلا يمكن ان نلومهم على اى وجه من الوجوه .

ولكم الحرية في ان تقاضوا الحكومة .
ولكن الحكومة تريد ان تكون مواعيد الزيارات مصونة ومحترمة .
واما ما يتعلق باقفال المدفن كما تقولون ، فانه شق على ان أضطر
إلى تذكيركم بأن المدفن ليس ملكا لكم . وإن العلم الذي تدعونه بحق
لا يمكن ان يسلم باقدا مكم مع زملائكم من أجل أمر خاص - بزيارة
افراد يريدون تمييزهم على ترك التنقيبات العلمية التي لا تهتم بها مصر
وحدها أعظم إهتمام بل يهتم بها العالم كله أيضا » .
خطب سعد زغلول في فندق « سميراميس » بالقاهرة يوم ١٥ من
فبراير في حفل تكريم المحامين لوزارة الاشغال والعدل والمواصلات
باعتبارهم محامين سابقين فأشار إلى مشكلة الأقصر .
قال :

« ان المستر كارتر سلك سلوكا لا ترضاه الحكومة ولن ترضاه لأنه
أُتفق معها بمحضر رسمي على مواعيد الزيارات وأنواعها فلم يحترم
الاتفاق .

وأراد أن يدعو للزيارة سيدات في وقت لم يكن مخصصا لهن فعارض
رجال الحكومة في ذلك تنفيذا للاتفاق .
عز عليه أن يرى الحكومة معارضة لرغباته فأمر بإغلاق المقابر من
تلقاء نفسه وكتب لى تلغرافا يقول بأن تصرف رجال الحكومة معه بمنع
الزائرات تصرف غير لائق وأنه أمر بإغلاق المقابر (على ألا تفتح الا في
العام المقبل) وأنه سيقم دعوى على الحكومة .

· أجبناه في الحال بأن رفض رجال الحكومة إنما كان تنفيذا لاتفاق مسمى منه وليس له الحق في أن يأمر بإغلاق المقبرة من نفسه لأنها ليست ملكا له وأن له أن يرفع ما يشاء من الدعاوى ولكن الحكومة رعاية للصالح العام لها أن تتخذ كل إجراء فيه المحافظة على حقوقها وعلى كرامتها وعلى العلم أيضا .

والحكومة مصرة على أن تسير في هذا السبيل لأنه سبيل الحق وهو السبيل الموصّل لحفظ كرامتها وتعهداتها ولرعاية خاطر الجمهور .
ولن نحيد عنه قيد شعره إرضاء لفرد واحد يريد أن يتصرف ضد إتفاقاته وضد ما يجب عليه للحكومة وللجمهور » .

* * *

ويهتف المتظاهرون في الشوارع لمرقص حنا قائلين :
ليحیی المدافع عن وادی الملوك .
يحيا وزير توت عنخ آمون !

وتتابعت البرقيات على وزير الأشغال من الهيئات والجامعات والمدارس وقالت برقيات من ناظرات ومعلمات المدرسات في مدارس البنات :

الملك آمون وحفيداته يشكرونكم !

قال عباس محمود العقاد في كتابه « سعد زغلول » :

« كان كارتر ينتظر في هذه الحالة ما ينتظر من كل حكومة مصرية ينتهى إليها تهديد واحد من السادة المحتلين كيفما كان ، لأن المرجع في الوزارات لمستشار أو مفتش إنجليزى ، وهو لا يقبل من المصريين أن يسمعوا هذا التهديد ولا يسرعون إلى الخوف والاذعان » .

ولكن كارتر أعلن للصحف أنه أرسل برقيات احتجاج إلى وزارة الخارجية البريطانية في لندن وإلى المندوب السامي بالقاهرة .
زار اللورد اللنبي سعد زغلول لأول مرة يوم ٢٢ من فبراير ، أى بعد ٤٨ ساعة من إلغاء الترخيص . وكان هذا أول لقاء بين الرجلين .
ولكن اللورد تجنب الإشارة تصريحاً أو تلميحاً ، إلى قبر توت عنخ آمون !

وتكتب الصحف المصرية :

« لا أمل لكارتر ان يستأنف عمله الا اذا أسرع إلى وزارة الأشغال العمومية وأزال سوء الفهم الذى وقع بينه وبينها .
وإذا لم يفعل ذلك فستتولى الوزارة بنفسها إتمام الأعمال الفنية في المقبرة وتنفيذ برنامج الزيارات الذى اتفقت عليه كتابيا مع كارتر » .
أصبحت المعركة علنية بين كارتر وحكومة مصر .

وقفت أغلبية الصحف البريطانية والأمريكية مع كارتر تسانده ،
وتؤيده ، ضد الحكومة المصرية .

وكانت نظرة هذه الصحف محدودة ، ضيقة للغاية . وظنت أن
الخلاف حول أسلوب العمل فحسب .

قالت التايمس التى إرتبطت مصالحها بكارتر :

* « ان الجميع يعطفون على مستر كارتر كل العطف وهو مصيب كل
الاصابة في عمله . وقد برهنت السلطات المصرية في معاملته على قصر
نظر وقلة براعة لا نظير لهما .

ومن العوامل المضحكة وضع حرس خاص على القبر ليمنع كارتر من الدخول إليه . وقد إستعمل هذا الحرس خيمة إستعارها من مستر كارتر . وأرسل عدد من رجال البوليس لحراسة القبر من النهب . ولكن الحكومة لم تقدم لهم ملجأ ، أو ماء ، وقدم إليهم مستر كارتر كل ذلك .

ولم يحدث في تاريخ مصر الأثرى ان الحكومة أملت أوامرها على الأثريين في شأن العمل أو إيقاف أى جزء منه . ويرجع الأمر إلى إعتبارات سياسية فالحكومة راغبة في تعزيز موقفها على حساب الحكومات التى سبقتها بأن تظهر للجمهور أنها حكومة قوية » .

واستمرت التاييس تدافع عن كارتر . قالت في إفتتاحيتها :
« سيكون هناك شعور كبير بالأسف لأن المسائل وصلت إلى هذا الحد .

ان الخلاف الذى أدى إلى إغلاق المقبرة ، والوقف المفاجىء للعمل ، كان لسوء الحظ قائما منذ وقت طويل .
ويظهر من مكاتبات كارتر مع السلطات المصرية أنه قام بمحاولات جبارة .

وقد تم إكتشافه العظيم بعد حوالى ستة عشر عاما من العمل الدؤوب .

وكان مخيبا للآمال في جزء كبير منه من جانبه ومن جانب اللورد كارنافون .

ومنذ ذلك الحين كان العمل يسير كلما سمحت الظروف تحت ظروف قاسية للغاية بعناية بالغة ، ونشاط متصل وعلى درجة عالية من المعرفة العلمية ، والكفاءة وربما لم تكن المقبرة لتكتشف لولا مشاركة كارتير .

وقد حقق إكتشافها - كما يقول بحق - فوائد كبرى لمصر وخاصة لمصلحة الآثار فيها .

ويقول كارتير ان سائر المصالح الحكومية الأخرى لم تقدم سوى النوايا الطيبة والرغبة فى المساعدة .

ومن المؤسف للغاية ان تأتى عرقلة العمل من المصلحة التى تهتم إهتماما مباشرا بنجاحه .

ولكن لا يمكن ترك الأمور على حالتها . ويمكن ، بل ينبغى ، التغلب عليها .

ويشكو كارتير من ان حوالى ١٦ يوما من الأيام الخمسين ، التى عليه ان يعمل خلالها بين شهور الاغلاق فى العام الماضى ، ضاعت فى الزيارات غير ضرورية للقاهرة وفى معوقات أخرى .

وتم مؤخرا وضعه ووضع جميع من يعملون معه فى العمل تحت المراقبة .

وتم أكثر من مرة التدخل بالسماح لزوار بدخول المقبرة ، وإستبعاد غيرهم من الزيارة رغم أنها لصالح العمل .

وحان الوقت لوضع حد لسياسة المضايقات التى خضعوا لها .
والتي وصلت إلى الذروة الآن عندما أصبحت أعصابهم مرهقة للغاية بسبب النجاح الرائع الذى توج جهودهم .

في هذه الظروف ليس مما يثير الدهشة انهم اضطروا أخيرا إلى تقديم
إحتجاج .

ونحن لا نشك في انه سيلقى تأييدا من خبراء الآثار والعلماء
والمؤرخين والعالم المتحضر » .

وقالت جريدة « أوت لوك » البريطانية :

« ان العبارة الوحيدة التي يمكن أن نصف بها سلوك المصريين نحو
مسر كارتر هي الخشونة والغلظة .

ولا ندرى كيف يستطيع المنقبون ان يسلكوا طريقا آخر أمام الاهانات
المستمرة التي لحقتهم على أيدي هؤلاء الأطفال المتهموسين الذين يعشون
بالحكم الذاتي :

ومن دواعي الأسف ان تحفظ في القاهرة أهم إكتشافات وجدت ،
بدلا من حفظها في لندن ، أو باريس ، أو أية عاصمة مرموقة ، ذات
حضارة ومدنية » .
ونشرت « ايفننج ستاندارد » البريطانية أيضا :

« المشكلة القائمة الآن ترجع إلى تحويل عملية التنقيب إلى عملية
تجارية وإحتكار جميع الأخبار الخاصة بها ، وقد أحدث هذا إشمزازا
شديدا في مصر » .

ولكن صحفا أخرى ألقت المسؤولية على لاکو والفرنسيين في مصلحة
الآثار الذين أدركتهم الغيرة لأن البريطانيين نجحوا في تحقيق هذا
الكشف .

قالت صحيفة « كريستيان ساينس مونيتور الأمريكية في مقال كتبه

جيمس برستد دون توقيع :

« نشأ موقف المصريين عن فشل مصلحة الآثار في منح كارتر ما يطلبه من تأييد » .
وفي كتابه « سبعون سنة في الآثار » قال العالم الأثرى فلنדרز بيتري :
« لأكوهو المحرك » .
وإتهمت جريدة « نيويورك تايمز » دعاة السوء الخارجيين ..
تقصد الفرنسيين !

وكتب بارون صاحب مجلة بارون الاقتصادية الأمريكية ومؤسس
جريدة وول ستريت جورنال الأمريكية أيضا بأن لاكونصح المصريين
بالغاء ترخيص التنقيب » .
وردت « جورنال دي ديباه » الفرنسية فأيدت الحكومة المصرية
وطالبت كارتر بتسليم المفاتيح إلى لاكو .
وغيرت صحيفة « ايفننج ستاندارد » البريطانية إتجاهاتها أكثر من
مرة .

قالت : « السبب يرجع إلى رغبة موظفي الآثار المصرية الفرنسيين
في ان يحتفظوا بسلطانهم بصفتهم حراسا على الآثار المصرية . وهناك
تحاسد غريب على توزيع الكنوز الثمينة التي وجدت في المدفن » .
ونسبت أصل المشكلة في مقال آخر إلى رغبة ولاية الأمور المصريين في
ان يستعملوا سلطاتهم الجديدة . وهم يبحثون عن فرصة يغتنمونها
لإثبات إستقلالهم وأن يضمنوا في الوقت نفسه ان جميع التحف ستبقى في
مصر » .

وفى مقال ثالث قالت :

« نشأ النزاع عن رؤية المصريين لذهب المقبرة . ويعتقد كل مصرى ان هناك ذهباً كافياً لسداد ديون مصر » .
وفطنت صحف بريطانية أخرى إلى المد الوطنى ، والروح القومية
النامية مع الاستقلال وتولى سعد زغلول رئاسة الوزارة .
أخذت هذه الصحف الواعية العاملة تحذر من تطور الأزدة .

قالت جريدة « ديلي تلجراف » البريطانية ان هناك خطراً سياسياً
حقيقياً فى النزاع الواقع بين مستر كارتر والحكومة المصرية فزغلول باشا
ليس تركيا بل مصرى ينظر نظرة مختلفة إلى هذه المسألة .
ولنذكر استياءنا الشديد من الأمريكيين الذين بداوا فى البحث عن
عظام الجنرال أو جليثورب (إنجليزى مؤسس ولاية جورجيا فى أمريكا فى
أواسط القرن الثامن عشر) .

ان مستر كارتر يعمل برخصة من الحكومة المصرية وله حق فى
التعويض اذا اختلفت شروط الرخصة ولكن لا يستطيع أحد أن يرد على
قول الحكومة المصرية بأن القبر ليس ملكاً له . وهى مصيبة فى منع أناس
لا غرض لهم سوى الفرجة من الدخول إلى القبر ومشاهدة فتح النواوس
اذا رأت ان الذوق السليم يدعو لذلك .

واذا أقام رأى العام الانجليزى الدليل على أنه يعطف على الشعور
المصرى فى هذه المسألة ويفهمه سيكون لهذا الأمر خير تأثير فى صلاتنا مع
مصر » .

وقالت صحيفة « مورننج بوست » البريطانية :
 « ليس من الضروري ان نشير إلى خطورة العلاقات الحاضرة بين
 البلدين والحاجة إلى التآنى الشديد حتى إجراء المفاوضات بين بريطانيا
 ومصر .

ويجب على الانجليز في هذه الأحوال الا يتركوا حجة لتسرب النفوذ
 المعاكس لبريطانيا وإساءة سمعة بلادنا الطيبة والقضاء على الصيت
 الأوربي والسياسى الذى نلناه على ضفاف النيل .
 « ومما يؤسف له أن اولئك المنقبين الذين يعملون في قبر توت عنخ
 أمون أفسحوا أمام تلك المؤثرات السيئة ، ما تريده .
 « ومن السهل إثارة الاستياء الدينى والقومى بين المصريين من الأعمال
 الأثرية وإعتبارها أهانة للوطنية المصرية وتدنيسا لحرمة الدفن .
 ومن المأمول الا تفضل مصالح علم الآثار على أحترام الميت الذى
 يعده كرام الناس مقدسا » .



وحددت جريدة « سوٲ ويلزديل نيوز » البريطانية موقف وزارة
 سعد زغلول :
 « ان الزغلوليين يتوقون إلى وضع الأجنبى فى المكان الذى يجب الا
 يتجاوزه . وهم يريدون ان يذكروا مستر كارتير أنه لا ينقب فى أرض
 بريطانية ، بل فى أرض المصريين القدماء المقدسة الواقعة الان ضمن
 حدود الحكومة الوطنية الجديدة . »



ولكن جريدة الايجبشيان جازيت التى تصدر فى مصر باللغة الانجليزية رأت ان تتخلص - حيناً - من اتخاذ موقف حاسم فقالت :
« لا يمكن ان نفصل أسباب النزاع عن شخصية كارتر وحدة

طباعه »
واتبعت مجلة « ساترداى ريفيو » هذا النهج فقالت :
« عندما كان كل شىء فى صفه ، وعندما كان أى تصرف حكيم من شأنه ان يكسب هوارد كارتر تعاطف الجميع بإستثناء أشد المتعصبين ضده فانه أضاع قضيته بتصرف لم يتدبره من قبل .

وأعقبه بتكتيكات بالغة الخطأ . وكان يمكن للدبلوماسية أن تكسب ولكنه إستخدم اسلوب المشاكسة ، وكانت النتيجة . . الفشل .
وفى الشرق أكثر من أى مكان آخر لا يجدى مطلقاً أن تهدد خصمك بعضاً ، مالم تكن مستعداً لاستخدامها بشدة كملجأ أخير ، ويسميها الشرقيون خدعة . وقد فعلت الحكومة المصرية ذلك بالتحديد .
ولما كان المستر كارتر عالم آثار وليس متأمرافكان طبيعياً أن يسقط فيما يبدو أنه كان فخاً منصوباً بأحكام » .

ورغم ذلك فان كارتر كان نائراً أشد الثورة لأن « التايمس » لم تقف بجانبه .

كتب ارثر ميرتون مراسل الصحيفة فى الأقصر رسالة خاصة إلى رئيس التحرير فى لندن يصف كارتر فى تلك الأيام .
قال :

« أعلن كارتر ان الصحيفة لم تتصرف تجاهه ، بالصورة التى كان يتوقعها منها .

وقال انه يعتقد انكم ، من ناحيتكم ، كان ينبغي ان تدافعوا عنه بقوة أكبر ، خاصة وأن لديكم كل المراسلات ، وتعرفون ما تعرض له خلال هذا الشتاء .

وأضاف أنه بإستثناء إفتتاحية كتبت في اليوم التالى للأزمة ، وأشارة في الافتتاحية إلى إتفاق « التامس » معه ، فانكم لم تفعلوا شيئا من ناحيتكم .

وكان متزعجا بوجه خاص من عنوان فرعى نشر يعطى إنطبعا زائفا بأنه المخطيء لا الحكومة المصرية .

وأعرب عن خيبة أمل مريرة فلم تصل إليه رسالة واحدة متعاطفة معه .

وأدركت أنه فقد توازنه تماما ، من الطريقة التى يتحدث بها عن أفضل أصدقائه ، الذين وقفوا إلى جانبه .

أنذرت وزارة الاشغال كارتير بفتح المقبرة .

وأجتمعت لجنة قضايا الحكومة المصرية فأيدت وزارة الأشغال فى قرارها .

وقررت اللجنة إلغاء عقد الامتياز اذا إنتهت المهلة الممنوحة لكارتير ولم يذعن للشروط .

* * *

إجتمع مجلس الوزراء برئاسة سعد زغلول باشا يوم ٢٠ من فبراير مدة ساعتين ونصف الساعة ووافق على إلغاء الامتياز الممنوح لليدى كارنارفون فى ٢٣ من يوليو ١٩٢٣ وكان مقررا ان يستمر الامتياز حتى ٢٤ من نوفمبر ١٩٢٤ . وأصدر وزير الأشغال قرارا بذلك جاء فيه :

» بعد الاطلاع على رخص الحفر الممنوحة للورد كارنارفون في سنة ١٩١٢ - ١٩١٨ والرخصة المعطاة إلى الليدي كارنارفون سنة ١٩٢٣ بالاستمرار في إستخراج ما في قبر توت عنخ آمون بوادي الملوك بالأقصر .

وبعد الاطلاع على البرنامج الذي وقع في ٨ من فبراير سنة ١٩٢٤ وتقررت فيه الأعمال والبيانات والزيارات بعد إستكشاف التابوت الملكي بإتفاق تم بين وزارة الأشغال العمومية والمستر كارتر النائب عن الليدي كارنارفون والمكلف من قبلها بإدارة أعمال الحفر .

وحيث أنه في يوم ١٣ من فبراير سنة ١٩٢٤ غداة فتح التابوت أوقف المستر كارتر تنفيذ البرنامج المتفق عليه بأن أقفل القبر وبأن صرح على رؤوس المأ بأنهم لن ينفذ عملا من الأعمال بعد ذلك .

وحيث أنه قد طلب إليه رسميا في يوم ١٨ من فبراير ان يعود لتنفيذ البرنامج المتفق عليه فرفض الطلب ووضع شروطا لفتح القبر لا مبرر لها ولا تقبلها الحكومة .

وحيث ان إقفال القبر وترك العمل يعتبران مخالفة خطيرة لتعهداته التي قبلها .

وحيث ان هذه المخالفة أشد خطرا لأنها بإعتراف كارتر نفسه تعرض الآثار النفيسة المكتشفة لتلف لا يمكن إصلاحه .

وحيث ان المادة ١٣ من تصريح سنة ١٩١٥ تقضى بأن « كل مخالفة من جانب صاحب الرخصة لشروط التصريح تؤدي بمطلق الحق ، ودون أى إعلان ، أو شيء من الاجراءات الأخرى ، إلى إلغاء الترخيص .

وحيث ان هذا الالغاء أصبح أشد لزوما لان المستر كارتر منذ جدد التصريح لليدى كارنارفون قد ازدري دائما سلطة مصلحة الآثار وحققها في المراقبة ولانه بكتابة المؤرخ ٣ من فبراير سنة ١٩٢٤ والذي نشره أنكر صراحة حقوق الدولة في الآثار المستكشفة .

لهذه الأسباب وبناء على ما عرضه المدير العام لمصلحة الآثار .

قرر :

المادة الأولى - يلغى ترخيص الحفر الممنوح لليدى كارنارفون في ١٢ من يولية سنة ١٩٢٣ . والذي ينتهى في ٢٤ من نوفمبر سنة ١٩٢٤ .

المادة الثانية - على المدير العام لمصلحة الآثار تنفيذ هذا القرار وعليه ان يعمل فوراً لفتح المقبرة والمعامل وغيرها من المستودعات ويسرع في اتخاذ الاحتياطات اللازمة لحماية ما يوجد من الآثار وصيانتها .



لم تصدق أرملة اللورد كارنارفون نبأ إلغاء الترخيص .
أدلت بحديث إلى صحافة لندن قالت فيه :

« هذا العمل من المستحيلات التامة . ولا يمكن إلغاء الترخيص لأنه صدر بإسمى ! ! ولا توجد حكومة تحفل بالناس وتأتى بهذا العمل دون ان تبغنى أولا بقصدها . ولم يصل إلى تنويه بأنهم سيأتون بهذا العمل » .

ان الصدمة كانت أقوى من ان تحتملها الليدى التى كانت تظن أن حكومة مصر لا تجرؤ على إلغاء ترخيص منح لليدى .
وكانت الليدى تعيش بأفكارها فى عصر إنتهى فى مصر !

* * *

عبرت صحف مصر عن العهد الجديد
قالت البلاغ « اختلفت الأمور منذ تولى سعد زغلول الحكم . وهذا التطور ينهى طموح كارتر الذى انتعش فى عهد الحكومات الضعيفة . لقد أغلق كارتر قبر الفراغة وكأنه قبر أبيه » .
وهنأت المحروسة الحكومة على موقفها الحازم وقالت « يجب ان يعرف كارتر ان لدينا حكومة حقيقية » .
وقالت الأخبار ان « سياسة الحزم والعزم التى اتبعتها الحكومة كانت الجواب الوحيد على تصرفات كارتر » .
وأضافت :

« كان يجب على الحكومة ان تلغى الترخيص بعد وفاة اللورد لوضع حد لطغيان كارتر » .

وقالت الأهرام « ضل كارتر السبيل فحكومة اليوم غير وزارة أمس . واردة الوزير الجليل الذى يشرف الان على أعمال البلاد

العمومية هي ارادة رجل ليس كالرجال الذين عرفهم كارتر في وزارة الأشغال .

وانتقدت صحيفة النظام كارتر لأنه « مزق الاتفاق الذي وقعه بيده وأعلن الحرب على الوزارة لمصلحة السيدات الزائرات » .
وقالت انه « لم يكتف بوضع يده على الآثار والتعامل على هواه مع الموتى بل أراد أن يمارس نفوذه على الوزراء وتخيل نفسه ملكا على وادى الملوك » .

وحتى صحيفة المقطم التي تعبر عن رأى الانجليز طالبت بحل الخلاف ولكنها لم تستطع أن تعارض الحكومة .

وقالت المقطم : « هذا الحادث يجب أن يفتح عين الحكومة والشعب لدراسة آثارنا والقيام بالحفر والتنقيب عنها » .

وفي البداية رأت جريدة السياسة الناطقة بإسم حزب الأحرار الدستوريين المعارض لسعد والوفد ان في تصرف وزير الأشغال شيئا من المبالغة والتشدد ولكن بعد ذلك وقفت مع مصر . . وآثارها .
وكشفت صحيفة الوطن السر الحقيقي للخلاف .

قالت : « من غير المعقول ان يكون السبب راجعا إلى السماح بدخول بعض السيدات إلى المقبرة بل ان السبب أعمق من ذلك . ان كارتر يريد التخلص من الاشراف الحكومي الفنى وأن تكون له حرية العمل كاملة ليحصل على نصيبه من الآثار » .

* * *

أصدرت المفوضيتان المصريتان في باريس ولندن بيانين يشرحان فيهما موقف الحكومة المصرية وينددان بأعمال كارتر .

وأيدت الصحف الفرنسية في باريس قرار الحكومة المصرية لأسباب كثيرة قد يكون منها أن مصلحة الآثار يديرها فرنسيون بحثوا ونقبوا كثيرا في مصر ولكنهم لم يقوموا بكشف يعادل ما حققه كارتر .

وادلّى سعد بحديث إلى صحيفة التايمس قال فيه :
« ان الحكومة المصرية لم تتجاوز قط دائرة حقوقها ، وأظهرت روح الصداقة التامة من البداية حتى النهاية . ولم يكن لجنسية كارتر ، في أى وقت ، أقل تأثير في العمل الذى قامت به الحكومة بل كانت ترغب دائما في تجنب ما قد يؤدي إلى تعكير صفو العلاقات السودية بين البلدين » .

وقال سعد :
« لو كان صاحب الامتياز مصرية ، لما أظهرت له الحكومة هذه الرعاية » .

سأله مراسل التايمس
- يقال انكم اتخذتم قرار إلغاء الامتياز لأرضاء الجمهور .
أجاب سعد :
- ما الضرر اذا اخذنا في الاعتبار مشاعر الرأى العام عند اصدارى القرار . وليس ذلك هدفنا ولكنه لا يخيفنا مادام يتفق مع الحق .
وقال سعد :

- لا تستخف الحكومة الدستورية ابدا بالرأى العام !

* * *

كتب فكرى أباطة رسالة نشرتها الأهرام :

« مولاي الملك المدفون :

خاطبت « الاحياء » فلم يصغوا لخطابى .

وهأنذا أخاطب « الأموات » فأشكو إليك ابناءك .. فقد قيل ان

« سرك » عجب .. وأنت كما استطعت ان تقضى على نابش قبرك

« بالفناء » تستطيع ان تلزم غاصب وطنك « بالجلاء » .

أى مولاي :

عذرا اذا تحالفنا مع أعدائنا على جثتك الهامدة .

وعذرا اذا اختلفنا معهم الآن على احترام جلال الموت ، ورقدة

الأبدية ، بل على إقتسام التحف الملكية ومخلفاتك الفضية والذهبية .

مولاي المدفون :

ايه - الملك - لا يدوم .. وكما كنت فى الثريا فقد أصبحت الآن

فى الثرى .

ولا تحقد أيضا على الحضارة اذا انقضت مخالبتها أو أظافرها على

جسمك البالى فانها حضارة المظاهر لا الحقائق - ومدنية الماديات لا

الأدبيات .

استيقظ واسمع ..

اننا لا نحترم ديننا ولا عهدا .

لا نعبد الا المادة ..

ولا نقدر الا المنفعة .

ننهب فى قبور ملوكنا . ونهتك حرمة أجدادنا .

حتى اذا وصلنا إلى الجثث المسكينة صعقنا وخاطبناها قائلين :
- أخرجى نضعك في الأسواق .

ثم نادى أيها السياح :

- ندعوكم إلى الفرجة مقابل دراهم معدودة . . دعوة صادقة من
المصريين « الاحياء » للفرجة على المصريين « الاموات » .
أى ملكى المقبور :

عفوا اذا جعلناك « سلعة » يستغلها المستر « كارتر » .

وجعلنا قبرك « حانوتا » يقفله المستر كارتر بمفتاحه اذا شاء .
ويفتحه اذا ما شاء . . فهكذا شاء القدر وهكذا شاء حظنا المنكود .
أيها الملك الشاب :

أرثى لك وأرثيك وأبكى .

ولكن هل يجدى البكاء .

هل يعيدونك ملكا لك ما كان لك ويجوارك ما كان بجوارك . .
ويحف بك ما كان يحف بك . لا ، واحسرتاه سيخرجونك كما
يستخرجون المعدن من جوف الأرض . .

يضعونك في « دولاب » صغير سافر ثم يزدحم حولك الأطفال
والرجال والنساء يحدقون في عينيك للتسلية ومجرد اللهو .

وهذه هى « ماموريتك » في عهد الحاضر أيها الملك الغابر .

أى ملكى :

سينقلونك إلى المتحف في جوار قشلاق قصر النيل حيث توجد
ثكنات لجيش الاحتلال البريطانى . . امعانا في أهانتك وغلوا في ايدائك

لتشاهد أيها الملك الحر شعبك المستعبد ولتعلم ان الذين نبشوا قبرك
يحفرون الآن القبر لأمتك ! ! !
أيها السادة نابشو القبور :
بعثكم هذا ليس بعث الله . .
اذكروا أنكم ستموتون .
واذكروا أن ضجعة الموت لها جلال . استحلفكم بأبائكم الهادئين
في قبورهم . المظمئين على عالمهم الثانى . ان ترحموا « الملك
الميت » فقد اراد ان يثوى فى قبره هو لا فى قبركم أنتم ، فاحترموا ارادة
الملوك واحترموا ارادة الأموات ! ! !

القضية

لم يقف كارتر صامتا بل أسرع بإقامة دعوتين أمام المحاكم المختلطة .

الأولى يطالب فيها بنصف الآثار طبقا للترخيص والثانية أمام محكمة الأمور المستعجلة المختلطة يطلب فيها - بصفة عاجلة - تعيينه حارسا على قبر توت عنخ آمون والمقابر المجاورة التى يوجد فيها إستديو التصوير والمعامل التى تحفظ فيها الآثار وترمم قبل نقلها للقاهرة .

وقال إنه يريد أن يكون حارسا ثمانية شهور ونصف الشهر حتى أول نوفمبر ١٩٢٤ .

وطالب أن يفوض - تحت ملاحظة مصلحة الآثار - فى عمل ما يراه لازما لحفظ الآثار ، ونقل ما يمكن نقله إلى متحف القاهرة وإقفال القبور الموجودة بداخلها هذه التحف إقفالا محكما مع بقاء مفاتيح القبور فى حيازة كارتر !

وقال انه ظل واضعا يده بطريقة تامة مطلقه على القبر ووضع له بموافقة مصلحة الآثار ابوابا من الصلب يحمل - وحده - مفاتيحها .

وقال إنه حاول أن يتخذ الاجراءات اللازمة لصيانة الناوس الذى ترك مفتوحا فى القبر بصفة مؤقتة فمنعته القوة المسلحة يومى ١٥ و ١٧ من فبراير . .

وبنى دعواه على أساس أن أعمال الاستخراج ، والفحص ،
والتحريات العلمية ، لن تتم ، وأنه - وحده - العليم بطرق صيانة
الآثار ، ويملك - وحده - المواد اللازمة لذلك والتي توجد بالقبر !
وقال ان له الحق في نصف الآثار طبقا للقانون رقم ١٤ لعام ١٩١٢
الخاص بالآثار وقرار وزير الأشغال رقم ٥٢ لسنة ١٩١٢ .
بدأت المحكمة نظر القضية بالقاعة الكبرى في العاشرة من صبح
السبت ٢٣ من فبراير برئاسة القاضي الأمريكى كرايبتس .
وكرايبتس - ٤٧ سنة - كاثوليكي بدأ عمله في المنحاكم المختلطة
قبل ١١ عاما . وظل يشغل منصبه في القضاء المختلط ربع قرن حتى سنة
١٩٣٦ .

وإختير بعد عودته لبلاده محاضرا جامعا في القانون ست سنوات ثم
عينته حكومته مساعدا للوزير الأمريكى المفوض في القاهرة عام ١٩٤٢
لمدة عام .
ومن القاهرة إنتقل إلى العراق .

وقد ألف كرايبتس ٩ كتب عن الملكة فيكتوريا وهنرى الثامن
وأسبانيا ، تأثر بالسودان فألف عنه كتابين كما ألف ٤ كتب عن إبراهيم
باشا والخديو إسماعيل والضباط الأمريكين في الجيش المصرى وقناة
السويس .

بدأ الكتابة عن مصر وهو قاض بالمحاكم المختلطة .
وفي عام ١٩٢٤ لم يكن كرايبتس قد أصدر كتابا واحدا ولكن بقاءه في
مصر ١١ عاما جعله يعرف رجالها المسئولين ، ويتابع تطوراتها السياسية
ويلمس عن قرب حكاية الآثار ...

روسيقي : الأنظمة القانونية المتبعة في المحاكم المختلطة لا تعترف
لهذه البرقيات بقيمه ما . ولا تحسب كتوكيل .

والكلمة الواردة فيها هي :

« أرفع الدعوى بإسمى » .

رد مكسويل بأن القوانين البريطانية تؤيد التوكيل برقيا .

روستي : رغما عن تعظيم المحامي مكسويل للقوانين والأنظمة
البريطانية فإننا هنا نعتبر القانون المصري ولا نعمل إلا به .

وإذا فرضنا أن كارتر في يده الوكالة الكافية لرفع هذه القضية فلا هو
ولا موكله ، لهما صفة تجيز لهما رفعها .

وما قولكم لوجئت أمامكم وطلبت - أنا روسيقي - أن تضعوا تحت
الحراسة أهرام الجيزة .

أن تقديم طلب كهذا يقضى أن يكون لصاحبه شأن أو مصلحة .
وهؤلاء لا صالح لهم في مقبرة توت عنخ آمون . ان الرخصة أعطيت
للورد ثم لارملته بعد وفاته . وليس بين الحكومة وكارتر ، أقل صلة ،
أو علاقة قانونية .

مكسويل : عدل اللورد وصيته هنا في القاهرة وهو على فراش
الموت . وأوصى بأن كارتر هو الذي يتفاوض بالنسبة لمجموعته
الأثرية .

روسيقي : أين الوصية ؟

ماكسويل : الوصية مسجلة في القنصلية البريطانية فإذا أرادت
الحكومة الاطلاع عليها فلها أن تسعى إلى تلك القنصلية .

وقد أثر ذلك كله في تطورات القضية !

* * *

ملأ الحاضرون القاعة حتى أن المحامين لم يجدوا مكانا وإخترق
القاضي ردهات المحكمة .. بصعوبة .

وحضر عن مرقص حنا وزير الاشغال روسيتي المستشار الملكي
لادارة قضايا الحكومة .

وجاء ثلاثة من المحامين يدافعون عن كارتر وهم مكسويل وكاتو وبولاد .
ويتدخل سوء حظ كارتر والصدفة السيئة الضخمة في حياته .

كان أحد محامي كارتر - وهو مكسويل - النائب العام الذي وقف
أمام المحكمة العسكرية البريطانية يطالب بإعدام مرقص حنا .

قال مكسويل ان كارتر يمثل الاوصياء على تركه اللورد كارنارفون وهم
الجنرال السير جون جرانفيل ماكسويل ، وهو غير المحامي ماكسويل ،
والجنرال السير روبرت هاتشنسون وآرثر فتنهاردنجز بيوكلي بورتمان .

رد روسيتي محامي وزير الاشغال بأن المحامي مكسويل موكل عن
كارتر وليس لديه توكيل عن الأوصياء الثلاثة ولا يجوز له الحضور نيابة
عنهم فهم لم يقيموا دعوى وليس لهم شأن بها ودفع بعدم قبول الدعوى
بالنسبة لهم .

مكسويل : هناك ثلاث برقيات بأسم كارتر من « لندن » و
« كان » و « نيس » يصرح له مرسلوها بإقامة الدعوى في المحكمة
المختلطة .

روسييتى (بحدّة) : ليس على الحكومة المصرية أن تسعى بنفسها للحصول على هذا المستند .

وعلى الفور أصدر القاضي كرايبتس حكما فى هذا الدفع قال فيه :
أن كارتر لم يقدم ما يثبت وكالته عن الاوصياء المنفذين لوصية اللورد
ولذلك فان ماكسويل لا يستطيع أن يتكلم إلا بإسم كارتر وحده .
. . أى أن القضية أقامها كارتر ولم يرفعها الاوصياء على تركة اللورد !



طلب روسييتى بعد ذلك رفض دعوى كارتر شكلا على أساس أن
ترخيص التنقيب أعطى للورد كارنارفون ومن بعده لزوجته ، وهى
وريثته .

وقال ان السيدة المينا لم تقم دعوى وليست طرفا فيها والحكومة لا
تعرف شخصا غير اللورد . ولا يهمها من يكون المنقب . ولا يهم
الحكومة المصرية من كان يدير أعمال اللورد أو يعاونه . .
وأضاف روسييتى :

- ومع ذلك فإن كارتر يطلب أن يعين حارسا قضائيا . . « كمان » !
ضحك الحاضرون

. القاضي : سيكون أيها الساده .

روسييتى : يجب وضع حد لهذه المهزلة السيئة بتطبيق أبسط
المبادئ القانونية .

ماكسويل : المادة السادسة من ترخيص التنقيب تعطى كارتر
حقوقا .

وتنص على حرته في إتخاذ اية اجراءات يراها للفحص والتحريات العلمية لما يكتشف في القبر من آثار . وقد منحه الليدى كارنارفون حق متابعة العمل .

القاضى : هل يمكن أن تصدر الحكم في نزاع خطير كهذا تتأثر به حقوق الليدى كارنارفون دون حضورها .
مكسويل : المسألة خطيرة وعاجلة لأنها تتعلق بصيانة الآثار .

القاضى : هل إذا أجلت القضية يمكنك إدخال الليدى في الدعوى ؟

مكسويل : الليدى لا شأن لها فهي لا تقاضى .
روستى : نحن نقدر حقوق الليدى . ولكنها ليست ماثلة أمامنا .
وليس لهم أسم في القضية .
مكسويل : ذكر أسم كارتر في الترخيص بجانب أسم اللورد كارنارفون .

القاضى : تريدون منا أن نفصل في أمر جم الخطورة . فلتأت الليدى وتعلن أن كارتر موضوع ثقتها وصديق زوجها .
أريد أن أعرف ماذا تريده الليدى .

وأصدر القاضى قراره بتأجيل القضية ثلاثة أيام .
خلال الأيام الثلاثة جرت محاولات للتوثيق والصلح بين كارتر ووزارة الأشغال وتم شطب القضية

ولكن الوساطة لم تستمر سوى ٢٤ ساعة .
لم يقبل كارتير الشروط .
ومن ناحيته قال مرقص حنا أنه يرفض المفاوضات ، لأن القضية
معروضة على القاضي .
* * *
صباح السبت أول مارس تقدم كاتو محامى كارتير يطلب إلى القاضي
تجديد القضية .
حدد القاضي كرايبتس الساعة الرابعة من بعد ظهر السبت ٨ من
مارس موعدا لنظرها .
بدأت القضية بمفاجأة ..
أعلن أن من بين الحاضرين الجنرال السير جون ماكسويل القائد
العام للقوات البريطانية في مصر عند قيام الحرب .. جاء من كاليفورنيا
ليعلن أنه بوصفه أحد ثلاثة ينفذون وصية اللورد كارنارفون .. يقيم
الدعوى ويوكل - عنه - المحامى ماكسويل .
قال القاضي كرايبتس عند رؤيته :
- أتخلى عن منصبى لحظة لتحية الجنرال وأقول له « أرى صحتك في
تحسن يا جنرال » .
رد السير جون ماكسويل شاكرا .
ووضح أن الهدف من حضوره التأثير على المحكمة وعلى مصر
كلها .. بماضيه العسكرى .. وماضيه فى مصر .
روسيى : أدهشنى كثيرا حضور الجنرال .
كرايبتس : أترك هذا الموضوع .

روسيى : لست عازما على قول كلمة يشتم منها أنى لا أحترم
الجنرال .

. . ويحضور الجنرال ماكسويل أنهار أول دفع فرعى لمحامى الحكومة
فها هو أحد الأوصياء على تركة اللورد يعلن شخصيا أنه يقيم الدعوى ضد
وزير الاشغال المصرى .

قال ماكسويل محامى كارتر والأوصياء ، وهو غير الجنرال
ماكسويل :

وضعت الحكومة المصرية ابوابا من الصلب أمام المقبرة لمنع كارتر
من دخولها وهو المؤهل والمدرّب والخير الوحيد الكفء الذى يستطيع
القيام بهذا العمل العلمى الهام .
أنه يريد صيانة الاشياء وبأخذ عنها المذكرات اللازمة لخدمة علم
الاثار فى الحاضر والمستقبل .

ومن الصعب أن يستمر فى عمله إذا أصر مدير مصلحة الآثار على
مضايقته من آن لآخر لدوافع تافهة فذلك مضر من الوجهة العلمية
للحكومة ذاتها .

ولا يستطيع كارتر أن يقوم بالمهمة الشاقة إذا أرهق وأزعج .
أن التحقق من نوع التحف من الوجهة العلمية ، وضبط عصور
وجودها ، وصناعتها أثمن ألف مرة من وجود التحف فحسب .
. . وأطال ماكسويل فقال القاضى :

- أريد أن تتكلم في الموضوع وتهدى طلبائك .
ماكسويل : كارتر يريد أن يكون حارسا تحت إشراف مصلحة الآثار
ولكن دون تدخلها في عمله .
وأخذ ماكسويل يتلو ما يؤيد وجهة نظره من كتاب عن الآثار .
القاضي : لقد اطلعت على الكتب التي وضعت عن مقبرة توت عنخ
آمون . ومن هؤلاء مستر كارتر نفسه وهو صديقي . وأريد أن أقول هنا
جهارا انه صديقي فلا لزوم لقراءة فقرات أو صفحات من كتب قرأتها من
قبل .

أستمر ماكسويل في القراءة
القاضي : من هو المؤلف ؟
ماكسويل : أنه مستر كارتر نفسه .
القاضي : لا يمكن أن تستدعى خيرا للشهادة ، أو تستند إلى
شهادة خبير ، هو نفسه خصم في الدعوى أليس الافضل أن نقرأ من
كتاب آخر .
ماكسويل : ان مصلحة الآثار سمحت ل ١٥٠ شخصا بزيارة
المقبرة .

القاضي : لماذا سمحت أنت لشخص دون آخر بزيارة المقبرة ؟
ماكسويل : لأن بعضهم جاء في أوقات لا تتعارض مع مصلحة
العمل ولا تعطله .

وتكلم عن المضاعف الفنية والاحطار التي تتعرض لها التحف من
جاء الزيارات التي قد يلحق غبارها وحده ضررا بالآثار - لا يقدر .

وضرب مثلا بما يطلب من كارتر من السماح لفلان باشا أو لعقيلته
بزيارة القبر .

اعترض روسيتى على الكلام عن الحكومة المصرية بتلك اللهجة .
ولكن ماكسويل إستمر قائلا : يضع صواب الباحث إذا إستمر
إزعاجه .

وقد رأى كارتر إتخاذ مايراه لازما لوضع حد لذلك حتى يستطيع
الاستمرار فى عمله وليس عليه أن يسلم القبر قبل أن يتم أبحاثه ولذا أغلقه
 واحتفظ بمفتاحه .

القاضى : - تقول فى مذكرتك أن المدعويين يريدون المحافظة على
القبر وإجراء الابحاث فيه صيانة لمصلحة العلم . فهل المصلحة
العلمية ضرورة ؟

ماكسويل : نعم

* * *

كان القاضى كرايبتس حريصا بأسئلته على أن يتيح الفرصة لمحامي
كارتر لشرح وجهة نظره .
سأله :

- هل هدفك الأول خدمة العلم بإتمام العمل فى المقبرة ؟
ماكسويل : طبعاً . ولذلك لا ارجب فى مزيد من الزوار .
تلا القاضى خطاب محمد زغلول باشا وكيل وزارة الاشغال بمنع
زوجات العاملين من دخول المقبرة . . وسأله :
- لماذا يسمح لهن بالدخول ؟

ماكسويل : عدد منهم يساهم في تسجيل الآثار وتصنيفها وصيانتها
مثل زوجة العالم الاثرى نيوبرى .

القاضي : كيف جاز للمستر كارتر أن يوقف العمل صباح ١٣ من
فبراير ويغلق ابواب المقبرة ويعلن على الملأ أنه أوقف الاعمال إلى أجل
غير مسمى مع أن قرار الحكومة بإغلاق المقبرة لم يصدر إلا في السادسة
إلا ربعا من مساء اليوم نفسه .
انى أعيد القول هنا أنى صديق للمستر كارتر ، ولكنى أريد منك
جوابا على هذا .

كيف يتفق الدفاع عن العلم مع العمل على الاضرار به ؟
إنك تركت العمل بمحض إختيارك والحكومة نفذت رغبتك . وهو
أصعب مافى القضية .

التقط المحامى الهدف فقال :
- إغلاق المقبرة أمر عادى . فهى تغلق مساء كل يوم وتغلق فى نهاية
موسم الحفر شتاء . وتوضع عليها أكوام من التراب لمنع التسلل إليها
لقد أوقف كارتر العمل لأن الحكومة جعلت الاستمرار مستحيلا .
القاضي : كان يمكنك الاستمرار فى حيازة المقبرة ثم تأتى إلى
المحكمة تطلب تعيينك حارسا .

ماكسويل : انه لم يهجر المقبرة بل توقف حتى يستطيع العمل ،
دون مقاطعة ، أو تدخل مستمر .

وتلا القاضي نص إتفاق الخاص بالزيارات الذى عقد بين وزارة
الاشغال وكارتر .

وأضاف :

- ألم تتنازلوا حينما أغلقتكم المقبرة عن متابعة الاعمال ؟
ماكسويل : موقف كارتر مثل موقف مستأجر لبيت من الحكومة
فالمستأجر يحتفظ وحده بمفتاح البيت ومن كان معه مفتاح البيت كان
البيت له . والمستأجر هو الذى يقرر من يدعى للغداء أو للعشاء .
القاضى : كيف تدعى أنك تضع اليد ثم تغلق المقبرة وتطلب منى
مساعدتك على الاستمرار فى الحياة .

ماكسويل : فعل كارتر ما فعل لأن الحكومة اضطرتة إلى ذلك
وجعلت عمله مستحيلا . وكنا عازمين على الرجوع إلى المقبرة لمواصلة
العمل . ولكن الحكومة المصرية دخلت إلى المقبرة كما يدخل
اللص !

وهنا انتفض محامى وزارة الاشغال روسيتى من مقعده يصرخ محتجا
وقال :

- من المخجل أن يتفوه أحد المحامين بمثل هذه الكلمة القبيحة فى هذا
المكان المقدس لاسيما إذا كان هذا اللفظ موجها إلى الحكومة :
إنى أطلب تسجيل تلك الكلمة فى محضر الجلسة محتفظا للحكومة
بحق إتخاذ الاجراءات القانونية ضد قائلها .

سمعت همهمة احتجاج من الحاضرين على ماكسويل .

وجه القاضى كرايبتس الحديث إلى المحامى قائلا :

- الكلمة التى تفوهت بها من الكلمات التى يسأل عنها قائلها .
وأنصحك بسحبها .

ماكسويل : إنى أسحب هذه الكلمة .

عاد روسيتى يحتج على كلمة لص فقال القاضي :

- لقد أعتذر ماكسويل .

ماكسويل : لقد حاول المدعى أن يدخل المقبرة مرارا فمنع من

الاقتراب منها فلجأ إلى المحكمة المستعجلة .

أنه مستمر في وضع يده إلى الآن . أما يد الحكومة فهى يد غير

شرعية .

ان الحكومة جعلت عمله مستحيلا ولذلك أطلب جعله ممكنا .

وشرح ماكسويل تاريخ كارتير كموظف فى الحكومة ومنقب أثرى .

وأفاض فى ذكر المعاملة الحسنة التى كان يلقاها المنقبون من قبل فى

عهد ماسبيرو .

حاول روسيتى محامى وزارة الاشغال الدفاع عن الوزير قائلا : إن

الوزارة أتخذت اجراء اداريا لا يعرض على المحاكم .

رد محامى كارتير قائلا أنه بمجرد إكتشاف المقبرة أصبحت العملية

عقدا بين كارتير والمصلحة يخضع - مثل كل العقود - لرقابة القضاء .

ثم تلا نص ترخيص التنقيب الذى منحة ماسبيرو عام ١٩١٥ إلى

اللورد كارنارفون وحددت فيه حقوق وشروط التنقيب وما نص عليه قانون

الأثار من أقتسام ثمن الاشياء عند تقدير المكافأة .

وقال ماكسويل : أن حق المكافأة ترك فى حالتنا دون نص ما ، وان

الخلافا كله نشأ من تعسف مدير مستبد لمصلحة الأثار .

وأضاف :

- ليس لدى الحكومة المصرية أخصائى يستطيع أن يقوم بعمل كارتير من الوجهة الفنية .

روسيى : إذا كان الترخيص قد منح فى عهد سابق (سنة ١٩١٥) فان الادارة المصرية تأثرت - عندئذ - بشخصية اللورد وجنسيته .

وليس أدل على موقف الحكومة المصرية من البرقية التى رد بها دولة زغلول باشا رئيس الوزارة على الليدى كارنارفون حينما أبرقت إليه برجاء تسوية النزاع فقال:

« أريد أن تعتقدى أنى أحفظ ذكرى الوداد والاخلاص للورد . وآسف جم الأسف للموقف الحاضر الذى منعى كارتير - بإثارته - من أظهار كل ما أشعر به من الاحترام والشكر لما قام به زوجك من خدمة العلم .

وأملى أن تسدى النصح لكارتير فى هذا الصدد » .

فمن اللحظة الأولى تصرفت الحكومة - والأمر متعلق بكنوزها وثروتها الوطنية - لا بوصفها حكومة ، وإنما بدافع من الاخلاص والاجلال للعلم وذوية فى حين أن الجانب الآخر يصر - إلى هذه اللحظة - على العنت والغلطرسه وإمتهان الحقائق .

ذكرت كلمة « لص » فى هذه الدعوى وجاء ذكر موظفى مصلحة الآثار بطريقة تكشف عن حقيقة الظروف السيئة المحيطة بهذه القضية المشؤومة

لقد شوهوا الحقائق أيما تشويه .

إن منشأ القضية خطأ جاهدناه تارة بالوداد والحسنى وتارة بتقدير
المسئولية . لما نمى خبر اكتشاف القبر إلى اللورد قدر لصوره أن عاصفة
هائلة من الفضول والاستطلاع ستور حول هذا الاكتشاف وأن الامر
سيتهى بهجوم من جانب الصحفيين .

وجال بخاطره الهام أنه محافظة على سكيتته والاستمرار في عمله
الفنى أن يعهد إلى صحيفة يومية كبرى بنقل الاخبار ونشرها .

وجاء هذا التدبير عكس ما كان يتوقع لأن الجريدة الكبرى -
« التايمس » أقامت العالم وأقعدته ، وأثارت شوقه لرؤية تلك الكنوز
العظيمة .

نهض الزوار من أقاصى الكرة ونظمت الرحلات . وسارعت
وكالات السفر ، بنشر الاعلانات الضخمة وأنهمروا على الاقصر سيل لا
نهاية له من الزائرين .

هذا هو منشأ الخطأ الذى أثار سخط فريق كبير من الصحافة وخلق
موقفا عجيبا داهما إلى أن كان ذات يوم وصل فيه إلى مصلحة الآثار
خطاب ...

القاضى : أرجو الدخول فى الموضوع : أنى أعجب ببلاغتك
و ...

روسينى : ليس عندى من البلاغة شيء ... وصل إلى مصلحة
الآثار خطاب من المستر كارتر هذا نصه :

« ترعجنى جدا مضايقة وفود كثيرة تأتى للزيارة فأرجو إتخاذ
الاحتياطات اللازمة لحمايتى » .

ان مصلحة الآثار لم تحسن إلى إنسان بأكثر مما أحسنت إلى كارتر
وهذا الخطاب حجة قاطعة على ذلك .

مضت ستون سنة على أعمال التنقيب بمصر وأصدرت الحكومة
ستين ترخيصا ، فأتونا بمثل اضطرت فيه الحكومة إلى أن تقف الموقف
الذى اتخذته في مسألة توت عنخ آمون .

لا أتكلم عن الاف البرقيات والرسائل ومئات الوفود التى احتجت
لدينا على إنتهاك حرمة القبور .

ولكن حدث موقف غريب جديد . فوجدنا الضرورة تقضى بإتخاذ
الاجراءات التى طلبها كارتر نفسه .

مضى العام الاول بسلام لأنه كان هناك شخص غير موجود الآن هو
اللورد .

واللورد كان على يقين من أنه ضيف الحكومة وليس في داره ويعمل
بترخيص في يده لا أكثر ولا أقل .

وجدت الحكومة الرخصة لليدى بدافع من الاخلاص والولاء ،
والليدى لا تستطيع متابعة العمل فحدث ما حدث بيننا وبين كارتر .

سمعنا كثيرا من الغرائب أولها إن كل ما ارتكب ضد مصلحة
الآثار كان في مصلحة العلم.

إن مصلحة الآثار المصرية أحق بالكلام عن مصلحة العلم .
وتكلموا لنا عن الخبرة . وقرأوا لكم فقرات من كتاب وضعه كارتر
ثم أتى يقول لكم يجب أن أضع يدي إذ توجد أعمال لا يستطيعها
سوى !

وأكد لكم أنه فيما يتعلق بباقي مجودات القبر لا يعطيكم صفة في العمل على صيانتها سوى مصلحة الآثار المصرية .
قيل أيضا أن الأشياء ثمينة دقيقة تجب صيانتها وإن المستر كارتر يقوم بحفظها لنا .

ما هو أساس مزاعمكم ؟

لسنا نريد عملكم أيها السادة !

حدث أن الحكومة حظرت الزيارة بلا تصريح بناء على طلب كارتر ذاته . فقبل لنا يوما أن وفدا من الانسات والسيدات (وهن لسن بعالمات طبعا) دعاهن كارتر لمشاهدة الآثار . ولما لم تستطع الحكومة إحتمال كل هذا صرخ كارتر وزعم أننا منعنا زملاءه ، العلماء ، وقريناتهم ، من الزيارة .

قالت له الحكومة اتركنا نتخذ كل الاجراءات إذا أردت أن تستمر في عملك .

عندئذ أملى عليه خياله المتوقد أن يغلق المقبرة ليمنعنا من الدخول . قلنا له نعطيك عددا من التصاريح تمنحها لمن تريد بشرط أن تقدم لنا كشوفات منظمة لنطلع على صفات الزائرين وكم منهم من العلماء .

وضع برنامج هذه الزيارات وزير الاشغال وكارتر نفسه

وصيغت نصوصه في عبارات دقيقة جدا دفعا لما عساه يحدث من الخلاف واستبقاء للوفاق .

ولكن كارتر أغلق القبر ونشر إعلانا أهان فيه الحكومة وقال : هذا

قبرى قد اغلقتة

ماكسويل : لم يقل هذا .

روسيى : أهينت الحكومة بأكثر مما يهان فرد عادى . ومع ذلك حافظت على بقية ، من حسن النية والسود ، فمنحته يومين للتفاهم واستئناف العمل وإلا ألغى الرخصة .

أجاب كارتر بطلب الاعتذار والتعهد بعدم مضايقته فى عمله . وإمام هذا الرفض القاطع ألغى الحكومة الرخصة وأمرت مدير الآثار أن ينفذ قرارها .

.. يطلب كارتر طلبا غربيا بإقامته حارسا على المقبرة . فإذا كانت الحراسة للصيانة فقد أتخذت كل الاجراءات الخاصة بذلك طبقا للقرار الوزارى ونفذ القرار بمعرفة مصلحة الآثار . تزعمون أنكم أهل لصيانة الأشياء أكثر منا . ولكن الاشياء فى يدنا أكثر أمانا وصيانة مما لو بقيت فى يديكم .

ماكسويل : هذا ما نريد أن نقوله بالذات وهو أن التحف ستهلك إذا بقيت فى يد الحكومة

روسيى : أن حفظ الآثار ونقلها عمل كيميائى . والكيميائى الذى كان يعنى بالآثار ويحفظها منذ فتحه حتى إغلاقه موظف مصرى ملحق بمصلحة الآثار المصرية وهو مستر لوكاس . . فمصلحة الآثار هى التى كانت تعنى بالآثار وليس المستر كارتر .

القاضى : هل يأخذ لوكو على عاتقه امام العالم مسئولية حفظ هذه الكنوز ؟ إن لوكو عالم بارع ولكن هل له أن يتحمل هذه المسئولية أمام

العالم بأسره ؟

روسيّتي - ان مصلحة الآثار على يقين من صيانة الاشياء من
الوجهتين المادية والعلمية .

روسيّتي : يجب أن يكون هناك خطر على الاشياء المراد حراستها
سواء من جهة فقدانها أو ضياعها .

ماكسويل - اجرؤ فأقول : هناك خطر على هلاكها وضياعها أيضا .
روسيّتي - بل هو خطر سرقتها ولا يصح طبقا للمادة (١١) من
لائحة ترتيب المحاكم المختلطة أن تتعرض المحاكم لالغاء قرار
وزارى . وطلب الحراسة مناف للقرار الوزارى القاضى بالغاء
الترخيص .

أسف لما يقال من أن كارتر إهان الحكومة لأنها أساءت معاملته . اننا لم
نسم كارتر لصا .

ماكسويل : كان كارتر يعمل لصيانة الاشياء . والحكومة تريد أن
تستعمل المقبرة معرضا .

ولوراجعتم أسماء مئات الزائرين الذين صرح لهم بالزيارة ما وجدتم
بينهم عالما واحدا .

فإذا كان هذا منزع الحكومة وذاك منزع كارتر فلا عجب أن يقع النزاع
بينهما . والحكومة عاجزة عن العمل بأحسن من أى شخص آخر من
الوجهة الفنية .

روسيّتي (محتدا) سمحت المحكمة لمحامى المدعى أن يتكلم
بلهجة معينة .

القاضي : لا

ماكسويل : أن محامى الحكومة لا يحافظ على أسلوب المجاملة .

القاضي : لكل محام ، من أية جنسية ، أن يترافع بالطريقة القضائية وفى حدود معينة .

روسيى : لقد منحت إمتيازات معينة لمحامى المدعين .

أنهى القاضي الجدل قائلاً :

- سيودع الحكم فى قلم الكتاب سأقرأ القضية لفهمها ثم أصدر حكمى بأسرع ما استطاع .

رأى الجنرال مكسويل بصفته من الاوصياء على تركة اللورد أن يتخذ خطوة تخفف من حدة الخصومة وتهىء للتسوية والصلح . فبعث إلى الوزير مرقص حنا يصف فيها تنازل الليدى كارنارفون عن الدعوى وعن كل حقوقها فى آثار المقبرة .
قال :

« عزيزى الوزير

من أجل إنهاء نزاع مرير وإعادة العلاقات السليمة التى لاغنى عنها للعمل العلمى فى مصر فى المستقبل وعلى وجه الخصوص . . من أجل تمكين مستر هوارد كارتر من إنجاز العمل القيم الذى بدأه ، فانى أتنازل هنا طواعية عن كل الدعاوى من جانب الكونتيسة المينا كارنارفون « والاصياء على أملاك اللورد الراحل كارنارفون والقائمين عليها بالنسبة . . للآثار فى مقبرة توت عنخ آمون .

وأوافق على سحب كل الاجراءات القانونية التى تتصل بتنفيذ هذه الدعوى .

وفي الوقت نفسه أوجه عناية الحكومة المصرية إلى القيمة الهائلة للاكتشاف بالنسبة لمصر وإلى نفقات عملية الانتشال المكلفة لهذه الآثار من المقبرة والتي تم إستخراجها ولا تزال مستمرة ، وكلها لصالح المتحف المصرى والحكومة المصرية وشعب مصر دون أن يتحملوا التكاليف .

وقد اعترفت الحكومة المصرية أكثر من مرة بأنه فى عملية إستخراج الأناز التى لا نظير لها أبدى مستر كارتر مكتشف هذه الآثار - أخلاصا لا حدود له وكفاءة لا مثيل لها يتضاءل أمامها أى ثناء ، كما أن هيئة العاملين معه قدموا خدمة لا تقدر بثمن .

وفي ظل هذه الظروف إجازف بالقول ، بأن هناك عددا كبيرا من الآثار التى توجد فى المقبرة لها أكثر من نسخة

وأوجه العناية إلى أن قيام الحكومة المصرية بتقديم بعض هذه النسخ للمتحف البريطانى ومتحف المتروبوليتان فى نيويورك باسم الكونتيسة كارنارفون سيكون تعبيرا ملائما عن اعتراف الحكومة المصرية بالخدمات التى سبقت الإشارة إليها » . .

لم يبعث الوزير بهذه الرسالة إلى المحكمة المختلطة ، وبالتالى لم تؤثر فى سير الدعوى .

فى اليوم التالى ١٣ من مارس ١٩٢٤ أصدر كرايبتس حكمه فى القضية وهو يقضى من حيث الشكل بإختصاص المحكمة المختلطة وقاضى الامور المستعجلة بنظر القضية .

وفي الموضوع فإن القاضي قرر أنه قبل إصدار الحكم في القضية فإنه يأمر أن يمثل امامه جميع الخصوم شخصيا .

وأن يمثل وزير الاشغال العمومية مندوب يعينه الوزير لهذا الغرض .

وأن يكون مثول الخصوم شخصيا في اليوم والساعة اللذين سيعينان بناء على طلب الفريق الذي يهمه الأمر أكثر من الآخر أو يعينهما قاض الأمور المستعجلة نفسه .

وبعد إتمام اجراءات التحقيق والبحث يصدر الحكم بلا مزافعة .

* * *

كان حكم القاضي كرايتس تمهيديا لم يتناول موضوع القضية ، أي موضوع فرض الحراسة ، وكل ما قضى به أن المحكمة المختلطة مختصة بنظر القضية .

وكان هدف القاضي تسوية الموضوع وديا إذا حضر أمامه جميع الاطراف بدلا من المحامين .

قالت الصحف في اليوم التالي ان ماكسويل خرج من مرافعته عن حدود اللياقة ، وأنه وكارتر بإتهامهما وزيرا بأنه لص ، فقد أتهما شعب مصر كله .

* * *

سارت مظاهرات الطلبة في الشوارع تهتف للاستقلال وتندد بكارتر .

وإتهم وزير الاشغال كارتر بالكذب .

وأعلن الوزير أنه سيرفض حكم المحكمة لو أعادت الامتياز إلى
الاثري البريطاني . ثم استأنف الوزير الحكم الابتدائي الذي يقضى
بإختصاص المحكمة المختلطة .

عرضت القضية على محكمة الاستئناف المختلطة بالاسكندرية يوم
١٩ من مارس برئاسة المستشار ارنست إيمان وعضوية فؤاد جريس ،
وصبحى غالى ، وكاتور ، وبرنتون .

قال روسيتى محامى الوزارة ان مقبرة توت عنخ آمون ملك للحكومة
المصرية وليس فى وسع أحد تعيين حارس قضائى على شيء لا حق له
فيه .

وأعترض على ماقضى به قاضى الامور المستعجلة من دعوة الخصوم
للمصلح قائلا ان القانون لا يجيز ذلك .

وتمسك ماكسويل محامى كارتر بالحكم المستعجل .
وأجلت القضية إلى ٢٩ من مارس .

وفى تلك الجلسة - السبت ٢٩ من مارس - قدم النائب العام لدى
المحاكم المختلطة ، فان دن بوش - البلجيكي - مذكرة إلى
المحكمة ، قال فيها :

« أصدر قاضى الأمور المستعجلة قبل الفصل فى الحكم أمرا
شخصيا .

وهذا القرار الصادر عن شعور سام وميل شديد للتوفيق جدير بكل
احترام ومشرف للقضاء خصوصا فى هذه القضية التى إهتم العالم بها إذ
يقصد به إحلال الوثام والمصلح محل الخصومة ليضمن النجاح فى عمل

علمى عظيم الفائدة فى جويظللله هدوء وطمأنينة وفى الوقت نفسه فيه
محافظة على حقوق حكومة مسئولة .

ولكن مهما كان هذا المسعى نبيلًا فلا بد لتبريره أن يكون القاضى
والهيئة القضائية التى يتمى إليها مختصة .

إن الحارس القضائى مدير مؤقت معين من جهة القضاء على أشياء
متنازع فيها فهل هناك أشياء متنازع عليها فى هذه القضية .

إن المستر كارتر ليس بالمتفع ولا هو شريك للمتفع وترخيص
التنقيب منح للورد كارنارفون والليدى أرملته .

أنه وكيل عنهما يعمل تحت رعايتهما وليس له أن يدعى لنفسه حقوقا
فى قبر توت عنخ آمون ومشمولاته تزيد على حقوق صاحب الرخصة .

ولسنا فى حاجة إلى الرجوع إلى نص ترخيص البحث بعد أن صرحت
الليدى كارنارفون فى ١١ من مارس فى رسالة غاية فى الرقة انه ليس لها أى
مطمع فى قبر فرعون ولا فى التحف التى وجدت فيه .

ومادام الامر ظاهرا بعد هذا التصريح فلا يوجد شىء متنازع فيه ولا ما
يبرر تعيين حارس قضائى على القبر لإدارته بالنيابة عن المالك
الحقيقى . والمالك هنا هو الحكومة المصرية .

ومهما تكن وجهة النظر هذه قاطعة بعد الرسالة التى كتبها الليدى
كارنارفون فإن هناك وجهة نظر لها أهميتها وهى إحترام القاضى لفصل
السلطات .

... فى ٢٠ من فبراير سنة ١٩٢٤ على اثر حوادث معلومة الغت الحكومة
المصرية الترخيص الذى منحتة لليدى كارنارفون وأصدرت أمرها بحيازة

مصلحة الآثار بصورة قطعية لقبر توت عنخ آمون وملحقاته .
وهذا عمل إدارى قامت به السلطة التنفيذية مستندة إلى حق إتخاذ
تدابير قانونية إلى أن تلغى بواسطة السلطة التى أصدرتها .
فأعطاء الحق للسلطة القضائية فى مناهضة تنفيذ أمر من جهة السلطة
التنفيذية يعتبر تعديا من سلطة على سلطة أخرى وهو مانهت عنه كافة
القوانين الحديثة .
ان تعيين حارس على قبر توت عنخ آمون وعلى الاشياء التى
إستخرجت منه لا يكون فقط تأويل أمر إدارى ووقف تنفيذه كما تقول
المادة ٧ من القانون المدنى بل يكون إلغاء لهذا الأمر فى ذاته .
والنتيجة شل للسلطة العامة فى تنفيذ قراراتها وتداخل فى شئونها ولا
نستطيع أن نتصور مثلا أشنع خزيا لاعتراض السلطة القضائية للسلطة
الادارية ومهاجمة أكثر جراً لمبدأ فصل السلطات .
ولذلك نرى أنه كان على قاضى الامور المستعجلة أن يتنحى عن
الاختصاص ونحن نطلب من المحكمة أن تأخذ بهذا الرأى الذى يجد
تأييدا فى قضائها وتقاليدها ويبقى الطريق مفتوحا للتفاهم والاتفاق .

* * *

حددت المحكمة يوم أول أبريل للنطق بالحكم
وفى ذلك اليوم طلب محامى كارتر تأجيل النطق بالحكم فقد وردت
من لندن برقية تكذب تنازل ورثة اللورد كارنارفون عن حقهم فى محتويات
مقبرة توت عنخ آمون وأراد ماكسويل أن يتمكن من الرد على أقوال النائب
العمومى .

دارت مناقشة في هذا الشأن بين القاضي والمحامي والنائب العام
خلت المحكمة لتداول فيما إذا كان ورود هذه البرقية يؤثر في النطق
بالحكم أم لا .

وفي النهاية أصدرت المحكمة حكمها بقبول الاستئناف المرفوع من
الحكومة شكلا وفي الموضوع بعدم اختصاص المحكمة في نظر
الدعوى .

إن المحكمة رأت أن القضاء المختلط لا ينظر طعنا في قرار إداري
فان مجلس الدولة لم يكن قد أنشئ بعد !

الوساطة

السير آلان هندرسون جاردنر متخصص مرموق في الآثار المصرية ، وهو سكرتير سابق للجمعية البريطانية للآثار المصرية وتولى رئاسة تحرير مجلة الآثار المصرية منذ عام ١٩١٦ .

اهتم بالآثار المصرية وهو طالب وكتب اول مقال عنها وعمره ١٥ سنة . تابع بعض محاضرات جاستون ماسبيرو في لندن ودرس العربية والهieroغليفية في اكسفورد وعاش عشر سنوات في ألمانيا اشترك خلالها في وضع قاموس الكتابة الهieroغليفية . حاضر في جامعة مانشستر وشيكاغو ومنح الدكتوراة الفخرية من عدة جامعات . والف ٢٦ كتابا عن مصر و ٢٢١ بحثا ودراسة من بينها كتابه عن تاريخ مصر الفرعونية وآخر عن قواعد اللغة المصرية القديمة . زار مصر لأول مرة عام ١٩٠١ وهو صديق لكارنارفون وكارتر استعاناه به ضمن مجموعة العلماء الذين اوفدهم متحف المتروبوليتان في نيويورك لفحص مقبرة الملوك توت .

ترجم من الهieroغليفية كل النقوش التي وجدت على المقبرة وكتب عدة مقالات عن الآثار المكتشفة نشرها باسم مستعار حتى لا يخل باتفاق كارنارفون مع جريدة « التايمس » .

يعرف جاردنر ان هناك تعاطفا بين حزب العمال البريطاني والوفد وظن جاردنر ان الصلة بين الحزبين ستحل كل مشاكل كارتر . واعتقد ان اية إشارة او إيماءة ، تلميحا او تصريحها ، من رامزي

ماكدونالد رئيس وزراء بريطانيا الى سعد زغلول رئيس وزراء مصر ستحل كل مشاكل كارتر

كتب جاردنر - وكان في الخامسة والاربعين - من فندق سميراميس بالقاهرة الى ماكدونالد - في اول فبراير ١٩٢٤ - يطلب تدخله في ازمة المقبرة بعد ٧٢ ساعة فقط من اسناد الوزارة الى سعد .
قال جاردنر :

» عزيزى رئيس الوزراء :

ترددت قبل الكتابة لأنى اشعر بانى سأسبب لك ازعاجا في الوقت الذى تسترعى فيه اهتمامك مشكلات كبرى .
ولكنى احس بانى ساكون مقصرا في واجبى تجاه علمى وتجاه زميل عزيز على نفسى اذا لم الفت انتباهك الى الظلم الفادح الذى ارتكب في حق هوارد كارتر .

تعرض هذا الشتاء لمضايقات عديدة . وصدرت قوانين تتسم بضيق الافق لم يسبق لها مثيل تمنع الزائرين من دخول المقبرة . ولا تسمح له بتشكيل فريق العاملين منه .

ومنذ استدعى الى القاهرة لمناقشة هذه الموضوعات مع وزير الاشغال العامة وبير لاکو المدير الفرنسى لمصلحة الآثار فإن عملية التسجيل العلمى لهذا الاكتشاف الوحيد ارجئت مما ملأنى وزملائى بسخط عظيم .

ووصلت ذروة هذا السخط الى كارتر عن طريق تهديد ضمنى اذا لم يقبله فان العمل في ذلك الكشف العلمى الهام سيتوقف

وسيرفض كارتر بالتأكيد تقديم مزيد من التنازلات بدافع من ضيقه وشعوره بالألم نتيجة الأخطاء التي ارتكبت في حقه في الوقت الذي يقوم فيه ببراعة باستكمال عمل سيتم الحصول من ورائه على اعظم النتائج العلمية فضلا عن ضم اعظم الكنوز الى متحف القاهرة .

وفي هذه الحالة سنواجه باحتمال الأخطاء الطائشة - لاسباب نافهة وغير منطقية - بهذه الفرصة العلمية التي قد لا تتاح مرة اخرى .

- ان من الصعب فهم الموقف العدائى لبيير لافو .

ارسلنا اليه احتجاجا شديد اللهجة موقعا منى ومن البروفسور بريستد استاذ التاريخ المشهور والمتخصص في مصر القديمة ومستر ليتجو مدير متحف متروبوليتان للفن في نيويورك والبروفسور نيوبرى المدير السابق لمتحف ليفربول .

ولأتمالك نفسى عن اتهام مصلحة الآثار التي يرأسها رجل فرنسى طبقا لمعاهدة ١٩٠٤ بانها تحاول مضايقة وإهانة مستر كارتر - وهو بطبعه سريع الغضب - ليرتكب خطأ فتسحب عملية الاكتشاف منه . وهذا الأمر يعد اسوأ انواع القرصنة .

وإذا أضيف لذلك ان هناك اجماعا على انه ليس لدى مصلحة الآثار خبراء اكفاء يحلون محل كارتر وفريقه فستكون النتيجة خسارة للعلم لا يمكن علاجها .

- ولدى اسباب قوية للاعتقاد بان اللورد اللنبى متعاطف تماما مع حقوق كارتر ولكن ليس مسموحا له - ربما على اسس من السياسة العامة - بالتدخل الى جانبه .

فاذا سمح للورد اللبني بالتدخل في هذا الموضوع فسيتم التوصل الى قرار عادل

انى انشد مساعدتك في هذا الاجراء .

٤ - وفي موضوع يتعلق بالعدالة لا احتاج الى تذكيركم بانه كان لى شرف لقائكم . عندما طلب منى مستر ريتشارد لايبيرت تناول الشاي معكم فى مجلس العموم ، وكنت مسرورا جدا عندما علمت انك شخصا مهمتم بالعلم الجذاب الذى امارسه .

انتظر جاردرن ثلاثة ايام ظننها كافية لتغيير مجرى الايام ، فلما لم يصله رد ابرق الى رئيس وزراء بريطانيا قائلا :
« أرجو التعجيل باتخاذ اجراء » .

توجه كلارك القائم باعمال اللبني الى فندق مينا هاوس حيث يقيم سعد زغلول لابلغه رسالة من رئيس وزراء بريطانيا .
قال ماكدونالد فى رسالته ان بريطانيا تتنازل عن حقوقها إزاء المصريين المتهمين فى قضية المؤامرة الكبرى ضد الانجليز . وتوافق على العفو عن المسجونين السياسيين . فأمر سعد زغلول بالافراج عنهم فوراً .

وزاد امل كارتر وجاردرن فى ان الافراج عن المسجونين المعاصرين سيجعل وزارة الاشغال المصرية مرنة فى حقوقها بالنسبة لاثار قدماء المصريين !

ويلزم مكدونالد الحذر في تصريحاته العلنية .
سأله عضو مجلس العموم الدكتور كابل ، قبل اغلاق المقبرة .
عما اذا كان سيعلم عن الامتيازات التي منحتها الحكومة البريطانية لكارتير
في الاكتشافات التي يقوم بها .

رد مكدونالد في مجلس العموم قائلا :
- لم تخول الحكومة البريطانية ، هوارد كارتير ، أى حق او امتياز في
الاعمال التي يقوم بها للتنقيب في مصر . وهو خاضع لتصوص القانون
المصري للآثار .

واثيرت المشكلة مرة ثانية في مجلس العموم بعد اغلاق المقبرة وقبل
الغاء الترخيص

وجه العضو اورسبى جور سؤالا الى رئيس الوزراء :
- هل يفاوض رئيس الوزراء الحكومة الامريكية بناء على الحوادث التي
وقعت اخيرا . في مصر ، ليقدموا معا احتجاجا مشتركا على معاملة وزارة
الاشغال للآثريين الانجليز والامريكيين .

اجاب مكدونالد :
- أشكر النائب المحترم على اقتراحه . ولكن ليس في الأمر ما يوجب مثل
ذلك على الحكومة في الوقت الحاضر .
ومعنى هذا الرد الدبلوماسي ان مكدونالد يرجىء اتخاذ قرار
بالتدخل .

ولكن وزارة الخارجية البريطانية تنصح رئيس الوزراء ، ووزير
الخارجية بعدم التدخل . . . نهائيا .

درست الوزارة شكوى جاردنر ، وقدمت مذكرة الى رامزى
ماكدونالد قالت فيها :

« المشكلة التى ثارت بين مستر هوارد كارتر وبين مصلحة الآثار
المصرية ، مشكلة تثير الغضب . لكن علينا ان نلزم جانب الحرص
قبل ان نتورط فى النزاع .

لم تكن لحكومة صاحب الجلالة علاقة من قبل بموضوع حفائر
مقبرة توت عنخ آمون الذى كان محصورا بين القائم بالحفائر والحكومة
المصرية متمثلة فى مصلحة الآثار المصرية التابعة لوزارة الاشغال
العامة .

ويخضع القائم بالحفائر لاحكام قانون الآثار المصرى الصادر عام
١٩١٢ .

(أ) لكنه فى حالات خاصة يستطيع القيام بترتيبات خاصة مع مصلحة
الآثار فى حالة قيام ظروف خاصة .

ويعتقد ان لورد كارنارفون فعل ذلك .

ومن وجهة النظر التكنيكية يبدو انه اذا كان لمستر كارتر اية شكوى
يمكنه اللجوء الى القضاء المختلط وهو قضاء يتمتع بنفوذ كبير ولا مجال
لشكوى من عدم توفيره العدالة للشاكى .

ونتائج الحفائر الحالية لمستر هوارد كارتر على اى حال نتائج فريدة
من نوعها وتكاد تكتسب اهمية عالمية ولا يمكن انكار ان ذلك اكسبها
درجة من الدلالة السياسية .

وقد حاول الوطنيون المصريون في العام الماضي استغلال هذا الموضوع كدليل على التدخل الاجنبى فى الشئون الداخلية لمصر ، كما علم من مصدر خاص ان غيرة المدير الفرنسى لمصلحة الآثار (مسيو لاکو) كانت العقبة الرئيسية امام عمل الرجل الانجليزى (مستر كارتير) .

وتؤكد المعاهدة المصرية - الفرنسية لعام ١٩٠٤ موقف السيطرة لفرنسا فى مصلحة الآثار فى مصر .

وستحقق الشهرة الواسعة والاهمية العلمية العالمية لعمل مستر كارتير اهمية كبيرة فى هذا النزاع السخيف .

ومع ذلك نشعر شعورا قويا بان على حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا ان تبذل كل ما فى وسعها حتى لا تتورط فيه ومن المستحيل التدخل قبل احاطة حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا بمختلف جوانب الموضوع وعواقبه

واذا لعب مستر كارتير اوراقه بمهارة فيمكن ان يترك للرأى العام فى العالم مهمة اعادة الحكومة المصرية الى صوابها .

وربما يمكن ارسال تلمييح قضائى الى الوزير المصرى بشأن الموضوع وفى الوقت نفسه الرد على مستر جاردنر بابداء الاسف لأن يضطر مستر كارتير لأن يواجه هذه الصعوبات التى ذكرها ، مع تأكيد اننا نقدر اهمية عمله تقديرا كبيرا .

ولكن من الصعب ان تعلن حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا أى رأى بخصوص قضية مستر كارتير فليس لهذه الحكومة موقف رسمى فى

المسألة فهي بين احد الافراد والحكومة المصرية تتم تسويتها باللجوء الى المحاكم المختلطة .

وليس لدى حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا المام بتفاصيل اية ترتيبات قد يكون مستر كارتر توصل اليها مع الحكومة المصرية مع اضافة ان دار المندوب السامي يمكنها ان تقدم لمستر كارتر التأييد الممكن » .

وافق رامزي مكدونالد على مذكرة وزارة الخارجية وبعث سكرتيه الخاص سلبى بالرسالة التالية الى آلان جاردنر يوم ٢٣ من فبراير ١٩٢٤ . بعد اغلاق المقبرة والغاء ترخيص التنقيب . قال :

» سيدى

علم وزير الخارجية رامزي مكدونالد بمزيد الاسف ان مستر كارتر يواجه صعوبات فى حفائره فى مقابر الملوك كما اشرتم فى خطابكم . ورغم انه يقدر تماما اهمية عمل مستر كارتر فليس من الممكن ان تعلن حكومة صاحب الجلالة رأيا فى موضوع ليس لها فيه موقف رسمى ويعتبر مسألة بين الافراد والحكومة المصرية » .

ولا يكتفى رئيس وزراء بريطانيا بالرد الرسمى الكتابى . .

انه يجتمع بمدير المتحف البريطانى فى لندن ويطلب منه ابلاغ كارتر بالامثال لرأى الحكومة المصرية والتفاوض معها .

ان رئيس وزراء بريطانيا فى ذلك الوقت يسعى للتفاوض مع سعد زغلول . ولم يكن يرغب بأى حال من الأحوال فى اثارته .

وتكون نتيجة الاحاديث بين رئيس الوزراء البريطانى ورئيس المتحف البريطانى سلسلة من البرقيات بعث بها مدير المتحف البريطانى الى كارتر عن طريق وزارة الخارجية البريطانية .
قالت البرقية الأولى :

« الى البروفيسور نيوبرى : بعثة كارنارفون بالاقصر .
اطلب من مستر كارتر بناء على تعليمات من المستويات العليا وقف الاجراءات القانونية . وان يقوم بترتيبات ودية مع الحكومة المصرية » .

وقالت البرقية الثانية :

« الى مستر كارتر بالاقصر :
عندى سبب قوى يدعونى لاتوجه اليك بالنصح بان توقف الاجراءات القانونية ، وان تتوصل الى تسوية ودية مع الحكومة » .

لم يكن سعد زغلول او وزارة الوفد يعرفون بالرسائل والبرقيات المتبادلة بين جاردنر ورامزى ماكدونالد . او بين رئيس وزراء بريطانيا ورئيس المتحف البريطانى فى لندن . . وبين هؤلاء جميعا وبين كارتر .
ولكن الحكومة المصرية كانت متمسكة بحقوق مصر لايغنيها موقف بريطانيا .

ولم يكن كارتر يعرف حقيقة موقف الحكومة البريطانية ، وانها لن تتدخل .

وكان اللورد اللنبى يجهل ذلك ايضا .

وظل اللورد خلال الشهور الثلاثة الأخيرة يشير - تلميحا - الى انه يؤيد كارتر وينصحه بمقاومة حكومة مصر . ولكن بعد ان عرف اللبى ان رامزى ماكdonald رئيس الوزراء يقف موقف المتفرج ابتعد المندوب السامى البريطانى عن كارتر ورفض لقاءه !
توجه كارتر للقاء نائب القنصل البريطانى فى القاهرة يحتج على سوء معاملة الحكومة المصرية ويطلب الحصول على نصف ما فى المقبرة .
قال نائب القنصل بعد نقاش طويل :

- لا تتوقع منا اية مساعدة .

- احتد كارتر وفقد اعصابه فالتقى مساعد القنصل بمحبرة فى وجهه .

نشرت صحيفة « الأهرام » ان كارتر باعتباره بريطانيا قدم الى اللورد اللبى المندوب السامى - احتجاجا على الحكومة المصرية لتعمدها تقييده بقيود ثقيلة واهانته .

وقالت « الأهرام » انها علمت من واثق المصادر ان دار المندوب السامى البريطانى لا ترى لنفسها حق التدخل فى مسألة الخلاف بين كارتر والحكومة المصرية لأنها تعدها مسألة داخلية بحتة لا ينافى الحكومة المصرية منازع فى حلها والبت فيها .

ويبدو أن ما نشرته الأهرام كان موعزا به ومتعمدا .

إذا كانت الحكومة المصرية هى التى أوجت بنشره فإن الهدف منه ان يكون رسالة غير مباشرة الى اللورد اللبى بأن الخلاف موضوع داخلى لا شأن للإنجليز به .

واذا كانت دار المندوب السامى هي التي طلبت النشر فإن الرسالة قد
ابلغت بهذه الطريقة الى سعد

* * *

تدخل البروفسور بريستد للوساطة بين وزير الاشغال وكارتر .
ابدى الوزير استعداداه لمنح ترخيص جديد لأرملة اللورد . بشرط
اساسى وهو الاعتذار عن كلمة « لص » وتنازل عن حقها في نصف
الآثار .

وعرض الوزير شروطا جديدة وهي ان يكون لوزير الاشغال الرقابة
والاشراف على جميع الاعمال في وادى الملوك وان يكون نشر انباء
الاكتشافات من حقوق الحكومة المصرية توزعها على الصحف
بالتساوى .

وقال الوزير انه بعد ذلك سيسمح لكارتر باستئناف العمل في
المقبرة .

قال ماكسويل لكارتر :

- ستحصل على شروط افضل اذا تمت التسوية الودية بعيدا عن ساحة
المحاكم وستكون امتيازاتك اكثر مما يمكنك الوصول اليه بالطريق
القانونى .

وأضاف ماكسويل :

- ان تنازلك عن حقتك في نصف الآثار سيجعل صورتك افضل امام الرأى
العام المصرى والعالمى لأنه سيثبت اهتمامك بالعلم لا بالحصول على
حصنة من آثار مصر . وسيجعل المحكمة المختلطة تتعاطف معك .

وستضطر الحكومة لأن تكون كريمة معك في نهاية الامر .

ولكن كارتر رفض .

ويبرق القائم بأعمال اللنبي الى لندن .

« اذا استمر كارتر على رفضه فان المفاوضات لن تنجح » .

ويطلب القائم بأعمال اللنبي من النماجور جون استور صاحب جريدة

« التايمس » افئح ارملة اللورد كارنارفون بارسال البرقية التالية الى سعد

زغلول :

« بعد معرفة دقيقة بطبيعة الموقف فانى اقبل الامتياز الذى تعرضونه

دولتكم على عودة كارتر الى موقع العمل .

وأتمنى ان يتم سحب قضية كارتر من المحاكم » .

ولكن كارتر يرفض مرة اخرى

أرسل القائم بأعمال اللنبي إلى سلبى سكرتير رئيس وزراء

بريطانيا قائلا:

« أبلغنى البروفسور بريستد وزملاؤه ان كارتر أصيب بانهايار

ووصلت خطورة الأمر إلى أنه لا يمكن اعتباره مسئولاً عقلياً عن

تصرفاته. ولا يستطيع اتخاذ القرار الذى يتطلبه الموقف».

ويوافق كارتر على استمرار الوساطة .

* * *

كان هناك عامل ضغط على الوزارة المصرية وكارتر ايضاً .

ان كارتر رفع غطاء التابوت - الذى يزن نحو طنين - وتركه معلقاً

بالجبال فى الهواء ويمكن ان يسقط فى اى وقت ليحطم التابوت والمومياء

ويدمر أهم مافى المقبرة .

ومن ناحية اخرى فان الحكومة كانت قد دعت اللورد اللنبى وقريته
وعدها من افراد الاسر المالكة فى اوروبا الذين وفدوا على مصر وبينهم
الامير فردريك ليوبولد ولى عهد بروسيا - المانيا - لزيارة المقبرة وكذلك
بعض المسئولين .

وجاء اغلاق المقبرة لجعل وزارة مصر فى موقف حرج .
طلب مرقص حنا وزير الاشغال الى رجال متحف المتروبوليتان فى
مصر استئناف العمل فى المقبرة فاعتذروا متضامين مع كارتير .
ولم يكن رجال مصلحة الآثار مؤهلين لهذا العمل .
وكان مستحيلا على حكومة مصر التراجع والسماح لكارتير باستئناف
العمل ، ومن هنا نشأت فكرة منح ارملة اللورد ترخيصا جديدا .
أما الحل الثانى فهو تأجيل دعوة اللورد اللنبى وغيره .
ولم يكن امام الحكومة المصرية إلا اقتحام المقبرة مع رجال الشرطة
الذين حطموا الاسلاسل والباب الصلب الذى اقامه كارتير وانزلوا غطاء
التابوت بهدوء ووضعوه بجوار الجدار .. على ضوء الشمع وسط
تنهدات ارتياح رن صداها فى العالم الذى كان يتابع فى قلق كل مايجرى
داخل المقبرة الفرعونية !!

واستقل اللورد اللنبى قطاره الخاص من القاهرة الى الاقصر ترافقه
قريته .

واستقل باقى المدعوون قطارا آخر ، استقبله الناس على طول
الطريق بالهتاف لمصر واستقلالها .

وامضى اللورد الليلة فى القطار بينما نام فى القطار وفندق وينتر بالاس
باقى المدعوين .

وزار الجميع المقبرة يوم ٦ مارس فقاطع الزيارة كل الأثريين الاجانب
عدا فوكار رئيس البعثة الفرنسية . وعاد اللورد فورا الى القاهرة ولم يشهد
الحفل الذى اقيم بهذه المناسبة فى الفندق وتدفق نحو ٢٠٠٠ من
المصريين والاجانب على المقبرة خلال الايام العشرة التالية ثم أغلقت
بعد ذلك .

وجاء دور وساطة الصحافة .

تدخل جيرالد ديلينى مراسل وكالة رويتر الانجليزية للانباء للوساطة
بين الحكومة وكارتر .

وديلينى صديق لسعد زغلول توسط كثيرا بينه وبين الانجليز . وهو
صديق ايضا للوفد ومقرص حنا .

التقى ديلينى بمقرص حنا عدة مرات وحاول اقناعه بحل الأزمة
بطريقة تحفظ للحكومة المصرية كرامتها .
ولكن ديلينى فشل ايضا .

استؤنفت جهود الوساطة بعد الحكم الابتدائى الذى اصدره القاضى
كرابيتس .

قصد بريستد الى منزل مقرص حنا وزير الاشغال ومعه ماكسويل
المحامى الذى رافقه حتى الباب ثم انصرف .

قدم بريستد للوزير خطابا من كارتر يعتذر فيه عن كلمة « لص » التى
نطق بها ماكسويل ، ولكن الوزير انفجر ثائرا ضد ماكسويل قائلا :

- لقد اتهمنى ماكسويل مرة بالخيانة وطلب اعدامى ، والآن يتهمنى
باللصوصية، ولمح الوزير شبح ابتسامة على وجه بريستد فسأله عن
السبب .

قال بريستد :

- انظر خلفك ياسيدى الوزير .

تطلع الوزير فوجد صورة له ولزملائه بملابس السجن . . داخل
السجن . وأضاف بريستد :

- معذرة سيدى الوزير . . أليس هؤلاء الذين امامى فى الصورة يشبهون
للصوص ! . . انفجر الوزير ضاحكا وقال انه مستعد لمنح أرملة اللورد
ترخيصا جديدا وحدد موعدا - بعد يومين - لاجتماع آخر .

* * *

... جاء جيمس هنرى بريستد عالم الآثار الامريكى للقاء الوزير
ومعه مورتون هاول وزير الولايات المتحدة المفوض .
قال لهما وزير الاشغال :

* لا بد ان يعتذر ماكسويل عن كلمة لص .

* لا بد ان يتنازل كارتر - كتابة - عن أى حق له فى اقتسام الآثار .

* لا بد ان يتوقف كارتر نهائيا عن انتقاد الحكومة المصرية .

* لن يسمح لكارتر بدخول المقبرة إلا بعد الالتزام بهذه الشروط .

عاد العالم والدبلوماسى للقاء الوزير قائلين انهما يقبلان هذه الشروط

باسم كارتر . وعندما ابلغا الوزير بموافقة كارتر اجابهما قائلا :

- لقد استأنفت الحكم الابتدائى . . لنتنظر حكم الاستئناف .

علق ادوار روبنصون مدير متحف المتروبوليتان على ذلك . قال
لكارتر :

- لقد لعب بك المصريون . وسقطت بين ايديهم .
- وأدلى كارتر بحديث الى الصحافة البريطانية قال فيه :
- ضحك المصريون على مورتون هاول وزير امريكا المفوض وخدعوه أكثر
من مرة .

* * *

كتبت نيويورك تايمس برقية بعث بها مراسلها في القاهرة برادستريت
قال فيها : الدكتور مورتون هاول وزير الولايات المتحدة في مصر نالته
اساءة بالغة من الحكومة المصرية . واذا لم تغض حكومة الولايات
المتحدة النظر متحملة الذل والعار عن المسألة وتدعها دون ان يلاحظها
احد فان عليها ان تقوم بعمل شديد ضد الحكومة المصرية »
قرأ ايفانز هيوز وزير خارجية الولايات المتحدة هذه البرقية فلم
يتدخل لصالح كارتر او بريستد او هاول بل بعث برسالة لائمة الى مورتون
هاول الوزير الامريكى المفوض في القاهرة .
وكان مورتون هاول جراحا في الستين من عمره . عين في منصبه قبل
عامين .

اضطر هاول للدلاء بالبيان التالى الى الصحفيين :
قال :

« علمت ان تلغرافا ارسل الى امريكا يقول انى باعترارى وزيرا
مفوضا للحكومة الامريكية تحملت اساءة من الحكومة المصرية .

ثم علمت ايضا ان هذا التلغراف يلوح الى انه اذا لم تغض حكومة الولايات المتحدة النظر عن « الاساءة » المزعومة وتدعها تمر دون ان يلاحظها احد فان الوسيلة الوحيدة التى امامها هى اتخاذ عمل سياسى قوى ضد الحكومة المصرية .

وعلى ذلك أريد ان اقول ان حكومة الولايات المتحدة ليست « مشتبكة » بأى حال من الأحوال مع الحكومة المصرية فى نزاع يتعلق بمقبرة توت عنخ آمون او بأية مسألة اخرى .

وقد استخدمت مساعى الطيبة بصفة غير رسمية لمساعدة الاستاذ بريستند وغيره للوصول الى تسوية ودية وفض النزاع .

ولو كان الذين عليهم ان يهتموا بتسوية هذه القضية اكثر حزما وأعظم مسالمة فى خطتهم ازاء الحكومة المصرية لكانت المهمة التى القيت على عاتقى وعاتق الذين يشتغلون معى اسهل كثيرا مما هى الآن .

وأريد فى هذه الأونة ان اعرب عن تقديرى للمجاملة التى لقيتها من الحكومة المصرية .

ولا صحة للتهم الخطيرة التى عزاها الكاتب الى الحكومة المصرية !

وقرر هاول الوزير الأمريكى المفوض نفى يده من المشكلة فتوجه اليه - فى بيته - القاضى كرايبتس الذى أصدر الحكم الابتدائى . وطلب منه ان يتحرك ولا يستسلم للاهانة ولا يخضع لوزير الاشغال المصرى . وقدم العالم بريستند شكوى الى شارلز ايفانز هيوز وزير خارجية امريكا .

حاول كرايبتس اقناع هاول بالتدخل مرة اخرى فرفض وقال انه مريض فكتب اليه كرايبتس خطاب توبيخ شديد . . وطالبه بان يتحرك حتى لا يظن المصريون ان استقلالهم يعنى السخرية بالاجانب . وأضطر هاول الى ان يبعث الى واشنطن قائلًا في برقيته رقم ٤٥٩

بتاريخ ٢٣ فبراير ١٩٢٤ :

« هذه الحالة تبين التغييرات السياسية في مصر .

وقع هوارد كارتر في خصومه مع السلطات المصرية بشأن اجراءات معينة فيما يتعلق بالمقبرة .

وكان عمل كارتر متعجلا للغاية ، لا في مصلحته ، او في صالح الاجراءات العلمية .

وانى واثق انه في ظل حكومة يحيى ابراهيم كان مستر كارتر سيفوز بقضيته فليس هناك شك في ان رئيس الوزراء - يحيى ابراهيم - كان يميل دائما للاصغاء للمقترحات البريطانية .

ومن ناحية اخرى أوضح سعد زغلول انه مستعد للتنازل عن كل شىء لبريطانيا لصالح السلام . ومع ذلك ففي الموضوعات الاساسية المصرية ، سيقف مدافعا عن الحقوق المصرية . كما فعل في الماضي . !!

. فى المنفى .

انهارت أعصاب كارتر .

نصحه زملاؤه من علماء الأثار الانجليز والامريكيين بقبول دعوة لالقاء محاضرات فى الولايات المتحدة ليتعد عن الأحداث فغادر مصر إلى لندن يوم ٢١ من مارس ، ومنها استقل الباخرة « بيرنجيريا » إلى نيويورك .

وأضى وقته فى عزلة داخل قمرة . وابتعد عن الركاب كلما صعد إلى سطح الباخرة .

وعندما رست به الباخرة إلى الشاطئ الأمريكى فى ٢٠ من أبريل كان قد اتخذ قراره .

رأى أن يسافر إلى الحبشة ، ينقب فى أعماق الأرض فى القارة السوداء بحثا عن حلقات مفقودة فى التاريخ .

وكان هدفه الانتقام من مصر بأن يجد جذورا للحضارة هناك ليثبت أنها الحضارة الأم التى انتقلت إلى وادى النيل وأرض دجلة والفرات !

* * *

قابل كارتر فى البيت الأبيض الرئيس الأمريكى كالفن كوليدج مرتين ، وألقى عدة محاضرات فى الولايات المتحدة وكندا عن المقبرة وما فيها .

أكد كارتر لكل من يسأله عن المقبرة أنه لا يشك إطلاقاً في عودته إليها . . ولكنه لا يستطيع أن يحدد الموعد بالضبط .
ولكن موقف كارتر كان يختلف تماماً عن تصريحاته العلنية .
كان يرافقه امريكى اسمه لى كيدىك تولى تنظيم هذه الجولة والاشراف على ترتيب المحاضرات .

وصف كيدىك حالة كارتر النفسية فى هذه البرقية :
« انه لا يجد متعته الحقيقية إلا فى الجدل والنقاش حول أكثر الاشياء تفاهة حتى مع الاطفال الصغار ، وسائقى سيارات الاجرة ، وبوابى الفنادق ، وعمال عربات الطعام وموظفى التذاكر بمحطات السكك الحديدية وبائعات الزهور
إن هؤلاء لا ينجون من تعليقاته المثيرة للاعصاب .

انتقد سائقى سيارات الاجرة لاستخدام « الفرامل » فجأة .
وانتقد الحمالين بالفنادق وموظفى الاستقبال لنقص تدريبهم .
لم يسلم مهندسو القطارات لسانه السليط .
وعندما يبدأ رحلة طويلة ويتوقف القطر لسبب بسيط فانه يذهب إلى السائق ويسأله قائلاً :

- من علمك القيادة ؟ هذه أسوأ رحلة بالقطار فى حياتى !
ويؤدى هذا التصرف إلى إثارة سخط السائق ويزيد متاعبنا خلال اليوم .

ولاحظ خلال احدى الرحلات من مونتريال إلى اوتاوه فى كندا أنهم طلبوا من الزبائن ان يكتبوا ملاحظتهم عن الخدمة والاصناف على قائمة الطعام .

وكانت فرصة لكارتر .

انطلق يكتب انتقادات طفولية مثيرة للسخط حول نقص الخبرة لدى العاملين في عربات الطعام وأنهم غير مؤهلين بالفطرة أو بالتدريب لمثل هذا العمل .

وكان سروره عظيما وهو يطوى البطاقة ويضعها في ظرف ويرسلها إلى المقر الرئيسي للشركة صاحبة العربات .

* * *

وفي وحدته في ستاتلر في « بافالو » كتب في مذكراته :
« جميع الانباء التي تلقيتها مؤسفة للغاية .

ولا أستطيع الموافقة على اجراء من شأنه إلحاق الضرر بالآخرين .
وسأكتفى بالتنازل عن حقوقى ، مهما كانت ، فى كنوز توت عنخ آمون .

وسأمتنع عن القيام بأية حفائر عن الاثار فى المستقبل . أقول ذلك بقلب كبير .

انهم بعد سنوات طويلة من العمل يدعون لى أخطاء دون أن يذكروا حسنة واحدة يمكن بها معادلة الكفة »

* * *

لم تنس مصر آثار توت عنخ آمون .

وجه عبد العزيز الصوفانى نائب الحزب الوطنى عن دائرة البحيرة استجوابا لمقرص حنا وزير الاشغال .
قال الاستجواب :

* هل يمكن معرفة الاعمال التى تمت بمقبرة توت عنخ آمون منذ تولتها
وزارة الاشغال لحين اغلاقها .

* يشاع أنه كانت هناك مفاوضات لتجديد الرخصة الملغاة التى كانت
معطاة لليدى كارنارفون ، وألغيت ، وأن المساعى أوقفت مؤقتا فهل
للوزير أن يفضى برأى للحكومة فى هذه المسألة .

* هل قدمت طلبات حديثة باستمرار التنقيب فى قبر توت عنخ آمون . .
وهل تنوى الحكومة اعطاء امتياز للبحث فى المقبرة إلى آخرين عدا الليدى
كارنارفون إذا طلب منها ذلك .

رد وزير الاشغال :

- حافظت الوزارة على المقبرة واتخذت بشأن ذلك جميع الاعمال الفنية
والادارية وترى الحكومة من الحكمة ألا تبدى تصريحاً فى مسألة الوساطة
الحاصلة الآن فى صدد القضية .

ولم تقدم للوزارة طلبات أخرى للبحث والتنقيب فى المقبرة .

ويعود الصوفانى يسأل وزير الاشغال :

- هل تنوى الحكومة أن تعرض على مجلس النواب أى اتفاق بشأن الحفر
والتنقيب فى مقبرة توت عنخ آمون وتعرف رأى المجلس فيه .

رد مرقص حنا قائلاً :

- الجواب بالنفى لأن القوانين الحالية تجعل اصدار الرخص من حقوق
السلطة التنفيذية وحدها . وهى - فى هذا الموضوع - وزارة الاشغال
وحدها . . دون سواها .

* * *

أدرك رامزى ماكدونالد رئيس وزراء بريطانيا ووزير خارجيتها أن ما
يجرى فى مصر ضد كارتر يمكن أن يتكرر فى دول أخرى كثيرة فيسرق إلى
ممثلى بريطانيا فى كل مكان قائلا : « لفت انتباهى زيادة عدد محاولات
الدول لاحتكار حق التنقيب عن الأثار والحق الضرر بمصالح هيئات
الأثار البريطانية وابعادها فى هذا المجال .

ولذلك أطلب ابلاغى على الفور إذا علمت بأية محاولة تقوم بها هيئة
أثرية أو فرد للحصول على مثل هذا الامتياز والاحتكار فى الدولة التى تقيم
فيها أو فى أية دولة أخرى !

* * *

أبحر سعد زغلول من ميناء الاسكندرية يوم ٢٥ من يوليه ١٩٢٤ فى
طريقه إلى لندن للتفاوض مع ماكدونالد على جلاء القوات البريطانية فى
مصر .

وتوقف سعد فى باريس ثم توجه إلى لندن .
ويعود الان جاردنر إلى محاولة ممارسة الضغوط
كتب جاردنر إلى رامزى ماكدونالد يوم ١٢ من سبتمبر يطلب منه اثاره
مشكلة كارتر ومقبرة توت عنخ آمون فى المحادثات مع سعد زغلول .
قالت رسالة جاردنر التى كتبها فى لندن
« سيدى العزيز

بالنظر إلى المحادثات القادمة مع سعد زغلول باشا فهل لى أن اتساءل
عما إذا كنتم تميلون لاتخاذ خطوات لضمان ادارة مناسبة للآثار
المصرية .

هذه الآثار يمكن اعتبارها تراثا للعالم المتحضر بأسره ، وينبغي توقع المطالبة بإدارتها من جانب مصر بشكل عام .
وكان الاثريون يرقبون بقلق متزايد الادارة المعيبة للغاية من جانب هيئة الآثار . التي كانت تمضي من سىء إلى اسوأ خلال السنوات القليلة الماضية .

وقد اكتظمت متحف القاهرة بما فيه
وثلاث ما فيه من اثار هي وحدها المسجلة رسميا
ودائما كان عدد العاملين به غير كاف .
والخبراء الاوربيون القلائل العاملون به تلقوا اخطارا بانتهاء عملهم
عام ١٩٢٧ .

وفي مواجهة كل ذلك تمضى حملة نشيطة بتأييد من المدير الفرنسى
لهيئة الآثار لفرض قيود مشددة على تصدير الآثار .
ان مبدأ المتاحف الذى افاد التعليم فى انحاء العالم فائدة قصوى
يتطلب أن يكون ممكنا تكوين مجموعات ممثلة جيدة فى كل انحاء
العالم ، حيث يوجد طلاب وجمهور قادر على تقدير قيمة هذه الآثار .
وانا نكاد أن نصاب باليأس ونحن نرى أنفسنا نواجه الدمار الكامل
لاهتماماتنا الاثرية

ونشعر بان لنا شكوى حقيقية

فى عام ١٩٠٤ عندما أبرمت بين فرنسا وانجلترا اتفاقية تجارية تتعلق
بمصر والمغرب نصت مادتها الاولى على أن يكون مدير هيئة الآثار منذ
ذلك الحين .. فرنسيا .

وقد تأكدت من مصدر جيد أنه ما كان ممكنا ابرام تلك الاتفاقية دون هذه المادة .

وهكذا تمت التضحية بالمصالح الاثرية من أجل سبب سياسى على نحو متعمد . وكان هذا الترتيب مصدرا لكل متاعبنا .
ولو كانت الادارة الفرنسية تتسم بالكفاءة لما كان بمقدورنا أن نشكو ، فمدير فرنسى سيكون جيدا كأى مدير غيره . ولكن هيئة الاثار اتسمت بأقصى درجات عدم الكفاءة .

ومع مجيئ المدير الجديد لآكو ، تدهور الوضع إلى الاسوأ الف مرة . وفى الوقت الذى غادر فيه معظم الموظفين البريطانيين مصر ، أو يستعدون لمغادرتها ، يبقى لآكو ، ويسعى لتقوية وضعه عن طريق الرضوخ للمطالب ، غير الحكيمة ، وغير العلمية ، للمصريين انفسهم .

ان المعاملة التى عومل بها كارتر الذى يعترف اعداؤه بأن عمله لم يوف قدره من الشاء كانت ضربة إلى العلم كنا نأمل ألا نعيش لنرى مثله » .

علقت وزارة الخارجية على طلب جاردنر بان جدول الاعمال فى المباحثات يتضمن مسائل شائكة بما فيه الكفاية . ولا يوجد ما يدعو لاضافة هذا الموضوع .

ولكن جاردنر لا ييأس ابدا .

يكتب إلى وكيل وزارة الخارجية البريطانية يوم ٢٠ من سبتمبر

قائلا :

« ارجوان تنقل إلى مستر رامزى ماكdonالد شكرى العميق لموافقته على الحديث مع زغلول باشا - إذا وافته الفرصة - حول الوضع المؤسف للآثار المصرية .

وقد وردت اخبار حول صعوبات وشيكة تؤدي إلى خسارة كبيرة في الوقت والمال »

وفي محاضر محادثات ماكdonالد وسعد زغللول لا نجد إشارة لموضوع الآثار فان رئيس وزراء بريطانيا تجنب الحديث في هذا الشأن !

استمرت المفاوضات بين رجال متحف متروبوليتان وبين مرقص حنا باشا وزير الاشغال حول السماح لكارتر باستئناف العمل .

وبصر مرقص باشا على ضرورة اعتذار كارتر عن كلمة لص .

قال رجال المتحف أن كارتر لم يوجه هذا الاتهام لحكومة مصر أو للوزير أولشعب مصر . . بل تلك كلمة نطق بها ماكسويل المحامى في مرافعته أمام المحكمة .

كما يطلب الوزير تعهدا من كارتر بأن يكون حسن السير والسلوك في المستقبل .

ويجد رجال المتحف أن هذا الاعتراف يعنى - ضمنيا - أن كارتر لم يكن حسن السير أو السلوك .

ويقنع رجال المتروبوليتان بأنهم لن يحصلوا على قطعة واحدة مكررة من آثار المقبرة ، وأن عقود التنقيب ستغير إلى الابد في مصر ، وأن أقصى آمالهم الحصول لا على نصف الآثار التى ستكتشف في المستقبل بل

على قطعة واحدة من كل خمس قطع تكتشف . . بعد أن تختار
المصلحة من الآثار . . ما تريد !

ويعلن كاتب مصرى فى نيويورك - بشاره نحاس - أنه التقى بكارتر
الذى قال له انه أصبح لا يأمل إلا فى ٢ ٪ فقط من القطع الأثرية .
ورغم ذلك يظل كارتر عنيدا . . .

ألف كتيباً صغيراً عنوانه « مقبرة تسوت عنخ آمون . بيان
بالمستندات عن الاحداث التى وقعت فى مصر فى شتاء عام ٢٣ - ٢٤
وأدت إلى الخلاف مع الحكومة المصرية » .

ولكن كبار المسئولين فى المتروبوليتان يقنعون كارتر بالعدول عن
توزيعه لأنه سيؤدى إلى خلاف معهم . فهو يذيع كل اتصالاته بالمتحف
ومناوراته ومؤامراته معهم . . كما أن هذا البيان سيجعل القطيعة نهائية
وكاملة مع حكومة مصر .

وافق كارتر وأوقف طبع الكتيب .

ويقول مسئول المتحف لكارتر :

- لا فائدة إذا اردت العودة لمصر فليس أمامك إلا التنازل عن نصف
الآثار .



عاد كارتر إلى انجلترا مهزوما مكتئباً يملؤه الشعور بالمرارة .
ويتلقى رسالة من رئيس عماله فى الأقصر أحمد جرجار كتبت بلغة
إنجليزية بسيطة حملت تمنيات بالصحة من العمال والخبراء !
وتسعد الرسالة كارتر فينشرها فى الجزء الأول من كتابه عن المقبرة .

قالت الرسالة :
» السيد المحترم هوارد كارتر

أكتب إليك هذا الخطاب راجيا من الله أن تكون متمتعا بصحة جيدة
وأسأل العناية الالهية أن تحفظك وتعيدك سالما إلينا .
وأتشرف بابلاغ سعادتك ان المستودع رقم ١٥ على ما يرام . وأن
المستودع الشمالى على ما يرام كذلك . وأن الوادى والبيت بخير . وأن
جميع أوامركم تم تنفيذها طبقا لتعليماتكم الكريمة .
والريس حسين ، وجاد حسن ، وحسن عوض عبد الله أحمد ،
وجميع خفراء البيت يلتزمون إرسال أطيب تحياتهم .
مع احترامى إلى ذاتكم الكريمة وشوقنا لحضوركم السريع

خادمكم المطيع

الرئيس أحمد جرجار

أثارت هذه الرسالة شجون كارتر وجعلت عقله يزحف بعيدا عن
الحبشة وافريقيا إلى وادى الملوك الذى أحبه ، وإلى الفرعون الطفل الذى
عثر على قبره .
أحس كارتر بالامل ..

كتب خطاب الاستسلام بلا قيد ولا شرط ويعث به إلى لاکو .
قال :

» أنا الموقع ادناه هوارد كارتر أقرر بصفة نهائية التنازل عن كل مطالبة أو
ادعاء من أى نوع بالنسبة لمقبرة توت عنخ آمون والأشياء التى وجدت
بها ، وأوافق على قرار حكومة مصر بالغاء الترخيص والنتائج التى ترتبت
عليه .

وأعلن سحب كل الاعمال والقضايا واخول ممثل الحكومة في مصر
أن يطلب ذلك من المحاكم »

* * *

بعد عودته من الولايات المتحدة طلب كارتر من الاوصياء على تركة
اللورد التنازل عن حقهم في نصف الأثار فيرفض الجنرال مكسويل .
ولكن أرملة اللورد كارنارفون توافق على التنازل .
في ٢٣ من سبتمبر وجهت أرملة اللورد كارنارفون رسالة إلى مرقص
حنا اعدھا كارتر والسير جون ماكسويل تتضمن الموافقة على ما طلبه
الوزير .

قالت الرسالة

« درست بعناية شروط الامتياز الجديد المقترح الذى ناقشتموه بصفة
خاصة مع مندوبى بالقاهرة والشروط كما تم الاتفاق عليها بصفة مبدئية
مرضية لى ولوكيلى مستر هوارد كارتر والصعوبة الوحيدة الباقية هى تنازلى
عن حقوقى أنا وكارتر والاوصياء فى القطع الأثرية التى عثر عليها فى المقبرة
والتي كان من المفروض منحها لممثلى زوجى الراحل اعترافا بما أداه من
أعمال ورغم أنى وكارتر مهتمان بالامر إلا أننا فى الوقت نفسه مستعدان
للتخلى عن مطالبنا .

ولكن للاوصياء على تركة اللورد كارنارفون رأى آخر .
وأحب أن أذكرك بأن زوجى الراحل ظل أكثر من عشر سنوات ينقب
فى وادى الملوك وكان يقوم بهذا العمل عاما بعد آخر رغم العديد من
المعوقات التى اصابته بخيبة الامل .

وتم كل ذلك على نفقته مما كلفه اموالا طائلة قدرها كارتر بحوالى ٤٥ ألف جنيه استرلىنى .

وحتى اليوم فإن جميع الهيئات العلمية والأثرية حصلت على مكافآت ومنح كبيرة عندما عثرت على قطع اثرية ذات قيمة .
وكل ما يطالب به الاوصياء . أن يعاملوا على قدم المساواة مع تلك الهيئات .

وإنى لعاجزة عن التعبير عن أسفى الشديد لسوء التفاهم الذى وقع خلال موسم العمل فى الشتاء الماضى . ولكنى على يقين تام من أنك تتفق معى على أنه من مصلحة العلم أن يستمر العمل للتوصل إلى نتيجة سريعة على الاسس نفسها التى يجرى عليها الآن .

أن صديقى هوارد كارتر هو الرجل الوحيد الذى يستطيع القيام بهذا العمل على النحو المرضى الذى تنشده حكومتكم وارغب فيه مع علماء الآثار والعالم كله بفضل مساعديه الاكفاء واشراف الآثار التابعة لكم .
وعلاوة على ذلك اقترح أن يستكمل كارتر هذا العمل بناء على وصية اللورد الراحل التى عبر عنها قبل وفاته .

وأمل عدم اصراركم على تنازل الاوصياء على تركة اللورد .
وأرى الانتظار حتى يتم حصر المحتويات الفعلية للمقبرة .
وفى هذه الحالة يحال إلى التحكيم موضوع تحديد نصيب القائمين على وصية اللورد كارنارفون لنصوص الترخيص الأصلى .
واقترح أن يتولى التحكيم اثنان من علماء الآثار المحايدين المعترف
بمكانتهما العلمية .

وتقوم الحكومة بتعيين إحداهما بينما يعين الاوصياء العضو الآخر .
مع ترك الحرية لهم لتعيين محكم إذا كان ذلك ضروريا .
وإذا كان من الممكن قبول هذا الاقتراح فيجب أن يستمر العمل في
المقبرة دون أى خلاف

وعندما يجيء الوقت الملائم سيتم حل هذه المشكلة بالطرق
العادية بين اشخاص لا هم لهم سوى الوصول إلى تسوية عادلة . ترضى
الجميع وتسعد دنيا العلم . . عامة «

* * *

وهكذا أصبح أمل كارتر الوحيد أن يسمح له بدخول مقبرة الملك ،
وترميم اثارها ، ونقلها إلى القاهرة !

قال ادوارروينصن مدير متحف المتروبوليتان :

- إنها مصادفات تعسة قاتلة تلك التي تحيط بمقبرة توت عنخ آمون . انها
لعنة .

ولم يقل روينصون انها لعنة للحفاظ على اثار الملك . . . لمصر !

* * *

بعث جاردنر إلى سكرتير ماكدونالد يطلب التأييد و المساندة لمطالب

الليدى كارنارفون . قال فى رسالة بتاريخ ٢٩ من سبتمبر

« سلمت لسعد باشا رسالة موجهة إلى مرقص حنا باشا من الليدى

المينا تقترح فيها السماح لهوارد كارتر بمواصلة وانهاء العمل الذى بدأه
بنجاح . ولكن تحت إشراف مصلحة الآثار بطبيعة الحال .

وعندما يتم ذلك ، تحصل دائرة اللورد كارنارفون على تعويض مالى

منصف مقابل ال ٤٥,٠٠٠ جنيه استرليني التى انفتحتها على الحفائر في مصر .

ولما كان الطرفان يرغبان في تلافى الاجراءات القضائية بقدر الامكان ، فقد أعربت عن املى عند تسليمى الرسالة ، في أن يوافق سعد على اقتراحات الليدى ، إذا كان ذلك ممكنا .

إن علماء المصريين سيرحبون بحماس بآية ترتيبات تهدف إلى فرض سيطرة دولية حقيقية على آثار مصر «

وتفشل مفاوضات سعد مكدونالد بشأن الجلاء بعد ٣ اجتماعات وكان مستحيلا أن تنجح في موضوع الملك توت عنخ آمون وأثاره .

وعاد سعد إلى مصر يوم ٢٠ من أكتوبر والجمود يسود الموقف السياسى . . وعاد سكوت الموت يغطى وادى الملوك .

* * *

وتدخل القدر مرة أخرى في هذه القضية الغريبة .

استقالت وزارتات مصر وبريطانيا خلال شهر نوفمبر ١٩٢٤ بعد أن أمضت كل منهما في الحكم ٩ شهور فحسب .

استقال رامزى مكدونالد يوم ٣ من نوفمبر وتولى منصبه في اليوم التالى ستانلى بولدوين زعيم حزب المحافظين .

وتولى وزارة الخارجية السير اوستين تشمبرلين .

واستقال سعد زغلول يوم ٢٤ من نوفمبر أيضا بعد أيام من اغتيال السردار السيرلى ستاك وتولى الوزارة أحمد زور باشا في نفسه اليوم .

* * *

كان زيور باشا في الستين من عمره يتقن خمس لغات منها الانجليزية
والفرنسية والايطالية والتركية .

وهو من أصل قوقازي . تعلم في المدرسة الفرنسية بالاسكندرية
والجيزويت في بيروت ودرس القانون في فرنسا ، ثم انضم لسلك
القضاء . وكان قاضيا بمحكمة الاستئناف الوطنية عندما اختير ليكون
محافظا للاسكندرية .

عين وزيرا للاوقاف بوزارة حسين رشدي باشا في ديسمبر عام ١٩١٧
وبقى وزيرا لوزارات مختلفة منذ ذلك الحين باستثناء ١٣ يوما في أعقاب
ثورة ١٩١٩ .
وعندما امتنع وزراء مصر عن العمل في وزارة يوسف وهبي باشا كان
زيور باشا هو الوزير الوحيد الذي توجه إلى مكتبه كالمعتاد !

وقد استقال من وزارة يحيى ابراهيم باشا ليعين وزيرا مفوضا لمصر في
روما .

واختاره سعد زغلول وزيرا بلا وزارة وتولى اعمال وزارة الخارجية فترة
أثناء غياب وزيرها واصف بطرس غالى في الخارج .
وبعد استقالة سعد زغلول اختاره الملك أحمد فؤاد ليكون رئيسا
للوارة ووزيرا للخارجية .

وهو رجل كسول يحب النكتة . لا يعادى أحدا وعندما سأله صحفي
بريطاني عن ذلك قال :

- لماذا أهاجم خصما سياسيا . لدينا مشاكل بما فيه الكفاية .
يؤمن بالصدقة مع الانجليز . ويرى أن مصر مدينة لبريطانيا بما
حققت لمصر .

ويرى الانجليز أنه بلا عاطفة وطنية . ويفضل الأجانب على المصريين .

وفي الكتاب الذى وجهه أحمد زيور للملك أحمد فؤاد يعلن فيه قبول رئاسة الوزارة تكلم عن ولائه لذات الملك العلية ولأسرته المجيدة . وقال :

« إنى لعلى بينة مما يحوط مهمتى من المشاق فى الظروف الحالية الصعبة » .

أعلن زيور باشا أن سياسته « انقاذ ما يمكن انقاذه » فسر عبد الرحمن الرافعى ذلك أنه تسليم ما يمكن تسليمه .

فقد وافق زيور على سحب الجيش المصرى من السودان . وطرده الموظفين المصريين منه وبذلك انفصل السودان عن مصر . وسلم للانجليز بكل ما طلبوه .

وبعث زيور إلى المندوب السامى البريطانى بعد اسبوع من تشكيل الوزارة يقول :

فوضنى مجلس الوزراء فى ابلاغ فخامتكم أن الحكومة قبلت شروطكم بأكملها مذعنة فى ذلك إلى حكم الضرورة ومدفوعة بالرغبة الاكيدة فى المسالمة .

* * *

وقيت مسألة أثار توت عنخ آمون . .

ثار سؤال ضخم :

- هل تكون هذه الأثار هى كل ما يمكن لزيور انقاذه ؟

وتعین الفرصة لجاردنر فيطلب من وزير خارجية بريطانيا التدخل لدى وزير الاشغال المصرى الجديد .

علقت وزارة الخارجية البريطانية على مذكرة جاردنر بعد استقالة سعد فقالت انها « تتعاطف مع البروفسور ، ومتعجب علماء الآثار لأنها على اساس سليم ولكن الوزارة لا تستطيع أن تأخذها في حساباتها عند تسوية المسائل مع الحكومة المصرية لأن بريطانيا لا يجب أن تبدى مظاهر الانتهازية » !

ويجد تشمبرلين أنه من المستحيل عليه التدخل فان مصر كلها تعرف أن أحمد زيور باشا قد استسلم تماما للانجليز .
كتبت وزارة الخارجية البريطانية إلى جاردنر يوم ٢ من ديسمبر :

« إن حكومة جلالة ملك بريطانيا تدرك الصعاب التي يعمل في ظلها - أخيرا - علماء الآثار الانجليز والأجانب . ولكن الحكومة لا ترى الوقت مناسباً لعرض الأمر على حكومة مصر » !

تابوت الذهب

عاد كارتر إلى مصر في ١٥ من ديسمبر ١٩٢٤ بعد استقالة سعد والهة النفسية العنيفة التي أصابت البلاد .

كان شعب مصر حائرا لا يدري ماذا يفعل .

استقالت الحكومة التي ظن المصريون أنها ستجىء بالاستقلال التام ، وسترغم الجيش البريطاني على الجلاء ، وتطرد الموظفين البريطانيين ، وتحد من نفوذ الملك . . فإذا بمصرع الرجل البريطاني الثاني في مصر ، بعد اللورد اللنبى ، يضع هذا كله ، أو يعطى الفرصة لبريطانيا لتطيح بكل الآمال .

قصد جورج مرزباخ بك المحامى الذى اختارته الليدى المينا بدلا من ماكسويل المحامى الذى اتهم مرقص حنا بأنه « لص » إلى مقر المندوب السامى البريطانى اللورد اللنبى يطلب التدخل .

قدم مذكرة قال فيها :

« أن مرقص حنا بك وزير الأشغال السابق عندما عرض منح ترخيص جديد لليدى المينا أصر على ضرورة تنازلها عن كل حق ، أو مطالبة ، بقطع أثرية .

وفى البداية رفضت الليدى لأن النفقات بلغت ٤٥ ألف جنيه تريد استردادها ولأن لها حقا فى نصف الآثار .

وقد سلم الجنرال السير جون ماكسويل إلى سكرتير سعد زغلول في لندن في سبتمبر ١٩٢٤ خطابا بتنازل الليدى كبدية لتسوية ودية ، ولكن وزير الأشغال مرقص حنا - رغم ذلك - رفض منحها ترخيصا جديدا . وهى تريد الترخيص ومستعدة لاستكمال ترميم الآثار ونقلها على نفقتها . وكل ما ترغب فيه إتفاق يضمن مصلحة العلم وحقوق الحكومة المصرية ، وحق أولئك الذين أنفقوا المال وأضاعوا سنوات من عمرهم للوصول إلى أرواح اكتشاف فى تاريخ الآثار المصرية .

ويقرر اللورد اللنبى التدخل الحذر دون حاجة إلى إبلاغ لندن ، فلم تعد الأمور مع زيور باشا تحتاج إلى الرجوع إلى وزارة الخارجية البريطانية فى كثير من الشئون !

* * *

ويلتقى كارتر بزيور باشا بعد ساعات من وصول كارتر .

بدأ رئيس وزراء مصر الحديث فى موضوع آثار توت عنخ آمون .

تطوع زيور باشا بأدانة كل ما فعلته وزارة سعد زغلول ضد كارتر .

ووعده بأن يكون متعاطفا ومتعاوناً .

وتمنى الوصول إلى إتفاق ودى بأقصى سرعة .

قال كارتر :

- لا أتمنى شيئا الا العودة بسرعة إلى المقبرة . ولكن ليست لدى الوسائل لأبدأ العمل خلال يوم أو يومين . اعطنى أسبوعين .

ويكتب كارتر إلى الجنرال السير ماكسويل مهللاً بأنه أتفق مع صديقه زيور باشا !

قال كارتر لمحاميه مرزباخ :

- أريد سحب خطاب التنازل عن نصف آثار الملك توت عنخ آمون .

بدا التردد على مرزباخ :

- لو فعلت ذلك الآن سيتكلمون كثيرا عن سوء نواياك .

ويضيف :

- أن حزب الوفد لم يعد قويا كما كان . ولكنه لا يزال قويا ، بما فيه الكفاية ، ليشن حملة ضارية ضد رئيس الوزراء بالنسبة للمقبرة . ويحذر :

- لا تنس أن في يد بيير لافو خطاب التنازل الذي وقعته .

ويختم مرزباخ حديثه ناصحا :

- دع هذه النقطة الآن ولنحاول تغيير الموقف بالتدريج .
ويوافق كارتر ، عن إقتناع ، بأن رئيس وزراء مصر سيتنازل -
حتما - عن بعض الآثار لأرملة اللورد كارنارفون والأوصياء على تركته
حتى يواصلوا أخلاء المقبرة من الآثار والحفاظ عليها .
ويحث مرزباخ كارتر على الاتصال بدار المندوب السامي البريطاني
فأنهم سيؤيدونه بعد رحيل سعد .

وقال مرزباخ :

- دع دار المندوب السامي تؤكد أنها تساندك للأغراض العلمية
الأثرية وحدها .

* * *

أسرع كارتر في اليوم التالي - ١٦ من ديسمبر - إلى دار المندوب
السامي البريطاني ليلتقى بالمستشار الشرقي الجديد والترسمارت الذي
يعرف العربية وبقى في مصر ٢٤ سنة . وكان له نفوذ ضخم على رؤساء
الوزراء والوزراء المصريين .

طلب منه سمارت ألا يعطى أحتكارا صحفيا لأحد حتى يضمن
صداقة الصحافة ، أو على الأقل صمتها ، بعد أن ظل يستمتع بعداثتها
زمننا طويلا .

وأصر سمارت على أن يكون هذا أحد شروط العقد الجديد .
وافق كارتر على الفور . وعرف بعد أيام قليلة أن اللورد اللني تعهد
بالبقاء ثقله السياسي كله وراء كارتر في المفاوضات القادمة بين الأثري
وحكومة مصر .

ان اللورد اللني وجد أن إعادة إفتتاح المقبرة تدل على تحسين
العلاقات بين مصر وبريطانيا وتخفف انتقادات العالم للانجليز بعد
تدخلهم العسكري السافر في مصر ضد سعد زغلول وحكومته وتدفع
السياح للقدوم إلى مصر وتنعش فنادقها وتجارتها .

وقال سمارت لكارتر :

- اللورد يريد فتح المقبرة فورا للسياح .

ويضطر كارتر الذي كان يعارض زيارة السياح للمقبرة إلى الموافقة
الفورية !

* * *

ويلتقى كارتر مرة أخرى برئيس الوزراء فيشير على الفور قضية أقتسام الآثار مناصفة بأسلوب ذكي .

قال :

- لندع جانبا في الوقت الحاضر مسألة الحصول على الآثار المكررة حتى يتم اخلاء المقبرة .

أجاب رئيس الوزراء :

- سيعامل المكتشف بالعدل فإن القانون المدني المصرى يحمى حقوقه في نصف الآثار أو قيمتها المالية .

يخفى كارتر سعادته قائلا :

- يسعدنى الاجتماع بوزير الأشغال الجديد بحضور المحامى مرزياخ

بك .

قال رئيس الوزراء :

- أفضل أن تكتب لى خطابا رسميا يتضمن كل التفاصيل .

ويستدعى رئيس الوزراء ، كارتر ، للقاءه سرا فى نادى محمد على

يوم ٤ من يناير ١٩٢٥ .

قال له :

- أريد أن نتفاهم أولا .

وفى رقة بالغة ، ونعومة أضاف رئيس الوزراء :

- كل شىء سيسير طبقا للخطة الموضوعة . وتستطيع أن تبدأ العمل

فى المقبرة فوراً ولكن هناك نقطة واحدة صغيرة تقف عقبة بيننا .

إن مصلحة الآثار ترفض النقاش معك الا إذا أعلنت أنت ، من ناحيتك ، وكذلك الأوصياء على تركة اللورد تنازلكم كتابة عن أى حق لكم من الآثار أوفى الحصول على النسخ المكررة منها ، كما تتعهدون بعدم رفع الأمر إلى القضاء .

لم يصدق كارتر ما يسمعه بينما أضاف رئيس الوزراء قائلا :
- هل هناك اعتراض على هذه المسألة البسيطة ، وتقديم هذا الأقرار .

رأى زيور الشحوب يغطي وجه كارتر فأراد التخفيف عنه قائلا :
- سنكون كرماء مع الأرملة ، والأوصياء ، وسنعطيهم بعض الآثار المكررة التي لا تخل بمجموعة المتحف المصرى .
- أراد كارتر أن « يحدث صديقه » رئيس وزراء مصر عن القانون المدني المصرى الذى قال زيور باشا قبل أيام انه يحمى حقوقه .
وأراد أن يتكلم عن السنوات الطويلة من التنقيب اليائس دون الوصول إلى قطعة أثرية واحدة .

وأراد أن يصف عجز الأثريين الفرنسيين عن ترميم تلك الآثار .
ولكن صلف كارتر منعه من التوسل والرجاء .
كل ما فعله فى ذلك اللقاء فى نادى محمد على يوم ٤ من يناير أنه هز رأسه موافقا . . فى استسلام تام . . فقد وجد الأثرى البريطانى أن زيور باشا رأى ألا يخوض أزمة ، أو معركة سياسية ، بشأن مقبرة فرعون مصرى . . قديم !



ويعقد اجتماع لوضع اللمسات الأخيرة للاتفاق .

جاء كارتر مع مرزباخ بك .

وحضر محمود صدقي بك وزير الأشغال وعبد الحميد بدوي باشا
رئيس قلم قضايا الحكومة ويير لاكمدير عام مصلحة الآثار وفوكار رئيس
البعثة الفرنسية للتنقيب عن آثار مصر .

كان بين الحاضرين أقوى وزراء حكومة زيور . . إسماعيل صدقي
باشا وزير داخلية مصر

ويسفر الاجتماع عن ضرورة التنازل عن نصف الآثار . .

ويناضل مرزباخ بك فيوافق الحاضرون على توجيه خطاب من وزير
الأشغال تتعهد فيه حكومة مصر بمنح بعض النسخ المكررة من الآثار بعد
إستكمال العمل !

* * *

كتب محمود صدقي بك وزير الأشغال إلى كارتر يوم ١٣ من يناير

١٩٢٥

« نظرا لرغبتى الصادقة في إستمرار هذا العمل فليس لدى أعترض
على منح التصريح بشرط واحد ، وهو أن تتنازل المينا أرملة كارنارفون عن
القضايا الخاصة بمقبرة توت عنخ آمون والقضايا الناشئة عنها بما فيها
الغاء إمتياز التنقيب والاجراءات التى أتخذتها الحكومة نتيجة لهذا
الالغاء .

والحكومة إذ تقدم شكرها لهذا الاكتشاف العظيم فانها ترى عدم
الاعتراف بالالتزام أيا كان نوعه فيما يتعلق بالقطع الأثرية التى عثر عليها في
المقبرة .

والحكومة إذ تقرر عدم إلزامها بشيء بالنسبة لما وجد في المقبرة فإنها بناء على رأى مستر لاکو عقب الاكتشاف مباشرة تقترح - من تلقاء نفسها - أن تمنح المينا أرملة کارنارفون حق إختيار بعض النسخ المكررة من الآثار بشرط ألا يؤدي ذلك إلى تقسيم المجموعة والأضرار بالعلم .

وهكذا أصبح التنازل عن نصف الآثار شرطا للترخيص بعودة کارتر إلى المقبرة !

ولم تحصل الأرملة إلا على مجرد وعد من وزير الأشغال المصرى بمنحها بعض النسخ المكررة من الآثار !

وبعد هذه الالتزامات والتعهدات كلها منح محمود صدقى بك وزير الأشغال اللىدى کارنارفون إمتيازاً جديداً للحفر لمدة عام يبدأ من ذلك اليوم ١٣ من يناير ١٩٢٥ .

كتب کارتر إلى الجنرال السير جون ماكسويل يصف ما جرى قائلاً :
« أصبحت مقتنعا تماما بصدق كلمات الشاعر الألمانى جوته عندما قال :

« الماضى هش . تحسسه برهبة كما لو كان حديدا ساخنا » .
ولم يقل کارتر لماكسويل أن زيور باشا كان صادقا تماما عندما وعد بانقاذ ما يمكن انقاذه » .

أن كل ما أنقذه زيور لمصر . . آثار توت عنخ آمون !

* * *

قال اللورد اللنبى لكارتير :

- أرجوك ساعد بيير لاکو فى تفريغ الصناديق المعبأة بأثار المقبرة التى نقلت من الأقصر حتى يشاهدها السياح .

ويوافق كارتير . . مرغما .

ويكتشف كارتير أن بعض الحلى الذهبية قد تغير لونها .

وظهرت الشقوق فى بعض القطع الخشبية فيستدعى مجموعة من الخبراء ، بينهم لوکاس ، والكسندر سکوت مدير الأبحاث العلمية بالمتحف البريطانى ، والدكتور دوجلاس ديرى أستاذ التشريح بكلية طب القصر العينى والدكتور صالح حمدي عميد الكلية السابق ومدير الصحة بالقومسيون البلدى بالاسكندرية .

* * *

ويصل كارتير إلى وادى الملوك يوم ٢٥ من يناير فيتسلم نسخه من مفاتيح المقبرة .

ولم يجتمع الناس فى الأقصر ، كما كان الحال فيما مضى ، لحضور إفتتاح المقبرة فى العاشرة صباحا .

وحضر عدد محدود من المسئولين . . عبد الحميد بدوى باشا المستشار الملكى رئيس قلم قضايا الحكومة ممثلا للحكومة المصرية وعثمان بك حمزة مدير قنا وكوبيل نائب مدير مصلحة الآثار وتوفيق بولس أفندى وإبراهيم حبيب أفندى عن مصلحة الآثار ومأمور الأقصر وبعض الموظفين .

وكان مع كارتير محاميه مرزباخ بك .

فضت أقفال المقبرة وحرر محضر بفتحها ودخل الجميع دون إحتفال . فلم يكن كارتر متصرا فإن التجربة كانت قاسية بالنسبة له . أدرك أن المقبرة لم تعد ملكا له وأن عليه فقط أن يتم مهمته ، أو رسالته .

ولكن الجميع كانوا سعداء لأن خيوط المشكلة قد حلت ، وأن المجال فتح من جديد أمام كارتر مكتشف المقبرة ليستكمل العمل الذى سيقترن باسمه إلى الأبد .

وأدرك العدد المحدود من السلاح أن فتح المقبرة يعتبر مقدمه لاسدال الستار على المسرحية التى هزت العالم . وأمل البعض فى أنه قد تكون هناك كنوز أخرى أكثر فتنة مدفونة داخل هذه المقبرة فى انتظار حضور من يستخرجها .

وإذا كان موسما الشتاء الماضيان قد شهدا سلسلة متصاعدة من الأحداث المثيرة فان ذروة هذه الأحداث قد تكون فى ذلك الفصل الذى يبدأ . . أمام العيون المترقبة !

لم تكن مصر متسامحة مع كارتر فإن الجميع كانوا يعرفون أنه الرجل الوحيد الذى يستطيع إستكمال مهمته والعمل الشاق الذى ينتظره . ولم يكن كارتر قديسا ليقدم هذا الجهد مقابل المكافأة المالية التى حددتها له الحكومة المصرية بل انه كان يتتهز الفرصة - على حد تعبير هربرت وينلوك ممثل متحف البتروبوليتان - « ليلتقط لنفسه بعض القطع من المقبرة » .

* * *

وتستمر عملية تصوير وتسجيل وترميم ونقل الآثار من الأقصر إلى المتحف المصرى .

وتستغرق عملية « تقشير » الضريح ٨٥ يوما فقد وجد كارتر في النهاية أن المومياء كانت داخل ثلاث توابيت كل منها مغشى بالذهب ومطعم بالزجاج الملون الذى يصور الآلهات الحامية .
وعبر كارتر عن مشاعره قال :

« انقضت عشر سنوات منذ اضطلعت أنا واللورد كارنارفون ، فى مواجهة رأى قوى معاكس ، بالبحث عن الملك المفقود .

وكنت على ثقة من أنه لا يزال مدفونا فى الوادى .

وكانت هذه السنوات العشر تعباً وكدا .

وقد تحققت آمالنا وتجاوزت النتائج توقعاتنا .

وللمرة الأولى فى تاريخ علم الآثار المصرية استطعنا أن نكتشف بالضبط كيف دفن فرعون مصرى .

إن عملنا كان قاصراً على غرفة الدفن ، وداخل الأبواب الأولى للضريح العظيم فى أرض لم يمسه أحد مطلقاً .

والآن ، رغم أن اللصوص أشاعوا الفوضى فى العاديات بحثاً عما يستطيعون نهبه ، كانت داخل الضريح العظيم كل الأختام الأصلية على الأبواب ، مما يوضح أنه ما من أحد دخلها منذ دفن الملك .

وعندئذ . ومن خلال حظ طيب ، عثرنا آخر الأمر ، على ما كنا نسعى إليه ولم نحلم به - المعرفة الكاملة بالطقوس الجنائزية المتبعة فى دفن ملك مصرى .

وهذا المشهد وحده أقوى من أى شىء .

وللمرة الأولى ، تلقى أعيننا الحديثة بصرها على عمل كامل لأناس
أنجزوه منذ ثلاثة آلاف عام وفقا لطقوس الديانة السائدة في ذلك
الحين . . .

إن التابوت ، الذى يتسم بالضخامة على غير العادة هو قطعة رائعة
من نوعه .

وكلما نظر المرء إلى سطحه الوردى الذى لم تمسه يد ، بزيتته
الرقيقة دون ادعاء ، كلما أدرك المرء مدى قيمة الإضافة التى يشكلها
لآثار مصر القديمة .

إن تأمل هذا العمل الرائع يتيح متعة لا حدود لها . ومع فتح
الأبواب المبطنة للمقبرة واحدا بعد الآخر ، فإنه يبدو مثل جوهرة
مخزونة داخل سلسلة من الخزائن الذهبية «

كان التابوت الثالث الداخلى من الذهب الخالص طوله ٦ أقدام
وبوصة وثلاثة أرباع بوصة ، وسمكه بين مليمترين ونصف ، وثلاثة
مليمترات ونصف ، ويزن ٢٤٤٨ رطلا وثمان ١/٨ رطل .

ولا يمكن تقدير قيمة هذا التابوت على أساس سعر الذهب
فحسب ، والا كان حساب أسعار لوحات الفنانين على أساس ما فيها من
قماش وألوان !

قال العالم برستد :

« كان التابوت الثالث والأخير المصنوع من الذهب الحقيقى لدرجة
أن أربعة رجال استطاعوا حمله بصعوبة ، وكان غطاء هذا التابوت يمثل
الملك فى جميع رموزه وشعاراته الملكية » .

ووجد كارتر طفلين حديثي الولادة محنطين لم يعرف ما إذا كانا ابني الملك أم لا ، فإن الأطفال حديثي الولادة يدفنون عادة مع أمهم لا مع أبيهم ، وأن كان قبر عنخسن آمون لم يكتشف بعد !

وجدت خصلة من شعر الملكة تى ، زوجة امنحتب الثالث وجدته عنخسن آمون محفوظة في تابوت صغير داخل ثلاث توابيت خشبية صغيرة

« ومعها تمثال ذهبي للملك امنحتب الثالث » .



في أكتوبر عام ١٩٢٥ نقل التابوت الداخلى إلى قبر سيقى الأول - الذى أطلق عليه الورشة ليفحص المومياء أستاذ علم التشريح الدكتور ارشبيالد دوجلاس ديرى - البريطانى بكلية الطب بالجامعة المصرية والدكتور صالح بك حمدى مدير الصحة بالقومسيون البلدى بالإسكندرية.

حاول كارتر والدكتور ديرى والدكتور صالح حمدى اخراج المومياء من التابوت . ولكن تبين أنها التصقت به لكثرة ما وضع به من الصمغ والزيت ، والعطور ، والخمور ، ومادة تشبه القار أيضا عند إجراء مراسم الجنازة ، ساعة دفن الملك .

ووجد الأطباء أن اللفائف أصيبت بعطب فوضعوا عليها طبقة خفيفة من زيت البرافين وقام الدكتور ديرى بشق الأكفان بعناية .

واستمرت هذه العملية أسبوعين .

ومع كل مرحلة من مراحل إزالة الأكفان كان يصدر بلاغ رسمى من وزارة الأشغال يعلن عن المجوهرات التى اكتشفت فى الأكفان وملاصقة لجسد صاحب الجلالة . وهى مقسمة إلى ثلاثة أقسام :

التمائم والزخارف الملكية ، والحلى الشخصية وعددها ١٤٣ قطعة
مجوهرات و ٢١ تعويذه .

قال البلاغ :

« أن الذوق السليم الذى تشهد به دقة صناعة هذه الأشياء تجعلها فى
مصاف أجمل القطع المعروفة للآن من صياغة الذهب المصرية وهى :
على الرأس : التاج الملكى وعليه شعار الملك وهو النسر والثعبان
المقدس .

حول العنق : تمائم تمثل الالهة .

على الصدر : عدد كبير من الصدریات بين كبيرة وصغيرة تتخللها
تمائم مختلفة وجميع ذلك مكون من ست عشرة طبقة .
وبعض هذه الصدریات تحتوى على مئات كثيرة من قطع الذهب
المطعمة بالفصوص والتى يتعين فكها جميعا وتنظيفها ثم إعادة
تركيبها .

على الذراعين : أحد عشر سوارا نفيسا .

بالقرب من اليدين : ثلاثة عشر خاتما من معادن مختلفة .

حول الوسط : حزامان معلق على كل منهما خنجر ذو صنع
جميل .

بين الساقين : المثزر الملكى المصنوع من الذهب المرصع .

فى القدمين : حذاء (صندل) جنازى من الذهب .

وكل ابهام من القدمين وكذا كل أصبع من أصابع اليدين ملبس بغمد
من الذهب .

وعدا هذا كله اكتشف عدد كبير من التماثيل التى كانت مخصصة للمحافظة على الملك فى رحلته إلى العالم الآخر .

والقناع الذهبى الذى يغطى الرأس وكتفى الجثمان بالحجم الطبيعى صنع من الذهب المطروق وهو ذو قيمة فنية عظيمة من الوجهة الفنية ويمثل تماما صورة الملك الشاب .

قال الدكتور دبرى أن صورة توت عنخ آمون على القناع الذهبى تعرضه كشاب حساس ورقيق . والذين حظوا بميزة مشاهدة وجهة الحقيقى عندما كشف النقاب عنه هم الذين يستطيعون أن يدلوا بشهادتهم فى مدى قدرة ودقة فنان الأسرة الثامنة عشرة الذى عبر فى القناع عن ملامح الملك الشاب وجسدها فى صورة جميلة ستظل خالدة على العصور .

بدأ فحص المومياة فى الساعة العاشرة الاربعاء من صباح ١١ من نوفمبر ١٩٢٥ بحضور سبعة من المسئولين وهم صالح عنان باشا وكيل وزارة الأشغال ، ويير لاکو مدير مصلحة الآثار وسيد فؤاد الخولى بك مدير قنا ، والفريد لوكاس مدير معامل الكيمياء بمصلحة الآثار ، وتوفيق بولس أفندى كبير مفتشى الآثار بالوجه القبلى وحامد سليمان أفندى الأمين المساعد بالمتحف المصرى .

أستولت الدهشة على الجميع عندما وقع نظرهم على المومياة مضجعة فى تابوتها الذهبى الباهر والتقط صور الفحص والمومياة هارى بيرتون .

وكانت هذه أول مرة فى مصر يجرى فحص طبى لمومياة مضى على الوفاة أكثر من ٣٠٠٠ عام .

قال تقرير الأطباء :

« عندما شوهدت جثة الملك لأول مرة وجد أنها ملتصقة بشدة بقاع التابوت الذهبى .

وكان القناع الذى يصل إلى الجزء العلوى من الصدر ملتصقا أيضا بالتابوت وبالجثة (المومياء) ولهذا السبب كان يستحيل انتزاع الجثة .

ولقد نظر فى استعمال أشعة (أكس) الا أنه للأسباب السابقة ، ووجود طبقات عديدة من أشياء من ذهب وغيره التى كانت تغطى الجثة تماما لغاية الركبتين رثى من العبث استعمال هذه الأشعة .

ولوحظ شبه احتراق فجائى أتلف الأربطة . وكان سببا فى أن جلد الجسم والأنسجة التى تليه أصبحت رقيقة جدا وسريعة العطب .

ونتج عن ذلك أن بعض المفاصل كانت ظاهرة للعيان فتيسر تقدير عمر الملك عند وفاته بأرجحيه كبرى بحوالى الثمانى عشرة سنة وظهر بكل تأكيد أن الهيكل العظمى كان ضعيفا .

وعندما ظهرت تقاطيع الوجه ثبتت صحة رأى السائد القائل بأن التماثيل والرسومات التى تمثل الملك كانت فى الواقع صورا حقيقية له . »

* * *

بقيت مومياء الملك فى قبر سبتى الأول - أو « الورشة » - واستمر دارتر مع مساعديه يصور ويسجل آثار الغرفتين الباقيتين وهما الكنز والملحق بعد أن انتهى من الغرفة الخارجية وغرفة المدفن .

ضمت الغرفتان أيضا كثيرا من عجائب الآثار .
كان يحمى مدخل غرفة الكنز تمثال انوبيس الرابض فوق ناووس
مغشى بالذهب ومركز على عمودين طويلين مصنوعين من الخشب .
وعلى كل جانب من جوانب المقصورة تماثيل لآلهات أربع بسطن أذرعهن
لحماية صندوق أحشاء الملك !

ووجدت تماثيل صغيرة مغطاة بالذهب تمثل الملك يؤدي طقوسا
وأساطير خاصة بالحياة في العالم الآخر ، وتماثيل أخرى لعدد من الآلهة
المصرية لها قوة سحرية تساعد الملك في حياته الثانية .
ووجدت نماذج مراكب للانتقال بها ، ونماذج لصناعة الخبز ولتوفير
وسائل صنع الطعام بعد أن تستهلك قطع اللحوم والقرابين الأخرى التى
وضعت في المقبرة .

* * *

ولكن اللصوص القدامى وجدوا طريقهم إلى هذه الغرفة وسرقوا
صناديق الجواهر المصنوعة من الخشب والعاج الرقيقة .
ولكن معظم الكنوز نجت من عبثهم ، فوجد عدد كبير من تماثيل
الملك موضوعة داخل صناديق كانت مخزنة في هذه الغرفة وفي الغرفة
الملحقة .

* * *

تجدد الهجوم على كارتير بعد فحص المومياء بالأشعة .
نشر اثنا سيوس بقطر - من أسيوط - الذى أعلن من قبل أنه حفيد
توت عنخ آمون في صحيفة المقطم :

« لفتت نظرى الأعمال الجارية الآن فى مقبرة جدى العظيم توت
عنخ آمون . وكيف أنهم نزعوا اللقائف والأربطة عن جثته المقدسة
وكشفوا للملأ جسمه الملكى بعد أن لبث مستورا أربعين قرنا من
الزمان .

واعترننى رجفة الاستفطاع وقشعريرة الارتياح لهذا العمل الشائن
الذى دنس قبر ملك عظيم كان يحكم أمة عظيمة بل أعظم الأمم فى ذلك
الزمان .

فبصفتى حفيد توت عنخ آمون ملك مصر ، وكمصرى يغار على
سمعة آبائه وأجداده أحتج إلى أولى الأمر فى مصر بوجه خاص والعالم
المتمددين بوجه عام على خرق حرمة الأموات وتدنيس قبورهم . ونحن فى
القرن العشرين عصر المدنية والحضارة .

وأرى من الواجب أن أنذر المسؤولين عن هذه الأعمال بسوء العقبى
وبؤس المصير كما أتضح لى من قراءة ورق البردى الموجودة عندى .
وألتمس من جلاله ملك مصر أن يصدر أمره الكريم بالكف عما
يجرى اليوم فى وادى الملوك بإحترام جثة ملك عظيم كان يجلس على
عرش مصر» .

* * *

اشتدت حملة صحف القاهرة على الاعتداء على حرمة الأموات .
وكان أعنف الهجوم على كارتر من لندن ونيويورك .
قالت إحدى الرسائل التى نشرتها صحيفة « التايمس » التى تدافع
دواما عن كارتر :

« استوفى العلم والآثار حقهما في المقبرة . ولكن من الواجب إعادة الفرعون إلى مقبرته التي دفن فيها وسط الصلوات والدموع » .

وقال الكاتب البريطاني السير رايدر هاجارد مؤلف رواية « هي » التي تجرى أحداثها في أجواء مماثلة :

« يبدو أن قدر فرعون أن يبقى نصف عار يتعفن في متحف القاهرة . أنها فضيحة » .

وكتب أحد رجال الدين من بلتيمور في الولايات المتحدة :

« ليس هذا هو التنقيب الأثرى . من حق فرعون مصر أن يبقى في مرقده كما أراد » .

وقالت صحيفة « فيليджер » في نيويورك :

بأى حق يسمح لكارتز اخلاء مقبرة أعدها إنسان لتكون مرقده الأخير خاصة وأن قدامى المصريين كانوا يخافون من الحياة الثانية ، بعد الموت » .

وفي لندن تقدم عضو في مجلس العموم - هاله استنكار الصحافة للاعتداء على حرمة الموتى - يطلب إلى الحكومة استعمال نفوذها لاعادة مومياء توت عنخ آمون إلى المقبرة .

أجاب رونالد ماك نيل وكيل وزارة الخارجية البرلماني بأن هذه مسألة داخلية تخص حكومة مصر !

فوقف عضو آخر - وليم ليش - يسأل الوزراء :

هل توافق على طلب من مواطن مصرى للسماح له بنش قبور ملوك بريطانيا وملكاتها المدفونين في كنيسة وستمنستر وغيرها ؟

قرر رئيس مجلس العموم استبعاد السؤال من محضر الجلسة !

رأى ملك بريطانيا حرجا فيما يجرى أمامه .
نشرت صحيفة « نيويورك ورلد » أن الملك جورج بعث إلى
الحكومة المصرية يقول أنه يأمل ألا تنقل مومياء الفرعون إلى المتحف
المصرى .

ولكن صحافة مصر ضاقت بتدخل ملك بريطانيا في شؤون ملك مصر
الحى - أحمد فؤاد - ، وملك مصر الراحل قبل ثلاثة آلاف سنة توت
عنخ آمون .

ودافعت صحيفة « النيويورك تايمس » عن ملك بريطانيا بأنه أبدى
رغبة مثل أى إنسان آخر . وأن انتهاك القبر تم ولا بد من اتمام العمل
حتى النهاية « .



ولكن قضية نقل مومياء توت عنخ آمون لفحصها لم تعد مقصورة على
الملوك والصحافة ورجال الدين .

أن حفارى القبور « وحاتوتية » أمريكا رأوا التدخل !
فرانك كامبل أكبر حاتوتية نيويورك كتب يقول :
« لن يسعد أحد إذا عرضت مومياوات جورج واشنطن وإبراهيم
لنكولن - رئيس جمهورية أمريكا - فى متحف عام . ومما يثير الغضب
أن يقع شئ مماثل لبقايا توت عنخ آمون « .
وفى اجتماع لجمعية التحنيط مضى كامبل خطوة أبعد . قال :
« أن المومياوات المصرية التى توجد فى متاحفنا يجب أن تعود إلى
القبور التى جاءت منها . . لتدفن فيها « .

وهذه هى الدعوة نفسها التى أطلقها الرئيس المصرى أنور السادات بعد ذلك بأكثر من ستين عاما دعا فى خطاب عام إلى إعادة دفن الفراعنة « المعروضين » فى مصر !

ظهر السير جون ماكسويل القائد البريطانى العام السابق فى مصر ، وأحد الأوصياء على تركه اللورد كارنارفون ليقول :
- إذا كنا سنستجيب لهذه الدعوة الجديدة ونعيد المومياوات إلى مصر فانى أرحب بتذكير الناس الطيبين بأن ذلك سيؤدى إلى اغلاق المتاحف فإن زوارها يسرعون دائما فى العطلات إلى رؤية المومياوات !
ولكن ارثر ويجال العالم الأثرى الذى جاء إلى مصر بعد الاكتشاف قال :

- يحاصرنى الناس ويسألوننى إذا كنا نحب أن يأتى إلينا الأجانب لنبش القبور .
وأضاف :

- إن العقيدة الدينية هى السبب فى ذلك فان الناس يرون ترك الموتى فى قبورهم لأنهم سيعثون !
ولكن ويجال استدرك قائلا :

- الأحياء يملكون الموتى . وما الأثرى الا حفار قبور ، سواء كان يبحث عن إنسان ، رحل أو حضارة اندثرت !

* * *

أشار كارتر إلى مومياء توت عنخ آمون فى ثلاثيته التى نشرها عن الكشف .

في الجزء الأول عام ١٩٢٣ ، والثاني عام ١٩٢٧ ، والثالث سنة ١٩٣٣ .

في الجزء الأول تحدث عن تسجيل الآثار ونقلها قال أن ذلك حماية لها من السرقة

وفي الجزء الثاني قال انه عندما كان يحملق مع زملائه في التابوت لم يستطع أحد . . الحديث أو حتى الهمس ، وكأنهم يستمعون إلى وقع خطوات المعزين الذين يغادرون القبر لآخر مرة قبل اغلاقه !

وفي الجزء الثالث الذي نشره بعد ٨ سنوات من فحص المومياة روى ما قاله طبيب التشريح ديري :

- ما دام القبر اكتشف فلم يكن أمام كارتر الا أن ينقب فيه .
ويجب ألا يكون السؤال حول حق فحص المومياة ، بل حق كارتر في السعى للبحث عن القبر ، أن كارتر تحرك من البداية بدافع أبدي لا يقاوم ، وهو . . . الفضول الانساني .

* * *

بدأ البحث في مصير المومياة .

اقترح البعض دفنها في الهرم الأكبر ، أو حفظها وعرضها في اخدي حجراته الداخلية .

قال الدكتور صالح حمدي الذي فحص مومياة الملك :

«من المستهجن أن تعرض جثة من الجثث لنظر الأحياء . ويصبح الأمر أكثر استهجانا حين يتصل بملك من ملوك مصر أختار لنفسه المقام في وادي الملوك .

ويجب أن نحترم له هذه الرغبة ، بوضع جثمانه في أحد توابيته الأخرى إذا أريد المحافظة على التابوت الذهبى من اللصوص أو أريد عرضه في المتحف ، وأن يعاد التابوت المشتمل على المومياء إلى قبره داخل التابوت الحجرى حيث يمكن مع ذلك أن يرى من يشاء هذا التابوت الحجرى والتابوت الذى فى داخله .

أما مومياء الملك فلا أرى مطلقاً أن تكون معروضة للأنظار . وذلك شأن مقابر العظماء فى كل مكان .

ظلت المومياء فى مقبرة سيئى أى فى الورشة نحو عام حتى أذيع بيان رسمى فى مصر جاء فيه :

« بعد أن أعيد لف مومياء الملك توت عنخ آمون فى كفنهما . ووضعها فى التابوت الأول الخارجى أنزلت فى التابوت الحجرى - يوم ٣١ من أكتوبر عام ١٩٢٦ - بحضور حضرات محمد شعبان الأمين المساعد بالمتحف المصرى ومحمود أفندى رشدى مفتش الآثار بالأقصر » .

وكان مفتشا الآثار هما وحدهما اللذان شهدا إعادة الملك الى قبره ! !

ولكن كارتر ، دون أن يعرف أحد ، ترك بطاقته التى تحمل اسمه وصفته وعنوانه بين الأكفان !

وظلت البطاقة مكانها ٤٢ عاماً منذ سنة ١٩٢٦ حتى ١٩٦٨ عندما أعاد هاريسون أستاذ التشريح بجامعة ليفربول فحص المومياء بالأشعة داخل المقبرة فاستعاد البطاقة . وبقي توت عنخ آمون وحده فى تابوته .

وحدث أثناء الفحص بالأشعة أن كسر الزجاج الذي وضعه كارتر
حول المومياء وكان سمكه ست ملليمترات فتبرعت شركة بريطانية بزجاج
آخر سمكه ١٠ ملليمترات . وقالت الشركة أنه عازل تماما للمومياء يمنع
تسرب التراب والهواء .
وقالت الشركة أن هذا الزجاج أيضا يقى من الرصاص !

القانون الموقوف

أدت الضجة التي صاحبت الكشف عن مقبرة توت عنخ آمون ،
والقضايا التي أقامها كارتر مطالبا بنصف الأثار إلى التفكير الجدى في
تعديل قانون الأثار الذى اصدره ماسبيرو عام ١٩١٢ والذى يسمح
للمكتشف بالحصول على نصف الأثار .

بدأت فكرة التعديل عام ١٩٢١ وكان بير لاکو هو المسئول عنها ولكن
المشروع نام حتى ايقظه الاستقلال فى ٢٨ من فبراير عام ١٩٢٢ ورغبة
مصر فى المحافظة على آثارها وحمايتها .

بعثت مصلحة الأثار يوم ١٠ من اكتوبر عام ١٩٢٢ إلى جميع بعثات
التنقيب عن الأثار تقول إن الحكومة المصرية تنوى تعديل المادة ١٢ من
قانون الأثار رقم ١٤ الصادر عام ١٩١٢ .

وترغب الحكومة فى العدول عن سياسية تقسيم الأثار مناصفة ،
وستكون حكومة مصر حرة فى أن تقدم للمكتشف الأشياء التى لا تحتاج
إليها مجموعات الأثرية .

ولن يسرى التعديل الجديد على موسم الحفر القادم .
وستطبق عملية القسمة مناصفة لآخر مرة هذا الموسم، أى
موسم عام ١٩٢٢ - ١٩٢٣ .

ولم يكن أحد في مصلحة الأثار يظن أنه بعد ستة اسابيع فقط ، وفي هذا الموسم بالذات ستكتشف مقبرة توت عنخ آمون ، وأن مكتشفها سيطالبون بنصف تلك الأثار !

وجاء اكتشاف المقبرة في نوفمبر من ذلك العام وظهور الكنوز الأثرية الضخمة مما جعل التعديل يتحول من مجرد فكرة إلى ضرورة قومية عام ١٩٢٣ .

ولكن بريطانيا نجحت في تأجيل المشروع عاما كاملا حتى وقعت الأزمة بين كارتر ومقرص حنا واغلاق المقبرة .

* * *

وجد بير لاکو أن تقسيم الأثار عملية صعبة ، وأحيانا مستحيلة . فليس شرطا ، أن يوجد في كل مقبرة نسختان من كل قطعة أثرية ! والتوايت والمومياءات لا تتكرر في المقبرة الواحدة ! ولا تستطيع مصلحة الأثار أن تشتري نصف الأثار - الذى ينبغى أن يؤول للمكتشف ويصبح حقاله ، طبقا لقانون ماسبيرو - فإن اعتمادات المصلحة لم تتجاوز مبلغ ٢٧ ألف جنيه في عام ١٩١٩ ، ولم تزد على ٤٧ ألف جنيه في عام ١٩٢٣ .

وفي منطقة دهشور مثلا لم يتقدم أحد للتنقيب خلال ربع قرن . ولا تستطيع المصلحة أن تنقب في سقارة رغم الاحتمالات الناجحة المتوقعة لأن اعتمادات التنقيب المطلوبة لسقارة ١٢٠٠ جنيه سنويا لمدة ٣٠ سنة تقريبا حتى يمكن التنقيب في المنطقة كلها .

أن الباحث لا يريد ترخيصا إلا في المناطق التي يرى فيها احتمالات قوية لاكتشاف الآثار وبذلك أصبحت العمليات كلها مجرد مغامرات تجارية .

ووجد لآكو أن تراخيص التنقيب عن الآثار أصبحت مثل أوراق اليانصيب ، والمصلحة تدفع الجائزة الأولى ، لأنها مضطرة لدفع مبلغ كبير للمنقب مقابل نصيبه من الآثار أو يحصل على كل القطع .
وحدثت خلافات ومشاكل سياسية ومالية كثيرة نتيجة لقانون التقسيم .

* * *

اعتمدت فكرة تعديل القانون على أساسين واضحين :
الأول : أن تحصل المصلحة على ما تعتقد أنه يجب المحافظة عليه كثروة قومية للبلاد . ويكون من حقها أن ترفض منح أية قطعة أثرية لمكتشف .

باختصار يصبح من حق المصلحة أن تأخذ ما تريد وتمنح المكتشف ما لا تريد فإذا أخذت الكل فإن المكتشف لا يستطيع الاعتراض .
الثاني : ألا يحصل المكتشف نفسه على شيء ، بل يهب ما تمنحه له المصلحة لمتحف قومي في بلاده ، أو أي بلد آخر حسب رغبته .
والهدف من هذا التعديل أن تتوقف المغامرات التجارية وأن تجيء لمصر جمعيات علمية هدفها البحث عن الآثار . . لمصلحة العلم والتاريخ فحسب .

* * *

اعترضت الجامعات والمعاهد العلمية والافراد في الخارج على المشروع وساندتهم الدول الاجنبية وكان أساس الاعتراضات أن أحدا لن يجيء إلى مصر ينفق أمواله بحثا عن الآثار ولا يأخذ شيئا بينما أخذ غيره - من قبل - كثيرا من آثار مصر .

وبنيت الاعتراضات أيضا على أساس ما فعلته الدول في هذا الشأن .

* تركيا واليونان وإيطاليا: تحفظ أثارها ولكن الباحثين لا يستطيعون التوقف عن الكشف عن آثار الامبراطورية اليونانية أو الرومانية بينما يمكنهم التخلي عن مصر .

وكان رد مصلحة الآثار أن مصر لم تعد دولة بعيدة منعزلة بل يقصدها الباحثون عن الحضارة القديمة .

وجاء اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون . وتجدد البحث في تعديل قانون الآثار .

بعث السير فردريك كينيون مدير المتحف البريطاني بمذكرة إلى وزارة الخارجية البريطانية في ٢٣ من يناير ١٩٢٣ يقول فيها :

* القانون الحالي يضمن حقوق مصر .

* القانون في العراق وفلسطين ينص على التقسيم ويعطى المكتشف تعويضا بمنحه حصة أكبر من الآثار عندما تحتفظ الدولة بالقطع الهامة .

وقد تقدم العمل الأثرى في البلدين نتيجة ذلك القانون .

* مصلحة الآثار المصرية لا توحى بالثقة مثل مصلحة الآثار في العراق وفلسطين

* هناك شكاوى كثيرة من المؤسسات الامريكية التى تنقب بمصر . وقد قررت التوقف عن العمل إذا صدر القانون إلا إذا تلقت تأكيدات ، أو عقدت اتفاقات معها ، أو صدر اعلان رسمى من الحكومة المصرية بأن هذه المؤسسات ستحصل على عائد مجز من الأثار المصرية عند إكتشافها أو اعتراف رسمى بالمنصفة العادلة .

وطلب السير فردريك كينيون أن تتدخل الحكومة البريطانية والمندوب السامى لدى حكومة مصر .

وبعثت الاكاديمية البريطانية بمذكرة مماثلة إلى وزارة الخارجية البريطانية فى فبراير ١٩٢٣ .

ونجح التدخل ولم يصدر القانون عام ١٩٢٣ .

* * *

وتولى سعد زغلول رئاسة الوزارة .

وحدثت أزمة المقبرة .

وعاد مشروع القانون إلى الظهور لعرضه على مجلس النواب .

وتحاول بريطانيا القيام بسعى مشترك مع فرنسا والولايات المتحدة للتدخل لدى سعد .

ويتصل السفير البريطانى فى باريس السير كراو بوزارة الخارجية الفرنسية التى تبلغه اعتذارها عن القيام بأى عمل مشترك .

ويكتب اللورد اللنى إلى لندن :

» برقية رقم ١١٥

بتاريخ ٢٥ من أبريل ١٩٢٤

يسعى وزير الاشغال العمومية - مرقص حنا - جاهدا خلال الدورة البرلمانية الحالية لضمان اقرار التعديلات المقترحة في قانون الآثار وهى التعديلات التى تأجل تقديمها إلى البرلمان فى العام الماضى .

أن مصر هى الدولة الوحيدة التى لا تحتفظ بالسيطرة الكاملة على الاكتشافات الأثرية لمصلحتها الوطنية . وستصبح التعديلات قانونا .

ونتيجة للضغط الذى يواجهه البرلمان فى بحث موضوعات أخرى .

فان البرلمان لن يجد وقتا لاقرار التعديلات بحيث يتسنى تطبيقها خلال موسم التنقيب القادم .

وقد اخبر الوزير الأمريكى المفوض الحكومة المصرية بأن الاصرار على التعديلات سينتج عنه تخلى معظم - إن لم يكن كل - المعاهد الأمريكية التى تعمل فى مصر عن التنقيب عن الآثار .

ويعتقد الوزير الأمريكى المفوض أن المصريين - كما فعلوا من قبل دون استثناء - يعتمدون على المساهمات التطوعية مما يجعلهم بالفعل متوترين ازاء الجدل المثار بشأن هوارد كارتر .

وطلب الوزير الأمريكى المفوض من الحكومة المصرية أن تقدم ردا قبل ١٥ مايو وهو التاريخ الذى يعد فيه متحف المتروبوليتان ميزانيته .

ويرى الوزير المفوض الأمريكى أن الحكومة المصرية حرة فى إتخاذ أية تدابير ولكنه يأمل ان يؤجل النواب مشروع القانون لمدة عام على الأقل .

واعتقد أنه ينبغي على أن أقوم بمسعى مشابه .

وأكون ممتنا إذا أجريتم مشاورات مع سلطات الآثار البريطانية المختصة وافادتى عما إذا كنتم ترغبون فى قيامى بأى إجراء فى هذا الشأن »

ولكن مصلحة الآثار توزع فى نفس الشهر - مايو ١٩٢٤ - على كل بعثات التنقيب والأفراد أيضا صورة ترخيص التنقيب الجديد الذى يتضمن شروطا جديدة نص عليها القانون الذى لم يصدر بعد !
- وضع الترخيص بأسلوب يضمن حق الدولة بحيث لا يستطيع أحد الاعتراض عليه .

* * *

وتجتمع لجنة الآثار المشتركة بالمتحف البريطانى لتقرر الاعتراض على منشور مصلحة الآثار .
وتبرق الحكومة البريطانية إلى اللورد اللنبى فى ٨ من مايو ١٩٢٤ للاتصال بالحكومة المصرية ومحاولة اقناعها بعدم صدور القانون .

إن بريطانيا رأت ألا تتدخل فى مسألة مقبرة الملك توت عنخ آمون - رغم ضخامتها - لأنها حالة فردية ولكن القانون الذى يشمل الجميع شىء آخر ،

ويكتب اللورد اللنبى إلى وزارة الخارجية المصرية فى اليوم التالى - ٩ من مايو - خطابا يبدى فيه قلق الهيئات الأثرية البريطانية من تعديلات قانون الآثار . .

قال اللنبى :

« بناء على تعليمات وزير الخارجية اكتب إليكم بشأن نوايا الحكومة المصرية فى تعديل قانون الآثار

وتتعاطف الحكومة مع رغبة مصر فى وضع شروط أكثر وضوحا ،
و ذات طبيعة مرضية بصورة أفضل من القانون الحالى .
وتدرك الحكومة البريطانية أن هناك اجماعا فى الرأى لدى المعنيين
بالآثار فى بريطانيا العظمى بشأن تعديلات معينة ، تدرس الآن ستلحق
أضرارا قاتلة لعلم الآثار .

وستؤدى موافقة الحكومة المصرية على هذه التعديلات إلى وقف
عمليات معظم معاهد الآثار فى مصر .

وتأمل حكومة صاحب الجلالة ملك بريطانيا ان تقوم الحكومة
المصرية بمراجعة بعض التعديلات التى تجرى دراستها فى الوقت
الحاضر »

ويؤجل واصف غالى باشا وزير الخارجية الرد على المندوب السامى
البريطانى شهرا كاملا ثم يجيب بحزم قائلا :

« أفادتنى الادارة المختصة انها لن تتخلى عن مشروعها الخاص بتعديل
قانون الآثار وأبلغتنى أيضا أن التعديلات لا تمس مصالح الجهات العلمية
ولا تدعو لقلقها .

إن الحكومة المصرية لا تريد إلا شيئا واحدا وهو عدم الالتزام بكلمة « النصف » عند تقسيم الآثار حتى يتسنى جمع مجموعات كاملة من الوثائق والمستندات والأدلة التي تمثل الحضارة المصرية كاملة .
ومن خلال واجبها تجاه العلم فإن الحكومة المصرية ستهدى للمتاحف الاجنبية عددا كافيا من الآثار الهامة المتوفرة في مجموعاتها لتسهيل مهمة الباحثين في مجال الحفائر ولدراسة تاريخ مصر القديمة في مراكز الجامعات الاجنبية .

وقد تتأثر مؤقتا بعض المعاهد العلمية من الناحية المالية . ولكن ذلك لا ينبغي أن يكون مبررا للتضحية بالمصالح العلمية «
ويدرك اللورد اللنبى من هذا الرد أن مصر ماضية في تعديل القانون .
وأنها لن تمنح كارتر - أو أحدا غيره - نصف الآثار .
ويعرف المندوب السامى البريطانى أنه لن يجد أذانا مصرية حكومية تصغى إليه .

وتبرق دار المندوب السامى إلى لندن يوم ٢٤ من يونيو ١٩٢٤
بالنصوص . ويعلق عليها رئيس القسم المصرى بوزارة الخارجية
البريطانية قائلا :

« الشروط معقولة بشرط أن تخلص حكومة مصر في تطبيق نصيها »
ولكن البرلمان المصرى كان مهتما بشئون السياسة فلم يستطع
مناقشة القانون أو اقراره .

* * *

وتستمر المفاوضات والمراسلات .

كتب الان جاردنر الى سلبى سكرتير رامزى ماكدونالد فى ٢٩ من
سبتمبر ١٩٢٤ يقول :

« انى آسف ولكنى مضطر للعودة إلى مسألة مصلحة الآثار المصرية .
وقد تلقى روبرت موند الذى يقوم بحفائر لجامعة ليفربول نصوص
تراخيص التنقيب الجديدة وستلاحظون أن مصلحة الآثار قد غيرت قانون
الآثار بما يناسبها .

فهم يريدون أن يكون كل شىء لمصلحتهم فى حين لا يتمتع
« المنقبون » بأية ضمانات على الاطلاق .

ولم تحصل الحكومة المصرية بعد على ثقة العالم ، ولم يتم تقديم
أى ضمان بأن هذه السلطة الجديدة لن تمارس إلا فى حالة الضرورة .
ولا أعتقد ان الأثرين يثقون ، بأى شكل ، فى لاکو ، المدير
العام .

وكل هذه التغييرات نتيجة لمتاعب توت عنخ آمون ومن الصعب
ادراك السبب فى أن تواجه الجمعيات والمؤسسات العلمية المتاعب «
ويبعث السير لانسلوت وكيل الخارجية البريطانية إلى السير فردريك
كينيون مدير المتحف البريطانى قائلا فى ٢٩ من سبتمبر ١٩٢٤ أيضا :

« يرى وزير الخارجية رامزى ماكدونالد أنه ليس من المنطقى أن تتم هذه
التعديلات وليس ملائما أن يعانى المنقبون . اننا نريد أن تكون
التعديلات فى القانون ذات روح ليبرالية متحررة »

ويكتب اللورد اللنبى إلى لندن :

« أمل أن تقبل الحكومة المصرية نوعا من التسوية نتيجة الضغط
الدبلوماسى »

* * *

وتوالى ١٠ بعثات أثرية ضغطا آخر على مصلحة الآثار بالتهديد
بالامتناع عن الحفر ،

كانت للانجليز وحدهم ٣ بعثات :

الأولى فى طما تبحث . والثانية فى تل العمارنة . والثالثة تنقب فى
الأقصر .

وللامريكيين بعثة من متحف المتروبوليتان فى معبد حتشبسوت فى
الأقصر ، وأخرى من جامعة هارفارد فى الجيزة . والثالثة من جامعة
فيلادلفيا فى مقابر الرعامسة فى الأقصر والرابعة من جامعة بوسطن
التي بنت بيتاً لأعضائها قرب معبد رمسيس فى الأقصر تمهيداً لبدء
الحفر .

والفرنسيين أيضا ٣ بعثات فى مقابر دير المدينة فى الأقصر والجيزة
وادفو

ويواسى اللورد اللنبى حكومته قائلا :

« ان مصلحة الآثار - على أية حال - فى أيد أوربية تماما »!

* * *

ويستقبل سعد زغلول فى نوفمبر ١٩٢٤ وتستمر الاتصالات لمنع
صدور القانون .

طلبت الحكومة الامريكية من الحكومة البريطانية في ١٨ من يونية ١٩٢٥ القيام بعمل مشترك مع مصر لمنع صدور القانون .
ولكن بريطانيا امتنعت عن الرد .

وقصد السفير الامريكي في باريس إلى مقر وزارة الخارجية البريطانية يوم ٢٥ من فبراير ١٩٢٦ ليجدد طلب العمل الدبلوماسي المشترك .
وكانت على مكتب الوزير مذكرة من القسم المصري بالوزارة تقول :
« لا نريد عملا مشتركا في مصر . ان لنا وضعًا خاصًا متميزًا في القاهرة »
ويتخلص الوزير من اعلان رد صريح مباشر قائلا انه سيفعل ذلك إذا
سمح المناخ السياسي في مصر .

وفي ٣ من مارس ١٩٢٦ يكتب المندوب السامي في القاهرة اللورد
لويد إلى لندن
« برقية رقم ٥٦ »

سلمنى الوزير المفوض الامريكى نسخة من مذكرة ، تتضمن
اقتراحا بأن يخاطب الوزير الامريكى في القاهرة الحكومة المصرية وسألنى
عما إذا كانت حكومة صاحب الجلالة تؤيد الموقف الذى تتضمنه
المذكرة . وأبلغنى أنه يجرى تقديم مذكرة مماثلة في باريس .
وبعد بضع فقرات حول اهمية علم المصريات بالنسبة إلى امريكا ،
تشير المذكرة إلى التغييرات التى أحدثها قرار الأثار لعام
١٩٢٤ / ١٩٢٥ وإلى الرسالة التى وجهها المدير العام لمصلحة الأثار
إلى رئيس متحف المتروبوليتان في نيويورك ، بتاريخ أول أبريل ١٩٢٥ ،
حول الهدف من هذه التغييرات .

ويقرر أن التغيير في السياسة خلق احساسا هائلا بالاضطراب في اذهان علماء الآثار الامريكيين . وفي حين يوافقون على الاهداف التى تبغى هذه التغييرات تحقيقها ، فانهم يقولون إن المادة ١٠ من طلب التصريح الجديد يجب أن يحل محلها بيان ملخصه كالآتى :

إن العلم يتطلب أن تحتفظ مصلحة الآثار لنفسها بكل القطع التى لا تمتلكها ، إلا أنها ستوزع الى حد كبير المواد التى تمتلكها . .

وأن مصلحة الآثار لا ترغب فى الاحتفاظ بأى من المواد من أجل بيعها ، ولا بنسخ أو مواد معادلة لنفسها ، ولا فى إعطاء حفار عاديات اكتشافها حفار آخر .

ولذلك فان الحكومة ستعطى الحفارين كل العاديات التى لا تحتاج اليها ، بما فى ذلك عاديات ذات قيمة من الطراز الأول ، بغض النظر عما إذا كانت مثل هذه العاديات أكثر أو أقل من نصف العاديات المكتشفة .

يلى ذلك طلب بادراج هذه المبادئ فى طلب تصريح الحفر .

أبلغت الوزير الامريكى المفوض بأننى اتفق بشكل عام مع الهدف الذى تتطلع إليه حكومته وانى سأطلب رأيكم فيما يتعلق بنوع ودرجة التأييد الذى يمكن اعطاؤه بأقصى قدر من الفائدة .

أرجو الابراق لى بملاحظتكم «

• ويوجه اللورد لويدي - وحده - مذكرة إلى وزير الخارجية المصرية فى ٢٩ من مايو ١٩٢٦ يعترض فيها على بعض نصوص الترخيص الجديد .

ولكن مصر تمضى فى تمصير مصلحة الآثار .

كان عدد الاجانب العاملين فى هذه المصلحة ١٥ عام ١٩٢٣ . ،
فانخفض الرقم إلى ثمانية عام ١٩٢٦ . . ويزيد عدد البعثات المصرية
لدراسة الآثار فى الخارج .

ولكن يبقى المديرون الاجانب يرأسون مناطق التنقيب الاساسية فى
الكرنك والجيزة وسقارة .
وينجح اللورد لويد وهاول الوزير الامريكى المفوض فى الضغط على
زيور الذى يرفض تعديل القانون .

ويعلن زيور - رسميا ولكن سرا - بأن مصر ستهدى - دون مقابل -
كل ما هى فى غنى عنه من الآثار التى ستكتشف - ولا تحتاج إليها الدولة
فى مجموعاتنا ، سواء تم الكشف فى القاهرة أو أى مدينة أخرى . .
وذلك بغض النظر عن أهمية الآثار .

وقال زيور إن مصلحة الآثار ستحتفظ بكامل حريتها فى اختيار القطع
التي تهديها .

ويبرق وينلوك بذلك إلى متحف متروبوليتان فى نيويورك .
ويكتب فردريك كينيون مدير المتحف البريطانى إلى مورى رئيس
القسم المصرى فى وزارة الخارجية البريطانية قائلا :
« لا نستطيع بالتأكيد تحسين هذه الشروط !

هذا اعتراف بحقوق القائمين على التنقيب . . وانى راض تماما عن
ذلك » .

ويتعطل صدور القانون .
وتتخلص وزارة الاشغال من المشكلة بأن تصدر في مايو ١٩٢٨ قرارا
بمنع تصدير الآثار المصرية إلا بتصديق من الوزير بعد فحص القطعة
بمعرفة رجال مصلحة الآثار وموافقة مدير المصلحة .
وتبقى العقوبات في حالة المخالفة مقصورة على المصريين والأتراك
وحدهم . . ويعفى منها الاجانب .
ولا يعدل قانون الآثار إلا في ٣١ من أكتوبر ١٩٥١ بصدور القانون
رقم ٢١٥ لحماية الآثار ، وذلك قبل خروج الأب دريتون الفرنسي من
منصب مدير المصلحة . . بشهور !

مؤامرة على المتحف

فى رأى الدكتور أحمد قدرى مدير عام مصلحة الآثار ان عمليات نهب الآثار المصرية كان يجب أن تجعل مصر خلوا من آثارها ولكن حضارة مصر على مر العصور جعلتها غنية بثلاث آثار العالم رغم كل السرقات . .

وجاء اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون ليكون نقطة تحول خطيرة . . فقد اراد كارنارفون وكارتر الحصول على نصف الآثار فلما فشلت المحاولة رغبت الحكومة فى تعديل قانون الآثار . . ولكن أمكن - بالضغط - تعطيله .

وجرت محاولة جديدة جريئة وغريبة لسرقة الآثار المصرية على أوسع نطاق .

* * *

بدأت هذه المحاولة من جانب الانجليز يوم ١١ من نوفمبر عام ١٩١٩ بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى . .

اقترحت اللجنة الاثرية البريطانية المشتركة اشرافا دوليا على الآثار التى توجد فى البلاد الخاضعة لتركيا . . ولم تكن مصر احدى هذه الدول لأنها كانت تحت الحماية البريطانية منذ عام ١٩١٤ . .

قالت اللجنة المشتركة إن هزيمة تركيا واجتماع ممثلى الوفاق والولايات المتحدة فى مؤتمر السلام ، يتيحان فرصة لن تتكرر مطلقا لعلاج هذا الوضع المؤسف . . ونجاح العديد من المنظمات الدولية للحلفاء خلال الحرب يشير الى امكان التوصل الى حل لمشكلة الآثار فى هذه الدول . .

اقترحت اللجنة ان تتولى ادارة الآثار دولة ما .
والدولة التى تثير أقل قدر من الحساسية الدولية هى أمريكا التى تدعى كوصية للقيام بهذا الواجب ، نيابة عن الأمم المتحدة بوجه عام .
ويتعين ان تتمتع هذه اللجنة بسلطات قانونية لتعديل القانون التركى القائم ، من اجل :

- ١ - كفاءة الحفاظ على الآثار .
- ٢ - الحياد فى الادارة . . وتتمتع بسلطة منفردة فى منح تصاريح الحفريات والتنقيب وتصدير الآثار ، وشراء العاديات من المتاحف التركية . او الافراج عنها لبيعها فى الخارج .
- ويوضع قانون يسمح بتقسيم نتائج الحفريات بين المتاحف التركية والحفارين ، وفقا للنظام المصرى وتتولى اللجنة الاشراف على هذا التقسيم . . وتخضع المتاحف المحلية لادارتها . .
- وتمثل فى اللجنة الدول التى اظهر رعاياها اهتماما بالآثار . . وهى فرنسا وبريطانيا العظمى وإيطاليا والولايات المتحدة الامريكية . . وأخيرا المانيا والنمسا . .

وبين الدول الأخرى بلجيكا والدانمرك . .
وقد تطالب اليونان بتمثيلها .
ولا تمثل تركيا في اللجنة بل تتناوب تمثيلها .
وهذا الاقتراح يعنى ببساطة ان تتولى شئون الآثار في تركيا والدول
الخاضعة لها لجنة دولية لاتضم ممثلين عن تركيا نفسها .
وهذا النموذج هو الذى فكرت الولايات المتحدة فى تطبيقه بمصر .

* * *

فى يناير عام ١٩٢٥ ، فى وزارة أحمد زيور باشا بعث عالم الآثار
الامريكى جيمس برستد الى جلالة الملك أحمد فؤاد بمذكرة طويلة عن
الحالة المؤسفة للمتحف المصرى بالقاهرة . .

قالت المذكرة :

المتحف ليس مكانا آمنا لهذه المجموعة الضخمة من الآثار . انشئ
على اسس خاطئة . وسقفه يسمح بتسلسل مياه الامطار والبدروم تحت
مستوى مياه نهر النيل وتدخله مياه الفيضان . . مما اتلف كثيرا من
الآثار . .

* لاتوجد أماكن عمل لأساتذة الآثار الزائرين .
* لا يوجد معمل للمحافظة على الآثار والاعمال الفنية .
* لا يتوفر للمعهد العدد الكافى من الأسماء العارفين بعلوم الآثار .
وبعد هذه المذكرة كتب برستد الى صاحب الجلالة ملك مصر
يقول :

« يتابع العالم التطور السياسى لمصر . . فهى أحدث الدول من الناحية السياسية ولكنها أقدم الجميع حضارة فان اول الآثار المصرية اقيم فى زمن كانت اوروا فيه غارقة فى الوحشية والظلام . .

وقد انتشرت الآثار المصرية - وهى ميراث الحضارة - على امتداد نهر النيل وضمها متحف القاهرة لتكون رابطة بين مصر وباقى الأمم .
ويجب ان تنظر الشعوب الحديثة الى مصر القديمة . بوصفها السلف الثقافى التى تتطلع اليها فى امتنان واحترام .

وكتعبير عن التوقير لمصر فان الأمم الاخرى ترغب فى ان تتعاون مع شعب مصر للمحافظة على الآثار المصرية . .

ومنذ ثلاثين عاما لم يكن هناك مدرس واحد للغة المصرية القديمة فى الولايات المتحدة . . فنحن امة حديثة سياسيا وثقافيا أيضا .
ونظرا لأن التطور الأمريكى تم خلال الثلاثين عاما الاخيرة فاننا ندرک المتاعب التى تواجهها مصر . .

وفى ظل هذه الروح فاننا نقدم لجلالتكم هذه الهدية « .
بعد هذه المقدمة التى صيغت بأرق عبارات المجاملة نحو مصر وصاحب الجلالة قالت الرسالة :

« أصبح المتحف المصرى فى القاهرة يضيق بآثاره ولذلك يعرض
المسترجون روكفلر اقامة متحف جديد يتكلف خمسة ملايين دولار
ومعهد لأبحاث الآثار يتكلف ٤٠٠ ألف دولار ومبلغ ٤ ملايين دولار
اخرى يخصص ريعها لصيانة المتحف والمعهد . . وبذلك يبلغ مجموع
المنحة التى يعرضها مسترجون روكفلر على مصر نحو ١٠ ملايين
دولار ، أى مليونين من الجنيهات المصرية » .

ولكن المنحة او الهبة لم تكن نهائية بل رافقتها شروط والتزامات .
قال برستد إن على الحكومة المصرية قبولها وهى : تعاون الولايات
المتحدة والدول الغربية فى ادارة المعهد خلال ٣٣ سنة باعتباره مؤسسة
تعليمية للمصريين وألوف الاجانب الذين يهرعون الى مصر كل شتاء ولنشر
الابحاث عن كنوز مصر وتدريب المصريين ليتولوا - بعد ذلك - ادارة
المتحف .

وأرفق برستد بالرسالة رسما وخرائط للمعهد . ومذكرة بتفصيلات
الشروط المصاحبة للمنحة . وبدونها لا تتم وهى :

- ١ - تؤلف لجنة دولية لها سلطة مطلقة - لادارة المتحف الجديد من
مديرى المتاحف الكبرى وهى متروبوليتان فى نيويورك ، والمتحف
البريطانى ، واللوفر الفرنسى .
ويرأس هذه اللجنة امريكى او بريطانى .
- ٢ - تتولى اللجنة ادارة المتحف المصرى خلال الاعوام الثلاثين حتى تعد
مصر جيلا من العلماء المصريين يتولى المسئولية .

- ٣ - تؤول لمصر ملكية المتحف والمعهد بعد ثلاثين عاما . .
- ٤ - لاتدخل اللجنة - بالضرورة - في اختصاصات المدير الفرنسى لمصلحة الآثار .
- ٥ - تبقى الآثار ملكا للحكومة المصرية .
- ٦ - تتولى اللجنة ادارة محتويات المتحف من الآثار الحالية والآثار التى تكتشف فى المستقبل .

ومن الواضح ان المشروع الامريكى لا يختلف كثيرا عن المشروع البريطانى القديم بالنسبة لتدويل الآثار التركية . . بوضع آثار مصر تحت ادارة امريكية - اوروية لا يشترك فيها مصرى واحد . .
باختصار تصبح كل آثار مصر وديعة فى يد اللجنة الدولية تتصرف فيها كيف تشاء دون رقابة مصرية .

وبين هذه الآثار كل مافى مقبرة توت عنخ آمون وهى خمسة آلاف قطعة منها الف قطعة معروضة بالمتحف المصرى والباقي بالمخازن لانه مكرر . .

وبعد ثلاثين عاما يمكن لمصر ان تعرف او لا تعرف مصير هذه الآثار .

اما ثمن المتحف والمعهد فهو مليوننا جنيه مصرى !
ولكن المشروع ارتبط بفكرة ذكية وهى اقامة المتحف المصرى الجديد مكان ثكنات قصر النيل .

وكانت هذه الثكنات ، او معسكرات الجيش البريطاني . في المكان الذي تشغله الآن الجامعة العربية ، وفندق هيلتون ، والمباني المجاورة التي تطل على النيل . . . وهي تمثل بالنسبة للمصريين جرحا داميا وعميقا فمن هذه المعسكرات والثكنات انطلقت القوات البريطانية تقمع كل مظاهرة وطنية وتطلق الرصاص على شعب مصر منذ الاحتلال وبالذات اثناء ثورة عام ١٩١٩ .

ولا يأمل المصريون في شيء مثل جلاء القوات البريطانية وإنسحابها ولا شك ان اقامة متحف لمصر القديمة مكانها يسعد شعب مصر !

* * *

ويبحث برستد الى اللورد اللنبى - يوم ٣ من فبراير - يطلب تأييده والاحتفاظ بالمشروع سرا لأن العلانية ستفسده !

* * *

رفض الانجليز على الفور اخلاء ثكنات قصر النيل لاسباب عسكرية ، وبالذات بعد اغتيال السردار واستقالة سعد . . ولم تكن الحكومة الامريكية طرفا في الموضوع وان تدخل مورتون هاول الوزير الامريكي المفوض في المفاوضات لصالح المتحف الجديد .

ولم يكن النفوذ الامريكي قويا بحيث ينصاع ويخضع له الانجليز ومن ناحية اخرى لم تكن ظروف مصر السياسية ، بعد الضجة التي اثيرت حول مقبرة الملك توت ، تسمح بالبت فورا في المشروع .

* * *

أحال الملك المشروع الى أحمد زيور باشا رئيس الوزراء .
وأحاله زيور باشا بدوره الى قلم قضايا الحكومة للتوفيق بينه وبين
القوانين المصرية والدستورية والادارية لأنه يضع آثار مصر في يد ادارة
دولية تفعل بها . . كما تشاء !

وكانت فرنسا طرفا في المشكلة بحكم الاتفاق الودى مع بريطانيا عام
١٩٠٤ وحق الفرنسيين في شغل منصب مدير عام مصلحة الآثار . . فقد
رأت فرنسا ان رجلها الفرنسى الذى يدير مصلحة الآثار سيصبح مديرا
بغير ادارة ، وبغير عمل ، وبغير صلاحيات على الاطلاق !

* * *

أخذ عبد الحميد بدوى باشا رئيس قلم قضايا الحكومة فى دراسة
المشروع .

كان بدوى باشا فى الرابعة والثلاثين من عمره درس القانون فى
فرنسا ، وتنقل فى وظائف النيابة ثم عمل مديرا للمكتب الفنى لعبد
الخالق ثروت باشا عندما كان وزيرا للعدل .

ورافق عدلى يكن باشا رئيس الوزراء الى لندن عام ١٩٢١ عندما
تفاوض مع الانجليز وكان بدوى باشا سكرتيرا لوفد المفاوضات .
واختير سكرتيرا عاما لمجلس الوزراء ثم مديرا لقلم قضايا
الحكومة .

ويقول الانجليز فى تقاريرهم ان بدوى باشا وطنى ولكنه لا يظهر العداء
للأجانب . ولا يستطيع مسئول الاستغناء عنه لأنه صاحب عقلية فذة
ولا بد من الاستعانة به فى كل مستند حكومى سياسى رسمى .

تفاوض بدوى باشا مع محامى المليونير الامريكى جون روكفلر ،
والاستاذ الأثرى جيمس برستد حول اللجنة الدولية لادارة المتحف .
وجد قلم القضايا ان شروط روكفلر تتعارض مع قانون انشاء مصلحة
الأثار المصرية ، وكل قوانين الأثار وانها تتأثر بقواعد وقوانين الهيئات فى
الولايات المتحدة نفسها .

رفض قلم القضايا استبعاد مصر من اللجنة الدولية لادارة المتحف
فوافق روكفلر وضم للجنة ايضا مدير متحف اللوفر الفرنسى . .
وأعيد تشكيل اللجنة فأصبحت تؤلف من ١٠ أعضاء على النحو
التالى :

- ١ - عضوان من مصر .
 - ٢ - عضوان من كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا لا تعيينهم
الحكومة المصرية بل تعيينهم هيئات علمية اجنبية .
 - ٣ - يختار الاعضاء الثمانية عضوا او اثنين أجنيين يمثلان دولة او
دولتين .
 - ٤ - تختص اللجنة وحدها بتعيين كل الموظفين الفنيين والاداريين .
 - ٥ - تشكل لجنة للابحاث الأثرية يرأسها الاستاذ جيمس برستد وله وحده
حق تعيين الموظفين التابعين له .
- رأت ادارة قضايا الحكومة انه لا بد من ادخال تعديل جديد على
المشروع : بان يعين وزير الاشغال رئيسا للجنة ويرجع اليه فى تعيين
الموظفين الفنيين والاداريين ، ونظرا لأن مدير عام مصلحة الأثار فرنسى
فيعين مصرى آخر فى اللجنة .

· وأدخلت تعديلات على المشروع ولكن الجوهر بقي ثابتاً وهو سحب كل اختصاصات الحكومة المصرية ووزارة الأشغال ومصلحة الآثار من الإشراف على شئون الآثار المصرية !!

* * *

استقال اللورد النبي المندوب السامي في مصر وجاء اللورد جورج لويد في ٢١ أكتوبر عام ١٩٢٥ وتعطل المشروع .

· قصد السفير الأمريكي في لندن الى وزارة الخارجية البريطانية والتقى بوزيرها في ٢٥ من يونيو ١٩٢٥ وسلمه رسالة من الحكومة الأمريكية تبدي فيها اهتمامها بمشروع المتحف وتطلب - له - التأييد البريطاني .

وكان يرافق السفير جيمس برستد الذي شرح المشروع . .
أبدى وزير خارجية بريطانيا استعداداً لتقديم كل المساعدة وإحال برستد الى موري رئيس القسم المصري بالخارجية البريطانية لمناقشة التفاصيل .

* * *

طلب برستد الضغط على مصر لقبول العرض .
رد موري :
- نحن متعاطفون مع رغبة علماء الآثار الأمريكيين والبريطانيين لانقاذ آثار مصر .
قال برستد :
- وماذا بعد التعاطف ؟

قال مورى :

- يجب ألا نظهر تعاطفنا امام المصريين حتى لا يقوم المواطنون بتشويه صورة العرض امام الشعب المصرى وتهمونكم بالارتباط باهداف السياسة البريطانية . .

وأضاف مورى :

- من الصعب ان يكون لنا دور فعال فى توصية الملك فؤاد وحكومة مصر بقبول عرض روكفلر . . الكريم !

وأضاف :

- لقد تعهدنا للفرنسيين عام ١٩٠٤ ان يسند منصب مدير عام الآثار الى عالم فرنسى .

ولم يقل مورى لبرستد إن بريطانيا لا يمكن ان توافق على تمثيل امريكى أو أجنبى فى اللجنة يزيد على عدد الممثلين البريطانيين .
ولكن مورى سجل رأيه فى مذكرة سرية لوزير خارجيته !

* * *

رأى برستد العقوبات توضع فى طريق اقامة المتحف مكان ثكنات قصر النيل فبدأ يبحث عن موقع آخر واستغرق ذلك وقتا طويلا . .
ورغم ذلك كله بقى المشروع سرا لا يعلم به احد عاما كاملا .
لم يعرف بالمشروع اسماعيل سرى باشا وزير الأشغال فان أحمد زبور باشا رأى ان تتم المفاوضات بينه مباشرة وبين روكفلر فى نيويورك ومحاميه فى القاهرة . . وقد اعلن زبور فيما بعد - انه كان المفاوض الوحيد مع روكفلر وبرستد ومحاميه !

وظل الشعب المصرى يجهل مايراد باثاره رغم ان الملك و المندوب
السامى البريطانى ووزير خارجية بريطانيا والدكتور جيمس برستد أستاذ
الأثار الأمريكى .. يعرفون !

ولكن كان لابد ان يتسرب النبأ لكثرة المراسلات التى تمت بين زيور
وإدارة قضايا الحكومة وروكفلر وسؤال برستد للخبراء عن موقع لمتحف
جديد على شاطئ النيل .

نشرت الصحف النبأ فى أوائل فبراير عام ١٩٢٦ وقالت ، على نحو
ماعرفت ، ان روكفلر تبرع لمصر بمبلغ عشرة ملايين دولار لبناء
متحف .

وكان النبأ - بهذه الطريقة - غير صحيح لأن روكفلر لم يتبرع بل كان
يريد وضع آثار مصر كلها تحت اشراف دولى مقابل ١٠ ملايين دولار .
ولذلك اسرع روكفلر ينفى النبأ ويقول ان المفاوضات جارية بينه وبين
الحكومة المصرية .

ووصل الى مصر الدكتور برستد وايفريت ميكى وريموند نوديك
الامريكيون ، ونشر ان الثلاثة يمثلون - بصفة مؤقتة - هيئة الأمناء على
المشروع .

وعقد برستد مؤتمرا صحفيا يوم ١٤ من فبراير بدأه بأكذوبة .
قال انه - سلم حديثا الى الملك فؤاد رسالة من روكفلر بشأن الهبة
ولم يقل برستد إن الملك تلقى هذه الرسالة قبل عام !

وأضاف عالم الآثار الأمريكى ان المنحة عشرة ملايين دولار وانها اكبر مبلغ يذهب للعلوم والابحاث الانسانية وسيقام أحدث متحف في العالم .

وعدد عيوب المتحف المصرى الذى لايمكن ان يحافظ على الآثار لصغر حجمه ونقص التهوية والاضاءة وقلة العاملين به .
وأعلن ان الهدف هو تدريب اجيال من علماء الآثار المصريين .
وأشاد بخبرة مدير عام مصلحة الآثار بيير لاکو وكفاءته . ولم يذكر في المؤتمر الصحفى ان الشروط التى رافقت المشروع تشمل تماما العالم لاکو !

ولم يذكر بيير لاکو شرطاً واحداً اقترن بالمشروع بل قال ان ترتيبات التنفيذ يجرى بحثها مع حكومة مصر .

* * *

توجه السفير الأمريكى في لندن الى وزارة الخارجية البريطانية يوم ٢٦ من مارس ١٩٢٦ يطلب تأييداً بريطانيا صريحاً لبرستد في مشروع المتحف .

أعذر الوزير البريطانى قائلاً :

- في ظل هذا المناخ السائد في مصر فان تأييداً بريطانيا سيزيد من شكوك المصريين في المشروع . .
وأضاف الوزير :

- ان اللورد جورج لويد المندوب السامى البريطانى يتعاطف مع الدكتور برستد . وهو على اتصال مستمر به ويستطيع الاعتماد عليه .
لكن برستد كان يريد مساندة بريطانية أكبر .

عرض زيور باشا المشروع على مجلس الوزراء الذى رأى ضرورة ادخال تعديلات عليه وهى :

١ - أن تعين الحكومة المصرية أعضاء اللجنة الدولية وكذلك نائب رئيس اللجنة .

٢ - ضرورة موافقة الهيئة المصرية المختصة - أى مصلحة الآثار - على نظم تعيين الموظفين .

٣ - تعطى الأولوية للمصريين فى التعيين فى المتحف ومعهد الابحاث .

٤ - أن يوافق البرلمان المصرى على المشروع .

وتوجه برستد لمقابلة زيور باشا ورئيس إدارة قضايا الحكومة يستفسر عما تم . . وعرف برستد بما جرى فى مجلس الوزراء ومداولاته وأدرك ان حكومة مصر لاتجرؤ على التفريط فى ١٢٠ الف قطعة من الآثار بينها مائة الف قطعة معروضة فى المتحف المصرى وعشرون ألفا بالمخازن . . كل ذلك مقابل عشرة ملايين دولار .

رأى أحمد زيور باشا رئيس وزراء مصر أن المشروع يتعارض مع المسئولية الدستورية للوزارة فأدخل عليه بالاتفاق مع ادارة قضايا الحكومة عدة تعديلات سلمها الى جورج ميرزباخ بك محامى روكفلر وطلب عرضها عليه وعلى الوسطاء فى نيويورك فوافقوا عليها ،

وسلمها برستد الى رئيس الوزراء يوم اول ابريل فوافق عليها أحمد زيور باشا ووعد بعرضها على مجلس الوزراء .

وقال زيور باشا :

- أعدك بأنى سأوصى مجلس الوزراء بالموافقة على المشروع .

رأى برستد أن يلجأ الى سلاح أخير وهو التهديد .
كتب يوم ٨ من ابريل الى زيور باشا يقول :
« لم يتصل بى انكم أوصيتم مجلس الوزراء بالموافقة على العقد الجديد او ان الحكومة المصرية قبلته ووقعته .
واستنتج من هذا ، ومن الاحاديث التى جرت لى مع دولتكم ،
ومع رئيس قلم القضايا ان الحكومة المصرية لاتستطيع ان تجد سبيلا لقبول هبة مستر روكفلر .
وسأسافر اليوم الى نيويورك وسأعرض على مستر روكفلر ماهو ظاهر من عدم استطاعة الحكومة المصرية قبول هبته » .

* * *

انتظر روكفلر ثلاثة اسابيع ولكن زيور باشا التزم الصمت التام فكتب اليه الأمانة يوم ٢٧ من ابريل يقولون :

« لقد اعتقدنا اننا ازلنا جميع العراقيل التى تعترض الموافقة على المشروع نظرا الى الى كتاب دولتكم الذى قلتم فيه اننا اذا قبلنا المشروع المعدل فان دولتكم توصون مجلس الوزراء بالموافقة عليه .
وعلى ذلك كتب اليكم الدكتور برستد بالنيابة عنا عند سفره من مصر فى ٨ من ابريل والأسف ملء فؤاده ، يقول انه لم يتلق خبرا بأن دولتكم أشرت على مجلس الوزراء بقبول المشروع المعدل او خبرا بقبوله فانه يستنتج من هذا ان الحكومة المصرية لم تجد فى وسعها قبول هبة المستر روكفلر .

وقد قال الدكتور برستد فى ختام ذلك الخطاب :
« انى سأسافر الى نيويورك اعرض على المستر روكفلر عدم قدرة
الحكومة المصرية ، على قبول هذه الهبة . .
ولكنكم لم تردوا على خطاب برستد الذى سلم اليكم قبل شهر » .

* * *

كتب روكفلر الى الملك فؤاد فى ٢٧ من ابريل ١٩٢٦ بعد ١٥ شهراً
من تقديم العرض يقول :

«ياصاحب الجلالة :

عملاً برغبة جلالتيكم جرى البحث مع صاحب الدولة رئيس الوزراء
واصحاب المعالى الوزراء فى مشروع انشاء متحف جديد ومعهد لدراسة
العاديات فى القاهرة .

وقد اتخذت التدابير اللازمة لتنفيذ هذا المشروع كما اقترحت
الحكومة المصرية بحيث تطابق حاجات العلم ، وىروح حسن النية
الصادقة نحو الشعب المصرى فى وقت تلقى فيه على عاتق الحكومة
المصرية تبعات جديدة ثقيلة من الوجهة السياسية والعلمية .

ولولقيت الخطط التى اقترحت خطوة فى عين حكومة جلالتيكم لكان
من بواغث اغتباطى العظيم تحقيقها من الوجهة المالية .

ولكن من بواعث أسفى الشديد انه ظهر انه يستحيل وضع تدابير يمكن قبولها وتكفل نجاح المشروع مع ان التغييرات التى طلب مندوبو جلالتكم احداثها فى صيغة الاتفاق الاساسى - وهى التغييرات التى كتب دولة رئيس الوزراء يقول انه سيوصى بقبول الهبة على قاعدتها - قبلت وسلم بها .

ففى هذه الاحوال ، ولكى لاتقع الحكومة المصرية فى ارتباك اعلن الآن سحب الاقتراح الذى كنت قد تشرفت بعرضه على جلالتكم والحكومة المصرية . . مع أسفى على عدم بلوغ الغاية المنشودة .
وأعلن روكفلر فى الصحف سحب المشروع ونشر الرسائل التى بعث بها بريستد والأمناء الى زيور نص كتاب روكفلر الى جلالة ملك مصر .
ولكن روكفلر لم يجرؤ على ان يذكر الشروط . .

هاجمت بعض الصحف المصرية حكومة زيور لانها مسئولة عن سحب العرض السخى . واضطر مجلس الوزراء لاذاعة بيان يرد فيه على روكفلر والأمناء .

ولكن مجلس الوزراء - بدوره - لم يذكر ابدا الشروط الكاملة التى ارتبطت بالمنحة والهبة والمتحف والمعهد الجديد . .

ولم يعرف شعب مصر ابدا ان مجلس الوزراء لم يستطع ان يسلم آثار مصر كاملة للامريكيين او للجنة دولية لأن شعب مصر بدأ يحرص على آثاره بعد اكتشاف كنز الفراعنة الجديد . ان احمد زيور باشا رغم استسلامه السياسى للإنجليز لم يستسلم لهم أو للامريكيين فى شئون

الآثار !

وهكذا ضاعت على روكفلر وبرستد بعد . . « كارتير » آثار الملك
توت عنخ آمون .

ولا يجد بريستد ما يفعله إلا ان يصدر كتيباً مصوراً يبين فيه تكدر
المتحف المصرى بالآثار وروسومات المتحف الجديد ليبين الفرص التى
ضاعت على مصر . . او بعبارة أدق ضاعت على روكفلر !!!

تمثال نفرتيتى

وجد لص الآثار الالمانى ريتشارد ليسيبوس - عام ١٨٤٢ -
قطعة من الآثار تشير الى ملكة مصرية فى مدينة العمارنة . ولكن ليسيبوس
لم يستطع معرفة شىء عن هذه الملكة فقد حاول ملوك وملكات مصر محو
اسمها تماما كما فعلوا مع توت عنخ آمون .
وبقيت هذه الملكة الجميلة المجهولة اسطورة نحو نصف قرن حتى
عرف أنها نفرتيتى زوجة امنحتب الرابع « اخناتون » .
اختلفت أقوال علماء الآثار عنها .. وتعددت آراؤهم .
قالوا انها :
ابنة أحد الكهنة
ابنة أحد الامراء الآسيويين من سوريا أو ارض كنعان - وعددهم
١٢٧ - الذين جاء بهم امنحتب الثانى الى مصر مقيدين بالسلاسل .
جارية نالت حريتها لجمالها .
وفى رأى الدكتور ثروت عكاشة فى كتابه « الفن المصرى » أنها
محظية امنحتب الثالث .
أما دائرة المعارف البريطانية فقالت انها من ابوين مجهولين .
ولكن الصحفى الالمانى فيليب فاندنبرج قدم فى كتابه « نفرتيتى »
الصادر عام ١٩٧٥ رواية اخرى مختلفة تماما .

قال ان اسمها الحقيقي تادوخيا وهى ابنة توشرات ملك ميتانى فى
آسيا .

كانت جميلة تفيض بالشباب والحيوية ، وعلو الصدر ، وامتشاق
القوام .

وصفها اخناتون فقال انها « مليحة المحيا ، بهيجة بتاجها ذى
الريشتين ، سيدة السعادة ، المتفضلة ، تلك التى اذا سمعها الانسان
طرب ، سيدة الرشاقة ، ذات الحب العظيم ، تلك التى يسر طبعها
رب الارضين » .

قايضها أبوها أو باعها - وعمرها ١٥ سنة - بالذهب ، لفرعون
مصر امنحتب الثالث - والد اخناتون - وكان فى الخمسين من عمره
وصحته متدهورة .

دام زواجهما عامين توفى بعدهما الملك .
وجرت العادة فى مصر القديمة ان يتغير اسم الاميرات الأسىويات
فأصبح اسمها نفرتيتى أو « الجميلة القادمة » أو « الجميلة التى
ستجىء » أو « الجميلة أقبلت » .

فى ديسمبر عام ١٩٦٦ قام الدكتور جيمس هاريس من جامعة
ميتشيجان الأمريكية ، وكنت ويكس استاذ علم المصرىات بفحص
مومياوات ٢٠ فرعوناً و٧ ملكات بالأشعة فى المتحف المصرى لمعرفة
سر الوفاة .

وجد العالمان ان امحتب الثالث فقد كل اسنانه وكان مريضاً
للمغاية ، وقدّر عمره بين الخمسين والخامسة والخمسين .

* * *

أصبحت نفرتيى - طبقاً لرواية فاندنبرج - أرملة فى السابعة عشرة
من عمرها تزوجها امحتب الرابع - اخناتون - فى السنة الاولى لحكمة
وكانت فى الثامنة عشرة .

بعث والدها ملك ميتانى الى الفرعون الجديد بالدوطة ، أو
المهر ، وكان يضم ٣٠٠ خادماً وممرضتين ، وممرضتين ، و ٣٠
وصيفة ، و ٣٠ خادماً ، و ٣٠٠ غلام .

وكانت لها خادمة تظل مستيقظة طوال الليل حتى تفتح الملكة
الجميلة ذات الوجه الشاحب عينيها فتسرع بازاحة الستار ليدخل ضوء
الشمس من النوافذ .

* * *

كانت نفرتيى شديدة الاخلاص لزوجها تشاركة معتقداته وتعرف
شخصيته أكثر من غيرها . . وتنشد بحماس ترتيباته المفضلة :
« آتون المتألق الصافى القوى . ان حبك قوى وشامل » .
تنفر من اية تصرفات تنم عن التزلف والمداهنة وتعتبر نفسها ابنة
الشعب وتود أن تبقى كذلك !

« وكانت موضع حب وتقدير كبيرين من جانب زوجها وظلت دائماً
بمثابة الضوء فى حياته

وكان لها تأثيرها الكبير عليه حتى اتهمه الكهان بالوقوع تحت
سلطانها .

تعمقت في الفلك والعلوم ، وملك قلب زوجها ، واستولت على
لبه ، وساعدته في نشر مذهبه ، فكانت بمثابة القوة المحركة والدعامة
القوية له .

لم يتقيد أخناتون ونفرتيتي بالرسميات أمام الشعب ، فقد سمحا
لنفسهما بأن يرصما في مواقف تسودها الصراحة التامة
كانا يستقبلان رجال البلاط وهما لا يلبسان الا القليل من
الملابس ، « ويمصمان » العظام أثناء تناول الطعام ،
ويحتضنان ، أو يقبلان بعضهما ، سواء في القصر أو في العراء ، أو
يداعب الملك احدي بناته وهي تجلس على ركبتيه . . على كرسي
العرش !

وكان الزوجان يسيران في الريف ، أو يتسلقان تلالا ، وتصغى
لكلماته وهو يعبر عما يدور في عقله من أفكار عن الآله الشمس . وتعتبر
نفسها أسعد نساء الأرض .

* * *

ولكن ساءت العلاقات بين أخناتون وزوجته في السنوات الاربع
الاخيرة من حياة اخناتون . وعاشت نفرتيتي في عزلة بعد أن قام سمنخ
كارع - ابن اخناتون - بمهمة الوصاية على العرش في حياة أبيه .
وبعد وفاة اخناتون استمرت عزلة الملكة الارملة .

ولكن علماء آثار كثيرين قالوا أن نفرتيتى نفسها - وليست ابنتها
 عنخسن آمون - هى التى ارسلت الى ملك الحيثيين تطلب منه ان يوفد
 أحد ابناؤه ليتزوجها فقد أرادت نفرتيتى ان تحكم مصر بعد وفاة زوجها .
 ولكن حورمحب قتل الامير القادم من بلاد خيتا .
 وماتت نفرتيتى فى سن السابعة والثلاثين بعد أن انجبت ٦ بنات
 عاشت ثلاث منهن .
 ويقول الدكتور ثروت عكاشة ان علماء الباثولوجيا يشكون فى ان
 اخناتون هو أب الاميرات الست !
 أما فاندنبرج فينسب ثلاث منهن الى اخناتون .
 دفنت نفرتيتى قرب قبر زوجها . ومقبرتها غنية بالرسوم والنقوش ،
 التى تغنى بمحاسنها ومديحها . . . :

» وارثة كل البركات ، والمحبوبة التى تملك كل الحسن . ملكة
 الشمال والجنوب ذات الطلعة المتألقة بجمالها وجواهرها ، المحبوبة
 من آتون ، نبع الحب ، وزوجة الملك الاثيرة نفرتيتى الخالدة الى
 الابد « .



رأى الالمان الاستمرار فى التنقيب فى تل العمارنة بعد ان عرف كل
 شىء عن نفرتيتى .
 تقدم لودفيج بورشارد المهندس الالمانى الى مصلحة الآثار يطلب
 ترخيصا بالتنقيب فى تل العمارنة باسم معهد الآثار الالمانى .

ولودفيج بورشارد ولد في برلين وحصل على أكثر من درجة دكتوراة
فخرية ، درس علم المصريات في ألمانيا واشترك في عمل كتالوج
وقاموس بالألمانية والهيروغليفية للمتحف المصري .
نقل للسلك الدبلوماسي ملحقا علميا للقنصلية الألمانية في
القاهرة . واشترك في تأسيس معهد الآثار الألمانية بالقاهرة عام ١٩٠٧
وظل مديرا له ٢١ عاما .
اكتشف معبد الشمس في أبو غراب وهرم أبو صير . ودرس الفن
المعماري المصري القديم وهرب آثارا كثيرة من مصر قدمها لمتحف
برلين .

ومات بورشارد في باريس عام ١٩٣٨ فنقل جثمانه الى القاهرة ودفن
فيها .
ولكننا نتوقف عند عام ١٩١٢ - لنجد بورشارد يقسم تل العمارنة الى
قطاعات مساحة كل منها ٦٠٠ قدم مربعة ولكل قطاع حرف ورقم .
ويتكرر تماما ما حدث في مقبرة توت عنخ آمون .

في الساعة الواحدة من بعد ظهر يوم ٦ من ديسمبر ١٩١٢ أسرع عامل
اسمه « محمد » الى بورشارد يحمل رسالة من هيرمان رانكي الذي
يشرف على الحفر في القطاع رقم « ٤٧ ب » .
قالت الرسالة :
« تعال .. تمثال نصفى ملون » .

أسرع بورشارد ليجد رأس التمثال في الرمال ، ووجهه الى الحائط .
أخرج التمثال بيديه فوجده من المصيص الملون للملكة الجميلة
ولكن انسان العين اليسرى كان ناقصا أو ضائعا . . او انه سقط !
رأى بورشارد ان يعيد تفتيش الرديم الذى كان فوق التمثال والذى
بلغ ارتفاعه ٣٠ قدما مكعبا وضع على سيارتى لورى ولكن لم يجد رسم
إنسان العين ابدا .

وثار سؤال :

- ربما تكون نفرتيتى قد فقدت عينها اليسرى
ولكن تبين من تماثيل وصور كثيرة ان نفرتيتى احتفظت بعينيها
الجميلتين حتى ماتت .
قال بورشارد : « الأرجح ان الفنان تحتسب الذى وجد التمثال في
معمله كان متيما بنفرتيتى فلما هجرته رفض اتمام التمثال ، ربما ليمحو
الفكرة الشائعة عن جمال الملكة .

وهناك دليل على غضب الفنان . .
وجد تمثال نصفى آخر لا خناتون وقد تهشم الى قطع صغيرة يبدو أن
تحتسب قد القاه على الارض عمدا .
ويتدخل القدر بصورة غريبة لحفظ تمثال نفرتيتى .
كان التمثال موضوعا على رف خشبى فلما تأكل مع الزمن سقط
التمثال على أكوام من الرمال زحفت الى المعمل لتلقى التمثال وتحفظه
سليما .

أخذ بورشارد يعد تقارير عن روعة التمثال وبعد ان كتب عدة صفحات مزقها واكتفى بأن يقول : « لا فائدة من الوصف . لابد من المشاهدة » .

تقدمت البعثة في ٢٠ من يناير ١٩١٣ تطلب نصف الآثار . وحددت نصيبها .

وكتب بورشارد الى جاستون ماسبيرو مدير مصلحة الآثار يقول ان ما وجدته البعثة لا يستحق التقسيم لانه مجرد قطع مكسورة يريد خبراء المصريات الالمان دراستها في برلين .

رأى ماسبيرو ان الامر لا يستحق انتقاله شخصا الى العمارة فأوفد أحد مساعديه الذى لم يهتم بفحص الآثار ولم يجد في القوائم التى أعدها بورشارد ما يستحق التفتيش والمراجعة والفحص بل وافق على تصديرها لالمانيا واحتفظ للمصلحة ببعض القطع المكسورة للدراسة فيما بعد .

وهكذا خرجت من العمارة ٥ صناديق كان من بينها تمثال « المصيص الملون » كما سماه بورشارد بعد ذلك .
ويبدو أنه أخفيت معالم التمثال بالطين .
وربما تكون قد تمت رشوة بعض موظفى الآثار من الاجانب لتصديره خلسة .

او لعل الفرنسيين امتنعوا عن التعنت مع الالمان بسبب التوتر القائم بين البلدين والذى ادى الى قيام الحرب بينهما بعد عام .

ايا ما يكون احد هذه الاسباب أو كلها مجتمعة فان تمثال
« المصيص الملون » أخذ من مصر وارسل الى المانيا عام ١٩١٣ .

* * *

اقامت البعثة الالمانية فى العام نفسه معرضا فى برلين لعرض ما
اكتشفته من اثار العمارة .

ولكن تمثال المصيص لم يعرض . واكتفت البعثة بالاشارة اليه
باقتضاب فى دليل المعرض ونشرت صورة له لا تظهر ايا من عناصر
الجمال فيه .

وتكرر الحذر فى التقرير الذى اصدرته ، فى العام نفسه ،
« الجمعية الالمانية للدراسات الشرقية » عن الاثار التى تم العثور
عليها .

صور وجه التمثال فقط ويحجم صغير . ولم تظهر صورة التاج الذى
يعلو التمثال والذى كان من شأنه تحديد شخصية صاحبه .

وظهر التمثال فى برلين عام ١٩٢٠ دون أن تعرف مصر .

ولم يكشف بورشارد النقاب عن الشخصية الحقيقية للتمثال الا بعد
عشرة اعوام فى عام ١٩٢٣ فى ليبزج عندما نشر صورا ملونة متقنة واعلن أنه
ليس تمثالا من المصيص لاحدى الاميرات كما سبق ان ذكر عام
١٩١٣ . بل قال صراحة :

- هذا تمثال مصنوع من الحجر الجيرى وهو خاص بزوجة اخناتون . .
الملكة نفرтитى !

ثارت ضجة كبيرة في جميع الدوائر العلمية والاثريّة في مصر ووضحت الجريمة المدبرة التي ارتكبتها البعثة الألمانية فلم تكن المسألة خطأ بسيطاً بل كانت أخطاء متعمداً للشخصية الحقيقية لنفرتيتي .



وكان اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون في نوفمبر ١٩٢٢ ثم عرض الألمان تمثال نفرتيتي على الناس عام ١٩٢٣ . فان الألمان وجدوا ان تمثال « حماة » الملك يمكن أن يمثل قوة جذب للسلاح ، وتحقيقاً للتوازن بين قدرة وكفاءة علماء الآثار الانجليز والألمان !

أخذت مصر تطالب بعودة نفرتيتي بعد أن حلت مشكلة آثار الملك توت .

وزادت الضغوط المصرية على ألمانيا والوزير الألماني المفوض في القاهرة في وزارة عبد الخالق ثروت باشا عندما كان سعد زغلول يرأس مجلس النواب .

وكانت مصر ترى أن الحل الوحيد هو التحكيم بينها وبين ألمانيا . كتب نيفيل هندرسون القائم بأعمال المندوب السامي البريطاني في مصر إلى حكومته في ٢٦ من يونيو ١٩٢٧ يقول :

« سمحت الحكومة المصرية بنقل التمثال إلى ألمانيا وفقاً للعرف السائد في ذلك الوقت والذي يقضي بتقسيم الآثار التي يعثر عليها بين الحكومة المصرية والمكتشفين » .

وقال :

« ليس هناك اعتراض او خلاف حول البيان الرسمي الذى صدر بشأن اقتسام القطع بالحكومة المصرية اعترفت بأن الرأس يخص المانيا من الناحية القانونية .

ولكن مصر تسعى الان لاستعادتها بحجة ان مثل هذا الاثر الذى يرجع تاريخه الى مصر القديمة لا مثيل له ويجب أن يبقى فى مصر وتتم جميع هذه الضغوط بشكل غير رسمى .

ويدرك الوزير الالمانى المفوض فى مصر أن الامر سيطرح رسميا فى اسرع وقت ممكن

وسينصح حكومته بعدم الاستجابة لهذا الطلب أو قبول اقتراح التحكيم الا بعد معرفة الاراء الرسمية لكل من باريس ولندن وروما على الاقل .

ويشعر الوزير الالمانى فون شتوهور بأن هذا بالون اختبار أو تجربة اختبار جديدة . فاذا وافقت الحكومة الالمانية على هذا الامر فسيصبح باستطاعة الحكومة المصرية حينئذ المطالبة باستعادة قطع أخرى لا مثيل لها توجد حاليا بالمتحف البريطانى ومتحف اللوفر فى فرنسا .

* * *

ومن هذه البرقية يتضح أن المطالبة برأس نفرتيتى خطوة للمطالبة باستعادة الآثار المصرية المسروقة فى فرنسا وانجلترا وايطاليا . . وأن المانيا تستعدى الدول الثلاث وتطلب تضامنها لمنع عودة نفرتيتى ، حتى لا تعود الى مصر باقى آثارها .

وببدأ المتحف البريطاني يتدخل في المشكلة مؤيدا للالمان .
قال فردريك كينيون مدير المتحف في رسالة الى وزير الخارجية
البريطانية بتاريخ ١٩ من يوليو ١٩٢٧ انه ليس من حق مصر التراجع عن
اتفاقها مع الالمان بتقسيم الآثار .

وأضاف :
« هذا التخصيص يمكن ان نعزوه الى وجود قدر كبير من المحاباة
فضلا عن قلة الخبرة وانتشار الفساد بين بعض موظفي الحكومة
المصرية . وهذا أمر خاص بهم وعليهم أن يتحملوا نتائجه .
والتبرير الوحيد الذي يقبله عقلى أنه يمكن المطالبة باستعادة التمثال
اذا كان الالمان قد لجأوا الى ممارسة نوع من الغش والخداع . بمعنى أن
الرأس كان ملطخا بالطين ومر في الجمارك على أنه قطعة أثرية محدودة
القيمة ولكنى لا اعرف شخصا موثوقا فيه يمكن ان يثبت لى صدق هذه
الرواية .
وأعتقد أن القول بأن مصر يجب أن تستعيد هذه القطعة لانها غيرت
رأيها وتراجعت هو قول يتعذر الدفاع عنه ولا ينبغي تأييده »

ونشرت الصحف الالمانية أن الحكومة الالمانية وافقت على قبول مبدأ
التحكيم في قضية ملكية رأس الملكة نفرتيتى . وأن مصريا سيرأس لجنة
التحكيم .

روعت وزارة الخارجية البريطانية وكتب وكيلها رونالد لندساي الى
السفير البريطانى فى برلين فى ٢٨ من ديسمبر ١٩٢٧
« يمكن أن تؤدى اثاره هذه المسألة من جديد الى سابقة غير مرغوبة
ولا مثيل لها » .

مات سعد زغلول في ٢٧ من أغسطس ١٩٢٧ ولكن حركة المطالبة برأس نفرتيتي لم تمت . واستمرت مصر تطلب التحكيم . ويستمر التدخل البريطاني ، فان مخاوف الحكومة البريطانية لم تهدأ . . أبدا .

* * *

بدأت قضية نفرتيتي تصبح مجال نقاش ، وجدل ، في الصحافة الألمانية فأوعزت الحكومة الألمانية الى الدكتور ديتريش أحد النواب باثارة الموضوع في لجنة الميزانية بالرايستسخ - مجلس النواب الألماني - سأل وزير الخارجية عما اذا كانت المانيا تخضع لأى التزام باعادة التمثال الى مصر أو أن حكومة الرايخ قبلت مبدأ التحكيم . رد وزير الخارجية قائلا :

- ان الحكومة رفضت التحكيم .

وقال الدكتور شوفر مدير متحف برلين للسفارة البريطانية ان التحكيم فكرة غير معقولة وقبولها من شأنه أن يعرض للخطر كل المجموعات المصرية والشرقية الاخرى في العالم .

* * *

زاد الضغط على المانيا فأوقفت مصر عمل جميع بعثات التنقيب الألمانية .

ونشرت الصحف الألمانية انه ستجتمع لجنة من علماء المصريين في برلين ، بحضور مندوب عن الحكومة المصرية لحسم الأمر فان مصر لم تكتشف اثرا أعظم من التمثال النصفى للملكة نفرتيتي .

وقالت الصحف البريطانية « حدث انزعاج بالغ في برلين عندما عرف ان الحكومة المصرية ستطالب بالرأس .
وقال مسئول بإحدى الوزارات انه لن يتزوج مطلقا لانه وقع في غرامها » .

كتب جون موري رئيس القسم المصرى بوزارة الخارجية البريطانية الى مدير المتحف البريطانى فى لندن يوم ٢٠ من يناير ١٩٢٨ معلنا موقف الحكومة البريطانية الحقيقى من الازمة :

« ان الاعتراف بإمكانية التحكيم يهدد استقرار جميع المقتنيات المصرية وغيرها من المقتنيات الشرقية فى العالم »
وقال الدكتور شوfer لممثلى السفارة البريطانية فى برلين انه يشك فى وجود مؤامرة محلية لاعادة التمثال ..

ومعنى هذه الكلمات أن المعارضة فى المانيا تحاول احراج الحكومة باعادة التمثال أو التهديد باعادته !
رأت مصر اغراء الالمان ..

عرضت استئناف عمليات الحفر والتنقيب فى مصر ومبادلة نفرتيتى بقطعتين كانتا موضع اعجاب كل زوار المتحف المصرى وهما تمثال رانوفر الشهير بالحجم الطبيعى من عهد بناء الاهرام ، وتمثال امينوفيس الجالس بالحجم الطبيعى الذى يرجع الى ١٠٠٠ سنة قبل الميلاد تقريبا .

ولكن الالمان طلبوا قطعة أو قطعا أثرية ليست ذات قيمة فنية أثرية مماثلة فحسب وانما ذات شهرة عالمية مماثلة ايضا .

واعلنت سلطات متحف برلين أنه اذا تمت المبادلة ، فانهم ،
حتى بدون رأس نفرتيتى . ، سيظلون يملكون أروع مجموعة في اوربا
من آثار تل العمارة القديمة .

وبعثت السفارة البريطانية في برلين الى لندن يوم ١١ من ابريل ١٩٣٠
تقول :

« إن سلطات متحف برلين تتأهب لاعادة التمثال النصفى أو بالاحرى
لمبادلتة مع قطع أثرية مصرية أخرى . وأن الأمر - على هذا النحو -
وصل إلى درجة أن الدعاية المؤيدة للصفقة بدأت بشكل ملحوظ »
ونشرت صحيفة برلينرتاجييلات مقالا يستعرض النزاع بين القاهرة
وسلطات متحف برلين ، باستفاضة كبيرة .

قالت الصحيفة إن المشكلة بدأت بعد أن أصبح لاکو مديرا عاما
لمصلحة الآثار . ففي محاولته الفاشلة لاستعادة التمثال النصفى قرر
لاکو أن يمارس ضغطا على برلين .

ووصولاً إلى هذه الغاية بذل مساعيه لوقف المزيد من عمليات
التنقيب التى تقوم بها سلطات برلين .

وبعد فشله فى تحقيق أى شىء جدد لاکو مفاوضاته مع برلين فى أكتوبر
الماضى ، بالاشتراك مع الوزير البروسى للتعليم والدكتور شوفر مدير
المتحف المصرى فى برلين بشكل مباشر .

واقترح لاکو السماح لبرلين باختيار أى أثر من متحف القاهرة عوضا
عن التمثال النصفى للملكة ، الذى تشتهيه .

فأقترح الوزير تمثال أمنتب ابن حابو الذى اكتشف فى سقارة .
والذى يعد - فى رأيه - تحفة فريدة بين أعمال الفن القديم .
واستطردت الصحيفة قائلة أن الدكتور جيمس سيمون - الذى مول
أعمال التنقيب فى تل العمارنة والذى أصبح له بهذا الشكل بعض الحق
فى أن يستشار ايد وجهة نظر الوزير بالاضافة - من باب أولى - إلى تمثال
امينوفيس الذى عرضه لأكو .

ووفقا لما ذكرته الصحيفة فأن الأطراف توصلت الى اتفاق من حيث
المبدأ .

وقال السفير البريطانى فى برلين السير هوارس رامبولد :
« لا يمكن نفى إمكان اقتراف الالمان لمثل هذا الخطأ الاثرى
الفاحش ، بتبادل التمثال النصفى للمملكة مقابل بعض قطع المتحف .
وقد يكون من قبيل التزامن المحض وصول وزير مصرى جديد هنا
مؤخرا أعقبته مفاوضات ناجحة .

ومن الصعب التكهن بأى شكل من أشكال الضغط أو المغريات
الأخرى ، التى تكمن وراء تجديد حق التنقيب ، التى كان بمقدوره
تقديمها . وقد توصلت تحقيقات غير رسمية فى وزارة الخارجية إلى أن
قبول هذه المفاوضات أصبح وشيكا

* * *

قررت مصر تعويض أسرة اللورد كارنارفون وظنت الحكومة أن ذلك
يجعل متحف برلين أكثر مرونة .

وزار الملك فؤاد برلين في اواخر عام ١٩٢٩ اثناء محادثاته أشار إلى تمثال نفرتيتى فوعده الالمان خيرا ولكن الوعد لم ينفذ .

جاء هتلر إلى الحكم مستشارا لالمانيا
فطلب حسن نشأت باشا وزير مصر المفوض من صديقه هيرمان
جورننج وزير الطيران إعادة تمثال نفرتيتى .

وقال حسن يوسف الذى كان سكرتير للمفوضية المصرية في
برلين إن الحكومة الألمانية وافقت في مارس ١٩٣٤ على إعادة التمثال
مقابل بعض التسهيلات لأعضاء البعثة الألمانية لاستئناف عملها في
التنقيب عن الآثار المصرية .

وأرسل نشأت باشا برقية تهنئة إلى الملك فؤاد . . ثم ارسل برقية إلى
وزارة الخارجية المصرية . . لاتخاذ الاجراء اللازم لاستقبال
التمثال . . وتصادف وجود البارون « ابرهارد فون شتوهور » وزير
المانيا المفوض لدى الحكومة في برلين في تلك الفترة وعندما علم بموافقة
حكومته على هذا السعى ابدى لنشأت باشا عظيم اغتباطه بهذا القرار .

وعندما اعتلى هتلر السلطة المطلقة أكد أن التمثال لن يعود
إلى مصر لأنه - على حد قوله - يهيم به عشقا.
وروى محمد عوض القونى الملحق بالسفارة المصرية في برلين ،
ووزير السياحة المصرى فيما بعد ، أن هتلر قال :

ملاح نفرتيتى آرية .

ورفض هتلر اعادة التمثال إلى القاهرة .

وقامت الحرب فحرص القسم المصرى فى متحف برلين على وضع كنوزه فى مكان أمين بعيدا عن القنابل والغازات . . ونقل تمثال نفرتيتى إلى منجم فحم فى ٢٨ من مارس ١٩٤٥ ، حتى وجده الجيش الأمريكى الثالث فى الشهر التالى - ابريل ١٩٤٥ - فى صندوق خشبى كتب عليه « تمثال الملكة متعددة الألوان » وذلك ضمن محتويات ١٥ متحفا ألمانيا كانت مخزونة .

وظهر التمثال بعد ذلك فى متحف « دالم » ثم نقل إلى متحف « شارلوتنبرج » .

وعادت مصر تطالب بنفرتيتى من المجلس الحاكم فى المانيا والذى يضم ممثلين عن جيوش أربع دول هى الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى وبريطانيا وفرنسا . .

كتبت المفوضية المصرية فى براغ الى المجلس الحاكم فى ١٤ من ابريل ١٩٤٦ :

« ظهر التمثال النصفى للملكة نفرتيتى من جديده فى المانيا قرب فيسبادن فى المنطقة التى تحتلها الولايات المتحدة . .

وتقوم السلطات العسكريه الأمريكيه بحراسته فى الوقت الحالى .

وتعاطف العالم أجمع مع الجهود التى بذلتها مصر لاستعادة هذا التمثال الذى حاز إعجاب العالم والذى يعد أحد روائع الفن المصرى القديم .

وقد ظل هذا التمثال المصرى الهام فى المانيا عندما دخلتها قوات الحلفاء . رغم أنه يعد كنزا مسروقا من مصر ولا يستطيع أحدا انكار حقها فيه .

ويظهر الموقف الذى إتخذه رئيس البعثة - دون أى إحتمال للشك - الرغبة فى إخفاء الشخصية الحقيقية لصاحبة التمثال إلى الوقت الذى يمكن فيه الكشف عنها دون مشاكل كثيرة .

ولم تكن مصر لتسمح قط بالتخلي عن قطعة أثرية هامة من هذا القبيل ليس لها نظير فى المجموعات التى يكتنيتها متحف القاهرة . ورغم كل ما بذلته مصر من جهود كانت تصطدم دائما بفرض الحكومة الالمانية خاصة وأن الحكومة المصرية ليست لديها وسيلة للحصول على حقها .

والان لم يعد لهتلر وجود ولم تعد إرادته قانونا كما كان الأمر من قبل .

ولم يعد هناك مايعوق وضع حد لهذا النهب القائم على الخداع الذى تم إقراره بالقوة .

وأصبح من الواجب الآن أن تعود هذه القطعة الأثرية إلى مصر التى لم تتخل عنها وإلى أنسب مكان يمكن أن توضع فيه وهو المتحف المصرى حيث يعكف الباحثون على دراسته مثل باقى القطع الهامة التى تنتمى إلى العصر نفسه والموجودة هناك .

ومن شأن إعادة التمثال رفع الظلم الذى وقع على مصر وسيكون لذلك معنى إخلاقي عظيم بالنسبة للجميع وسيلقى ترحيبا فى عالم الفن والادب وكذلك لدى رأى العام وجميع دول العالم .

ولاشك حكومة مصر أيضا أن المجلس الحاكم فى المانيا سيكون

كرهما بما فيه الكفاية وسيقوم باتخاذ الاجراءات التي يراها ضرورية لاعادة هذا التمثال إلى مندوب الحكومة المصرية الذى سيصل بدون تأخير » ولكن مجلس الحلفاء - الذى يمثل السلطة العليا فى المانيا - اعتذر عن إعادة التمثال قائلا فى رده على مصر يوم ٨ مارس عام ١٩٤٧ .

» إن المجلس يبحث إستعادة الأعمال الفنية التى إغتصبها الالمان أثناء الحرب الأخيرة طبقا لاعلان الأمم المتحدة الصادر فى ٥ من يناير ١٩٤٣ وكأوصياء على أعمال فنية كانت فى حيازة الالمان عند بداية الحرب .

إن الحكومة العسكرية الرباعية الألمانية هيئة تعنى بتحقيق أهداف محددة نتجت عن الهزيمة الساحقة لألمانيا وهى ليست السلطة المناسبة للتعامل مع القضايا المتعلقة بمنقولات ذات قيمة ثقافية متنازع عليها قبل الحرب .

ولا ننصح - بأى وسيلة - بإهمال الحجج الوجيهة التى وردت فى رسالة الحكومة المصرية ولا بإصدار حكم فى هذه القضية الهامة .

ونقترح الانتظار حتى تتم إعادة تكوين حكومة ألمانية مختصة وعندها يمكن رفع الأمر إلى مثل هذه الحكومة » .

* * *

وبعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وجدت فى قصر الملك فاروق العصا المطعنة بالماس للفيلد مارشال الألمانى فون بروشتش فعرضت مصر على الألمان مبادلة العصا بتمثال نفرتيتى ولكن الألمان رفضوا .

وعاد التمثال يحتل مكانه في متحف برلين فطلب الألمان الشرقيون الحصول عليه لأن متحف برلين الأصلي كان في القسم الشرقي من المدينة ولكن الألمان الغربيين سخرُوا من هذا الطلب العجيب .

ونشر الكاتب الألماني جيرت فون باسنزكى مقالا في صحيفة « دى زيت » يوم ٢١ من ابريل عام ١٩٧٨ بأن هناك احتمالا لعودة التمثال إلى مصر .

ولكن الفكرة تغيرت بعد ذلك ف قيل إن التمثال سيعرض بالتبادل في برلين والقاهرة ولكن الدكتور يواكيم كاريج من متحف برلين نفى أن التمثال سيغادر ألمانيا قائلا : « هناك خطورة من تصدعه نتيجة اختلاف المناخ » !

ونسى الدكتور كاريج أن التمثال صنع في مصر وبقي فيها حتى سرق منها ونقل إلى ألمانيا !
... وعلى أية حال فإن مصر توقفت عن المطالبة برأس نفرتيتى .

كادت الصفقة أن تقم

إستقال اللورد اللنبى من منصب المندوب السامى البريطانى فى مصر
ووصل اللورد جورج لويد إلى القاهرة فى ٢١ من أكتوبر عام ١٩٢٥ ليشغل
هذا المنصب ، وذلك بعد عشرة أيام من فتح التابوت الأول لتوت عنخ
آمون .

وكان اللورد لويد حاكما لمقاطعة بومباى فى الهند ، وعضوا فى
مجلس العموم عن حزب المحافظين .

وقد رفض أن يقدم أوراق إعتماده للملك فؤاد .
وأختلف مع السيد جيوفرى أرشر حاكم السودان العام فاستقال
الحاكم العام .

وفرض اللورد آراءه على ملك مصر ورئيس وزرائها . ولكنه كان
ملتزما برأى لندن فى عدم التدخل المباشر فى أمر المقبرة ، وترك لحكومة
مصر أن تتخذ وحدها القرار .

كان أول مافعله أحمد زيور وإسماعيل سرى نقل التابوت الذهبى
الذى أحتوى مومياء الملك والقناع الذهبى أيضا فى صالون الحق بالقطار
القادم من الاقصر يوم أول يناير عام ١٩٢٦ .

وصحب التابوت والقناع هوارد كارتر والفريد لوكاس مدير معامل
الكيمياء .

ولكن كانت هناك حراسة مشددة . . مصرية .

وبعد خمسة أيام - يوم ٦ من يناير - توجه مجلس الوزراء بكامل هيئته لزيارة آثار صاحب الجلالة داخل المتحف المصرى ليستمع الجميع إلى شرح كارتر ولاكو عن أهمية هذه الآثار وأن ثمن التابوت الذهبى يصل إلى ٥٠ ألف جنيه .

وقد ظل أحمد زيور رئيسا للوزراء مصر منذ ٢٤ من نوفمبر عام ١٩٢٤ حتى ٧ من يونيو عام ١٩٢٦ .

وإشترك حزب الأحرار الدستوريين فى هذه الوزارة وكانت جريدة السياسة - الناطقة باسم الحزب - قد أيدت على نحو ما كارتر ضد سعد زغلول وقالت أن دخول زوجات العلماء الأجانب إلى المقبرة لا يمثل خطرا على المصالح الوطنية أو إهدارا للكرامة الوطنية .

ومع ذلك فإن حزب الأحرار - لم يستطع وهو فى الوزارة - أن يمنح أرملة اللورد نصف آثار المقبرة ، أو الآثار المكررة .

ولم يحاول إسماعيل سرى باشا خلال ١٥ شهرا أمضاها وزيرا للأشغال فى وزارة زيور التسليم فى آثار توت عنخ آمون كما فعل بالنسبة لباقى آثار مصر خلال ال ١٢ عاما التى أمضاها من قبل فى منصبه .

وعندما أستقال زيور خرج من الوزارة إلى الأبد إسماعيل سرى باشا !

جرت الانتخابات فى مصر ففاز الوفد ، ولكن اللورد لويد أصر - وأيدته لندن - على منع سعد زغلول من تشكيل الوزارة فألفها عدلى يكن فى ٧ من يونيو عام ١٩٢٦ بتأييد من سعد زغلول وأغلبية البرلمان الوفدى .

ولكن طراً تغيير ضخم في لندن .
بعد وفاة اللورد كارنارفون بأربع سنوات بيعت قطع الآثار التي يملكها
لمتحف متروبوليتان في نيويورك .
والقصة وراء هذه الصفقة غريبة للغاية .
في عام ١٩٢٦ عرض ورثة كارنارفون كل مجموعته الأثرية للبيع
بمبلغ ١٤٥ ألف دولار وهو رقم ضخم بأسعار تلك الأيام .
وكان اللورد قد عدل وصيته في أيامه الأخيرة - قبل وفاته - في فندق
الكونتنتال بالقاهرة ، وسجل التعديل في القنصلية البريطانية .
وفي هذا التعديل أوصى اللورد لزوجته الليدى المينا بكل ثروته
من الآثار ولذلك أقامت الدعوى ضد مصلحة الآثار المصرية
للمطالبة بنصيب اللورد في مقبرة توت عنخ آمون .
وقد تزوجت المينا - ٤٧ سنة - في السنة نفسها التي توفى فيها
اللورد ، من ضابط برتبة كولونيل اسمه أيان أوريسلاو دينسيتان ،
مطلق ، يصغرها بأربع سنوات .
ولم يشهد حفل الزواج سوى إبتها التي تزوجت في العام نفسه أيضاً
من محامى الأسرة بروجراف كامبل بوشان .
وقد أنشأت الأرملة داراً كبيراً للتمريض يدفع الغنى للعلاج
مبلغاً طائلاً ، والفقير يعالج مجاناً .
وأوصى لابنه اللورد كارنارفون الخامس بالضبعة والقصر . وقد

رفض الإبن الحديث عن المقبرة أو توت عنخ آمون خوفا من لعنة الفراعنة .

وكان نجما من نجوم المجتمع البريطاني يحب النساء والخييل ويهوى الصيد فهو من الرماة الممتازين يطوف بمجتمعات الأثرياء الأوربيين في بادن بادن ودوفيل ومونت كارلو .

تزوج مرتين ودام زواجه الأول ١٤ سنة أما زواجه الثاني فكان من راقصة نمسوية عاش معها ثمانى سنوات وانتهى أيضا بالطلاق .

وظل باقى حياته عزبا رغم أن اسمه ظل يرتبط بانتظام باسم زوجة محتملة أو باخرى ! وقد تقاعد في سن السبعين ومات في ٢٢ سبتمبر عام ١٩٨٦ .

وقد أوصى اللورد كارنارفون - الأب - بإهداء قطعة أثرية للمتحف البريطاني وأخرى لمتحف أشموليان في اكسفورد وقدر من الزجاج الأزرق لمتحف المتروبوليتان .

وقالت الوصية إن تحف اللورد تعرض للبيع أولا على المتحف البريطاني فإذا وافق على الصفقة يحذف من الثمن مبلغ عشرين ألفا من الجنيهات . وإذا رفض المتحف البريطاني الشراء تعرض الصفقة على متحف المتروبوليتان في نيويورك على أن يتولى التفاوض وتحديد السعر هوارد كارتر .

نفذت الوصية بطريقة حرفية شكلية .

توجه أحد المحامين في الصباح إلى مدير المتحف البريطاني وعرض عليه الصفقة وثنمها على أن تتم العملية قبل الرابعة مساء .
وكان اللقاء في العاشرة صباحا .

ولم يستطع مدير المتحف الحصول على موافقة مجلس الإدارة خلال تلك المهلة القصيرة .

ولذلك بيعت المجموعة - بعد ٤ سنوات من وفاة اللورد -
لمتحف المتروبوليتان طبقا لاتفاق سرى - على الأرجح - بين البائع والمشتري ! وهو المليونير ادوارد هارينكس رئيس مجلس أوصياء المتروبوليتان « وملك » السكك الحديدية في الولايات المتحدة الذي وقع عقد الشراء باسم المتحف الأمريكى ، وكان الثمن ٥٠ ألفا من الجنيهات الاسترلينية .

أهتزت بريطانيا لأن الصفقة الثمينة خرجت من إنجلترا . وقال السير فردريك كينيون مدير المتحف البريطانى إن المتحف لم يمنح الفرصة أبدا .. للشراء !

وكانت الصحف البريطانية قد حذرت من أن التحف - وهى أكبر مجموعة مصرية يمتلكها بريطانى - ستباع للخارج لأنه لا توجد وصية حاسمة بضرورة بقائها في بريطانيا .



وكان ضياع هذه التحف ، وفيها آثار مصرية كثيرة حافزا يمدعو الانجليز لبذل كل الضغوط للحصول على مافى مقبرة توت عنخ آمون من الآثار المزدوجة .

مات سعد زغلول في ٢٧ من أغسطس ١٩٢٧ ولكن الوفد إستمر يؤيد وزارة عبد الخالق ثروت - الذى خلف عدلى - حتى استقال فألف الوزارة مصطفى النحاس الذى خلف سعد رئيسا للوفد .

وكان عثمان محرم وزيرا للأشغال في وزارات عدلى وثروت والنحاس .

لم تتغير مشاعر كارتر نحو المقبرة رغم تغير الظروف السياسية وتعاقب رؤساء الوزارات المصرية .

إستمر يرمم ، ويحفظ ، وينقل محتويات الغرفة الرابعة والأخيرة .

الغرفة الأخيرة ، وقد سميت الملحق ، وكانت مخزنا للدهون والزيوت والخمور والأطعمة . وبين خليط أكوام السلال والأواني الملقاة على الأرض يقوم كرسى العرش .



جاءت الوزارة الرابعة برئاسة محمد محمود باشا في ٢٥ من يونيو ١٩٢٨ .

كان محمد محمود باشا من أغنياء مديرية أسيوط . والده محمود سليمان باشا وكيل الجمعية التشريعية وصديق اللورد كرومر .

درس التاريخ في كلية باليول بانجلترا . وعمل مفتشا بوزارتى المالية والداخلية واشتغل سكرتيرا للمستشار الداخلية البريطاني ماتشيل .

عين مديرا للمبكرة ثم انضم للوفد عام ١٩١٩ ونعى مع سعد زغلول الى مالطة ثم اختلف مع سعد .

انضم لحزب الاحرار الدستوريين وأصبح وكيلا له .
اختير وزيرا للمواصلات ثم المالية مع الوفد في الوزارات الائتلافية
أعوام ٢٦ و ٢٧ و ٢٨ في وزارات عدلى يكن وعبد الخالق ثروت ومصطفى
النحاس

وأغراه الملك فؤاد على التآمر ضد مصطفى النحاس فاستقال مع
زملائه أعضاء حزب الاحرار فانهارت الوزارة واستقال النحاس وتولى
محمد محمود رئاسة الوزارة لأول مرة .

بدأ عهده بحل البرلمان ووقف العمل بالدستور وحكم بسلطات
مطلقة غير دستورية فيما عرف باسم « حكم اليد الحديدية » . وعقد
اتفاقية مياه النيل مع بريطانيا في ٧ من مايو ١٩٢٩ وبذلك تحققت المادة
السادسة من الانذار البريطانى لسعد زغلول عقب اغتيال السردار .

وبهذه الاتفاقية فصلت أعمال الرى في السودان عن وزارة الاشغال
المصرية . وفقدت مصر حقها الثابت في السيطرة على مياه النيل .
وفي ظل هذه الوزارة التى تحكم بدون برلمان بدأت أرملة اللورد
وكارتر والمتحف البريطانى يتحينون الفرص للانقضاض على آثار توت
عنخ آمون .

ومن جديد تردد السؤال المثار منذ ٤ من نوفمبر عام ١٩٢٢ أى منذ
اكتشاف المقبرة . .

أن ٧ رؤساء وزارات في مصر هم عبد الخالق ثروت ، وتوفيق
نسيم ، ويحيى ابراهيم ، سعد زغلول ، وأحمد زيور ، وعدلى
يكن ، ومصطفى النحاس ، لم يفرطوا في آثار الفرعون الطفل

بعضهم أضاع السودان وبعضهم أهدر الدستور فهل يفرض محمد محمود في هذه الآثار بعد أن فرط في مياه النيل . .
أم أن لهذا الفرعون سحراً وسراً آخر يمنع التفريط في آثاره ويبقيها لمصر ؟

وصلت إلى مصر ارملة اللورد كارنافون للتفاوض مع الحكومة المصرية لتصفية موضوعين :

الاول : الحصول على نسخ من الآثار المزدوجة .
الثاني : الحصول على كل ما أنفقته اللورد من اموال في عمليات الحفر .

ولكن مباحثات السيدة المينا لم تصل إلى نتيجة .
وجاء كارتر الى القاهرة ليطالب الحكومة المصرية بأن تدفع له مبلغ ٧٥ ألف جنيه عن عمليات التنقيب عن الآثار وترميمها ونقلها .
وطالت المفاوضات حول ما يريده كارتر والعروض المضادة التي قدمها رئيس وزراء مصر .

ويلتقى كارتر بأحد رجال المندوب السامي البريطاني فيشكو اليه روح المساومة التي يتميز بها محمد محمود باشا .

وينقل الحديث إلى اللورد جورج لويد المندوب السامي البريطاني الذي يرى أن الفرصة قد واثته أخيراً ليتدخل في أمر المقبرة بعد أن ظل يكتفى - مرغماً - بموقف المتفرج . . عن بعد . ويسارع اللورد بالكتابة إلى لندن قائلاً أنه « علم بطريقة الصدفة ، بالمفاوضات السرية » .

وتبلغ وزارة الخارجية المتحف البريطاني الذي يرى أن فرصته حانت ليحل محل الليدى المنيا وكارتر للحصول - بدلا منهما - على النسخة المكررة أو المزدوجة من آثار المقبرة طبقا لقانون الآثار الصادر عام ١٩١٢ وعقد التنقيب الاصلى .

تكتب الوزارة والمتحف إلى المندوب السامى البريطانى فى مصر الذى يصبح طرفا فى كل المباحثات

ويرفض كارتر تدخل المندوب السامى البريطانى أو مساندته كما كان يتوسل ويرجو حيناً ويصر ويلج حيناً آخر خلال أزمتيه مع سعد زغلول ومقرص حنا قبل خمس سنوات من عام ١٩٢٤ ويصر كارتر قائلاً : إن تدخلكم سيؤخر حصولنا على أى مبلغ .

ولكن المندوب السامى البريطانى يصر على التدخل ويبلغ كارتر بذلك فيضطر - أسفا - الى القبول

وافق على التدخل السير اوستين تشمبرلين وزير خارجية بريطانيا الذى يتولى المنصب منذ ٦ من نوفمبر عام ١٩٢٤ والذى رأى عدم التدخل فى أعقاب استقلال مصر لأن الوقت غير مناسب وحتى لا تتهم بريطانيا بالانتهازية .

وجد السير اوستين تشمبرلين ان هذا أو ان الانتهازية والتدخل فمحمد محمود يحكم بلا برلمان ولا سند له الا الملك والانجليز ، ومقبرة توت حافلة بالآثار ولا يضر مصر أن « تفقد » القطع المكررة .. كما أن الضجيج حول المقبرة قد هدأ ولم يعد الشعب يتابع آثارها بنفس الלהفة القديمة !

- ويلتقى اللورد جورج لويد بمحمد محمود باشا .
قال المندوب السامي :
- كارتر يطالب ب ٧٥ ألف جنيه .
رد محمد محمود :
- أفكر في ان أعرض عليه مبلغا يتراوح بين ٣٠ و ٤٠ ألف جنيه .

- سأله اللورد :
- وماذا عن القطع المزدوجة .
رد محمد محمود :
- الحكومة المصرية ليست مستعدة تحت أى ظروف لاقتسام أى من
القطع المكررة مع المينا أرملة اللورد . شعر الحكومة بقناعة لها ما
يبررها أنه سيتم - دون خجل - طرح هذه القطع للبيع في الاسواق .
ويكتب جورج لويد إلى لندن :

« كارتر يرى الرأى نفسه ولكنه يسعى إلى عمل كل ما يستطيعه
لخدمة المينا ولخدمة نفسه بدون شك .
ولذلك طلب تعويضا ماليا مرتفعا يعادل التضحية التى أقدم عليها
بالتخلي عن نصيبه من القطع الأثرية المكررة » .

* * *

وقال اللورد جورج لويد يوم ١٦ من أبريل ١٩٢٩ فى برقية إلى
حكومة .

« تفكر الحكومة المصرية في منح كارتر مبلغ ٣٠ ألف جنيه فقط .
« من حق المتحف البريطاني ومتحف المتروبوليتان الحصول على
بعض الآثار المكررة طبقا لما أعلنه وزير الاشغال المصرى عام ١٩٢٤
وتقدر قيمة هذه الآثار بمبلغ ٥٠ ألف جنيه »
وقال اللورد جورج لويد إن تمثال الملك الذى يأمل المتحف
البريطانى فى الحصول عليه فى ظل الترتيبات الحاضرة لا يساوى أكثر من
٢٥٠ جنيها .

وهكذا بدأت بريطانيا تطالب ببعض الآثار المكررة للمتحف
البريطانى ولمتحف المتروبوليتان الأمريكى بالاضافة إلى المبلغ الذى
يطالب به كارتر وهو ٧٥ ألف جنيه .
وتوجه كارتر لمقابلة السير اوستين تشمبرلين وزير خارجية بريطانيا
يوم ٣ من مايو ١٩٢٩ وطلب منه مساعدته لدى الحكومة المصرية
للحصول على مبلغ ال ٧٥ ألف جنيه .

قال له الوزير :
- لا أعتقد - مما سمعت - أن لديك فرصة للحصول على هذا
المبلغ . ولكنى مستعد للمساعدة فى أية خطة تؤهل المتحف البريطانى
للافادة من هذا الموقف .
وأضاف الوزير :

- تطالب أرملة اللورد كارنارفون ببعض الآثار المزودة طبقا
لدراسات التبادل بينها وبين الحكومة المصرية

وقال :

- ارجوا قناع اللىدى بالتخلى عن هذا المطلب فى الوقت الحاضر لأن مصر لن تستجيب لها . ولنذع المتحف البريطانى يحل محلها فى المطالبة بهذه الآثار .

وفى مقابل ذلك فانى سأبذل جهدى لحث الحكومة المصرية على أن تدفع لك كل ما انفقته .

ورغم أنى لست مفوضا بذلك بل عندى فكرة أن الحكومة البريطانية ربما تدفع لك هذا المبلغ .

وأنى أتوقع أن أسمع فى أية لحظة عن موقف الحكومة المصرية بالنسبة لكارتير وأحقيته فى التعويض العادل .

ووافق كارتير على وجهة نظر الوزير بأن يحصل المتحف البريطانى - بدلا من أرملة اللورد - على الآثار ثم سافر إلى القاهرة حيث التقى بالمندوب السامى البريطانى وأكد له مرة أخرى تأييده لسياسة الحكومة بالنسبة للقطع الأثرية .

* * *

ويلتقى المندوب السامى البريطانى بمحمد محمود باشا رئيس وزراء مصر يوم ١٠ من مايو ١٩٢٩ ويضغط عليه .

قال رئيس الوزراء :

- سأكون كريما فيما يتعلق باهداء النسخ المكررة من الآثار للمتحف البريطانى . ولكنى لن أهدي قطعة واحدة إلى جهات خاصة . أى كارتير أو أرملة اللورد كارنافون .

وقال رئيس الوزراء

- لا نستطيع أن نهدي قطعا وندفع مالا .

طلب رئيس الوزراء من المندوب السامي أن يعد بيانا بالقطع
المكررة تبحثه الحكومة ثم تقرر الهدية بعد ذلك .

حاول المندوب السامي البريطاني معرفة المبلغ الذى ستدفعه مصر
لكارتز فلم يحدد رئيس الوزراء الرقم وقال إنه ربما يكون ٣٥ ألفا من
الجنيهات .

* * *

طلب المندوب السامي البريطاني إلى كارتز البقاء في مصر لاعداد
قائمة الآثار .

وأصر اللورد على الحصول على القطع المزدوجة بتقديم اغراءات
مالية لحكومة مصر .

قال لرئيس الوزراء :

- يمكن رفع الحرج عن الجميع وتحقيق فائدة للمتحف البريطاني
إذا وضع المتحف البريطاني محل كارنافون عند اختيار القطع التى يتم
التنازل عنها للمتحف .

وفيما يتعلق بالتعويض المالى أقترح دفع المبالغ الزائدة التى أنفقتها
كارنافون والتى تتراوح بين ٢٥ و ٣٠ ألف جنيه أسترليني وترك المتحف
البريطاني الذى سيحصل على النسخ المكررة يدفع نحو عشرة آلاف جنيه
أخرى أو أكثر قليلا .

ويكتب المندوب السامي إلى لندن :

« وافق محمد محمود بسهولة على أن تصبح القطع من نصيب المتحف البريطاني ولكنه لا يزال متشددا تجاه حصة كل جانب من التعويض فهو يرى أنه لا يمكن أن يتخلى عن قطع مكررة من الآثار ، ويدفع تعويضا في الوقت نفسه » .

وتراود الاحلام اللورد جورج لويد ورجال المتحف البريطاني في الحصول على قطع كثيرة من آثار توت عنخ آمون .

* * *

تغيرت الوزارة في بريطانيا في ٥ من يونيو عام ١٩٢٩ . عاد حزب العمال مرة أخرى إلى الحكم برئاسة رامزي ماكدونالد ، ولكنه لم يتول وزارة الخارجية بل أسندت إلى احد قادة الحزب وهو آرثر هندرسون .

ولم ير العمال هذه المرة ما يدعوههم إلى عدم الحصول على آثار المقبرة أو الامتناع عن التدخل كما كان حال العمال مع سعد زغلول في فبراير عام ١٩٢٤ .

أن « انتهازية » العمال هذه المرة لا تقل عن انتهازية المحافظين ! .

* * *

استمر اللورد جورج لويد في مهمته . حدد القطع التي يريدتها في برقية إلى لندن في ١٦ من يونيو ١٩٢٩ ، بعد ١١ يوما فقط من وزارة ماكدونالد .

قال المندوب السامى

« لا يمكن اعداد قوائم كاملة الا بعد نقل القطع الباقية من الاقصر إلى القاهرة .

وأعتقد أننا نستطيع الحصول على بعض القطع الجيدة ويقدر ثمنها هنا بما يتراوح بين ٣٠٠ و ٥٠٠ جنية للقطعة الواحدة والاقواس والعصى والشيلاان بالإضافة إلى التمثال الخشبى للملك الذى كنا سنحصل عليه على أية حال .

وهذه القطع هى :

١ - أحد التماثيل الذهبية الخاصة لطير جارج يمكن أن يساوى حوالى عشرة آلاف جنية وهو أحد ثلاثة تماثيل لا تزال موجودة فى المقبرة بالاقصر ومن المؤكد أنها جميعا متشابهة .

وأذا كان الامر كذلك بالفعل فاننا سنطلب من محمد محمود منحنا نسختين تخصص أحدهما لمتحف المتروبوليتان .

٢ - أريكة محاطة بأوراق الذهب لا بالذهب الصلب ولكنها تتطابق مع نسخة أخرى معروضة حاليا بالمتحف المصرى .

٣ - عقد مصنوع من المينا الحمراء والصفراء والذهب .

٤ - لوحة صغيرة للعبة الشطرنج مع القطع التابعة لها .

٥ - نسخة أو نسختان - من التماثيل الذهبية للخدم .

وأفضل شىء يقوم به مندوب من المتحف يحضر إلى مصر فى نوفمبر حيث سيكون من الممكن التعرف على القطع التى توافق الحكومة المصرية على التنازل عنها باعتبارها نسخا مكررة .

وكأسلوب تكتيك نصحت محمد محمود خلال حديث لي معه أن
يبعد عن ذهنه الاعتقاد القائل بأن المتحف البريطاني في سبيله لشراء هذه
القطع . . »
إن اللورد أراد الحصول مجاناً على كل ، أو بعض ، ما يبقى من
الأثار !

* * * كادت الصفقة أن تتم . . *

ولكن يتدخل عامل غريب لانقاذ الأثار من براثن الانجليز .
توقفت المفاوضات بسبب سفر الملك فؤاد إلى برلين ولندن وتبعه
محمد محمود إلى إنجلترا فاصدا التفاوض لعقد معاهدة بين مصر
وبريطانيا .

وبعد أسبوعين فقط قامت أزمة حادة بين آرثر هندرسون وزير
الخارجية البريطاني واللورد جورج لويد فأبرق اليه في ٣ من يوليو يستدعيه
إلى لندن .

سافر اللورد في ١١ من يوليو واجتمع بوزير خارجيته في ٢٣ من الشهر
نفسه فطلب اليه الاستقالة .

واضطر اللورد إلى تقديم الاستقالة .

وجاء السير برسي لورين مندوباً سامياً إلى مصر في ٢ من سبتمبر ١٩٢٩
فوجد عهد اليد الحديدية يتهاوى فأوحى الى رئيس الوزراء يوم اول أكتوبر
١٩٢٩ بالاستقالة فاستقال بعد ٢٤ ساعة !

وتولى عدلى يكن باشا رئاسة وزارة انتقالية أجرت الانتخابات ففاز
الوفد .

وكان كارتر ينهى عمله فى المقبرة . وبدأ بيير لاکويسترد نفوذه الذى
ضاع فى عهود الوزارات التى تقف مع الملك والانجليز .

* * *

قال بيير لاکو مدير مصلحة الاثار لكارتر :
- يجب أن تسلم المفاتيح إلى مفتش الاثار المحلى . ولا تدخل
المقبرة دون أذنه .
قال كارتر :
- دعنى أفكر .

وبعد ٢٤ ساعة أعتذر كارتر عن العمل فطلب منه بيير لاکو أن يسلمه
مفاتيح المقبرة فسلمها على الفور .
توجه كارتر إلى دار المندوب السامى البريطانى الجديد يشكو همومه
فى آخر يوم من أيام عام ١٩٢٩ .
وبدت التعاسة على وجهه - وهو يصف أحزانه لرجال المندوب
السامى البريطانى - كما ابرقوا إلى لندن .

وضاعف من الامه أن الجنرال زويرت هاتشنسون أحد الاوصياء على
ثروة اللورد كارنارفون زار مصر دون ابلاغه فقد عرف بوصوله من
الصحف !

رغم ذلك بقى كارتر فى مصر بهذه الشروط التى كان يعتبرها ، عام
١٩٢٤ ، مهينة !

الصوص

اكتشفت في يوليو عام ١٩١٤ مقبرة في منطقة تعرف باسم (جبانة القروء) قرب الأقصر . .

ولكن لصوص الآثار من قرية الفرنة تسللوا إلى المقبرة وسرقوها . .
أما حصيلة السرقة فهي ٢٢٥ قطعة أثرية معظمها مجوهرات لثلاث
أميرات من أسرة تحتمس الثالث وقيل أنهن زوجات الملك .
وكانت المجوهرات مقسمة في ٣ مجموعات كل منها لزوج . . أو
أميرة .

واتفق اللصوص على ألا يبيعوا الصفقة دفعة واحدة . بل تباع
بالتدريج ، ولأكثر من مشتر ، حتى يمكن الحصول على أكبر ثمن بعيدا
عن مصلحة الآثار .

ولكن « كارتر » ظهر في الصورة . .

أتصل عام ١٩١٧ بمدير متحف المتروبوليتان أثناء أجازة في لندن
واتفق على طريقة لخداع لصوص الآثار ومساومتهم . . والاقبال على
ال شراء مرة ، ورفض الشراء مرة أخرى ، وزيادة الثمن ، ثم
تخفيضه ، على أن يشترك في تقديم العروض أحد رجال المتحف في
مصر .

ويقدم كارتر عرضا ثانيا .

ويقدم اللورد كارنافون عرضاً ثالثاً ويدعى الثلاثة أن كلا منهم يعمل لحسابه .

ولكن الحقيقة أن الجميع كانوا يعملون باتفاق كامل ويريدون شراء ال ٢٢٥ قطعة لحساب متحف المتروبوليتان .

ولأهمية الصفقة . . وخطورتها أيضاً ، فإن المفاوضات وعملية الشراء استمرت ٥ سنوات كاملة من عام ١٩١٧ حتى مارس عام ١٩٢٢ حتى نجح متحف المتروبوليتان في استكمال الحصول على كل القطع بمبلغ ٥٣٣٧٩ جنيه استرليني أى ٢٥٦,٣٠٥ آلاف دولار بسعر التحويل في ذلك الزمان وهو مبلغ يعادل - الآن - أكثر من ٤ ملايين دولار .

وحصل كارتر على جزء من الربح وعمولة بلغت ٤٠ ألف جنيه .

لم يدرج متحف المتروبوليتان تلك الصفقة في دفاتره إلا عام ١٩٢٦ وبعبارة غامضة لأن الآثار هربت من مصر .

وتعتبر هذه المجموعة أعلى ما حصل عليه متحف المتروبوليتان من الآثار المصرية في ذلك الحين .

هذه القصة التي رواها توماس هوفنج في كتابه عن توت عنخ آمون تبين الصلة المشبوهة بين كارتر ومتحف المتروبوليتان في نيويورك ، والمعاملات السرية بينهما للاستيلاء - بأية طريقة - على بعض آثار مصر .

وكان اللورد كارنافون يعلم بالصفقة ، وقيمة العمولة التي حصل عليها كارتر ، وربما يكون ذلك أحد الأسباب التي دفعت اللورد للموافقة على تمويل عملية الحفر والتنقيب للبحث عن مقبرة الملك توت في السنة الأخيرة التي أدت إلى الكشف .

وإذا كانت هذه أول العمليات المزينة المعروفة التى قام بها كارتر فى مصر فإن هناك عمليات أخرى عرفت فيما بعد .

سافر كارتر إلى لندن ثم الولايات المتحدة يوم ٢١ من مارس ١٩٢٤ بعد اغلاق المقبرة والغاء الترخيص .

بعد سفره شكلت مصلحة الآثار لجنة برئاسة لاكو تضم أربعة من مفتشى المصلحة للتفتيش على محتويات المقبرة والمقابر المجاورة التى اتخذت مخازن لآثار الملك توت بعد ترميمها وتصنيفها .

دخلت اللجنة المقبرة مساء يوم ٣٠ من مارس فأخذت فى فتح الصناديق التى وضعت فيها الآثار تمهيدا لشحنها إلى القاهرة .

راجعت اللجنة الصناديق لتجدها مطابقة لما سجله كارتر عن محتويات المقبرة .

ولكن اللجنة وجدت صندوقا خشبيا كتب عليه « نبيذ أحمر » يبدو أنه كانت بداخله زجاجات نبيذ اشتراها ، أو استوردها ، كارتر ومجموعته .

فتحت اللجنة ، بطريقة الصدفة ، الصندوق ، لتجد بداخله شيئا ملفوفا بالقطن والورق بعناية بالغة لحمايته - عند النقل - من الكسر .

وجد بداخل الصندوق رأس خشبي يقترب حجمه من الحجم الطبيعى ، مغطى بغلاف رقيق وطلى بركة بالغة .

« كان الرأس الخشبي اعجوبة من أعاجيب النحت القديم . يكاد ينطق ويتنفس . الوجه شديد الوسامة ذو الشفاه الحساسة ، والعيون الواسعة الصافية الداكنة السوداء .

كان الوجه لصبي في التاسعة أو العاشرة من العمر . وبرز الرأس من قاعدة صغيرة محفورة عليها رسوم لأوراق زهور اللوتس النيلى الزرقاء المقدسة .

وكان الصبي مرسوماً على أنه الإله الشمس ، ينطلق من الزهرة التى كانت أول ما نبت فى بحيرة الخلق ، وفقاً لمعتقدات قدماء المصريين . وأوحت القوة والثقة فى الوجه بأنه أكثر من مجرد صبي كان ملكاً باعتباره الإله الشمس الذى يفسر واحداً من أقدم النصوص التى تقول : « هو الذى يبرز من زهرة اللوتس على التل العالى والذى يضئ بعينه الارضين » .

كان ، دون شك تمثال توت عنخ آمون .

أيقظ « الرئيس حسين » رئيس عمال الحفر لدى كارتر . . وينلوك من نومه فى منتصف الليل ليبلغه بما اكتشفته لجنة الآثار من محاولة سرقة رأس توت عنخ آمون .

بعث وينلوك إلى كارتر فى أمريكا ببرقية بالشفرة المتفق عليها بينهم ، وهى الأرقام بدلا من الكلمات .

قالت البرقية :

« عثرت البعثة الحكومية خلف المقبرة الرابعة على رأس منحوت وهى قطعة أثرية رئيسية ولكنها غير مصنفة .

تكون لدى البعثة انطباع سئ .

تم ابلاغ ذلك إلى سعد زغلول برقيا . وأرسلت بالقطار إلى القاهرة .

لحمايتكم قام لاکو وانجلباک بأیہامہم أنکم قمتم بشرائہا لحساب اللورد کارنارفون فی العام الماضی - ۱۹۲۳ - من آثار اخناتون .
ونحن لا نعلم ما إذا كانوا قد صدقوا ذلك فعلا .
أرسل جميع المعلومات التي يمكنك إرسالها المتعلقة بأصل القطعة إن أمكن .

واذكر فی خطابک الاجراءات التي تشير علينا باتخاذها .
ولم يحاول بیری لاکو ورجاله اثاره فضيحة لأسباب كثيرة فقد خافوا أن تتحول قضية المقبرة من خلاف محدود إلى مشكلة سياسية ضخمة وأن تتهم كل البعثات العلمية بسرقة الآثار فتتوقف عمليات الحفر والتنقيب نهائيا .

ومن ناحية أخرى فأن الجميع كانوا فی حاجة إلى کارتر ليحفظ ويرمم الآثار

* * *

ويبقى بعد ذلك سؤال هام ..
هل كان کارتر حسن النية فی حبه لآثار مصر ، ومقبرة توت عنخ آمون . وهل وهب حياته للعلم فحسب ؟ ..

* * *

إن کارتر دخل مقبرة توت عنخ آمون سرا مع اللورد کارنارفون وابنته الییدی ایفلین ليلة الكشف .
وكانت المقبرة بكل ما فيها ملکا خاصا لهم فی تلك الليلة قبل تدخل مصلحة الآثار .

ومهما بلغت رقابة المصلحة ورجالها على كارتر فانه ظل المستول
الأول عنها منذ ٢٦ من نوفمبر ١٩٢٢ حتى ١٣ من فبراير ١٩٢٤
وهناك أدلة ومستندات محفوظة في متحف متروبوليتان في نيويورك تبين
ماذا فعل كارتر . . وماذا أخذ كارتر من المقبرة .

* * *

كتب آرثر ويجال عالم الآثار اليهودى الذى استقال من عمله كمفتش
للآثار في ظروف غامضة رسالة تحذير إلى كارتر يوم ٢٥ من يناير ١٩٢٣
محفوظة في متحف متروبوليتان في نيويورك عن اغلاق المقبرة في وجه
الصحفين والزائرين .

وآرثر ويجال يعرف - نتيجة ماضيه - كيف تسرق الآثار .
في هذه الرسالة قال :

« ألا تدرك أن الوطنيين المصريين يقولون أن لديك الفرصة لسرقة ملايين
الجنيهات من الذهب . »

وكرر ويجال الاتهام نفسه عندما التقى بكارتر في وادى الملوك .
ولم يكتف ويجال بذلك بل أنه قدم يوم ٣ من فبراير ١٩٢٣ مذكرة إلى
موريس اموس المستشار القضائى البريطانى للحكومة المصرية !! اشار
فيها إلى احتمال قيام كارنارفون وكارتر بسرقة آثار المقبرة .
قال ويجال في مذكرته التى تنبأ فيها بكل ما جرى :
« انهم رفضوا دخول كل من يحق لهم رؤية المقبرة .
واضطروا للزحف في ارجاء الاماكن بأفواه مغلقة بطريقة سخيفة
تبعث على الارتياح .

وخلقوا. في انحاء مصر انطبعا بانهم يحاولون الحصول على بعض الآثار لبيعها في الخارج » .

وفي تقرير كتبه جلين السكرتير بدار المندوب السامى البريطانى يوم ٧ من فبراير ١٩٢٣ قال أن العلاقة بين اللورد كارنافون وانجلباك كبير مفتشى الآثار بالوجه القبلى كانت سيئة للغاية . فقد ملأت الأقصر - بعد اكتشاف المقبرة - اشاعات تقول ان اللورد كارنافون اعتزم فتح الحجرة الداخلية للمقبرة سرا دون انتظار من مصلحة الآثار ، وهو التصريح الذى يتطلبه ترخيص التنقيب .

وصلت هذه الشائعات إلى انجلباك فرأى اتخاذ الاحتياطات اللازمة . وقف - بصفة دائمة - على باب المقبرة فى ساعات العمل . وكان يزحف داخلها كل نصف ساعة ليراقب ما يجرى .

وضاق اللورد كارنافون بهذا التجسس وبالطريقة الفظة التى يتصرف بها انجلباك وإن كان اللورد فى الوقت نفسه يعترف بحق مقتش الآثار فى ذلك . وختتم جلين تقريره قائلا :
انجلباك عنيد للغاية .

وفى الاجتماع الذى جرى بين اللورد كارنافون وعبد الحميد سليمان باشا عندما كان وكيلا لوزارة الاشغال فى فبراير ١٩٢٣ ، طلب اللورد صراحة ابعاد انجلباك من الأقصر وقال عنه :
- أنه مزعج ملعون . وليس لبقا . اسلوبه عدوانى . يتجسس على العاملين معى طول الوقت .

وقد أصر على الوقوف داخل المقبرة وبذلك يعوق العمل ويزعج الرجال الذين يقومون بمهمة دقيقة .

واحتد اللورد وهو يقول :

- لن أستطيع الاستمرار في العمل طالما بقى انجليك في منصبه .

واقترح وقف العمل حتى يتم ابعاده .

رفض لاكمدير مصلحة الآثار ذلك . وأيده عبد الحميد سليمان

باشا .

ومن هذا كله يتضح أن هناك شكوكا قوية في قيام اللورد وكارتر

بسرقه ، أو بمحاولة سرقة ، بعض آثار الملك توت .

ويضاف إلى ذلك ما قاله توماس هوفنج عن دخول كارنارفون وكارتر

المقبرة سرا مساء ٢٦ من نوفمبر ١٩٢٢ عند اكتشاف المقبرة .

ويؤكد هوفنج في كتابه أن كارتر وكارنارفون سرقا سرا من مقبرة توت

عنخ آمون ١٧ قطعة . . وصلت متحف المتروبوليتان في نيويورك .

وقال لى هوفنج أن ادواردز أمين القسم المصرى في المتحف

البريطانى أبلغه أنه مقتنع بأن كارنارفون وكارتر سرقا آثارا من مقبرة توت

عنخ آمون .

وقال لى هوفنج ان اللورد وكارتر في ليلة ٢٦ من نوفمبر دخلا حجرات

المقبرة الاربع دون ابلاغ الحكومة المصرية واستوليا على ما استطاعا من

الآثار .

وذكر هوفنج في كتابة القطع المسروقة ، وقد رأيتها في المبنى الذى

انشأه متحف المتروبوليتان للآثار المصرية .

وقد عرض المتحف هذه القطع فى غرفة خاصة قال المتحف انها تمثل أواخر عصر الاسرة الثامنة عشرة . ولم يذكر المتحف أنها من آثار الملك توت عنخ آمون بالذات . وللتمويه وضع المتحف داخل هذه الحجرة الآثار التى وجدها المليونير الأمريكى تيود وردافيز والتى ساعدت كارتير على اكتشاف المقبرة .



وحدد هوفنج فى كتابه - صراحة القطع المسروقة التى عرف بأمرها - وهى :

- * خاتمان من الخزف الازرق .
- * اثنان من المسامير الفضية من تابوت الملك .
- * قلادة أنيقة قصيرة وعرضية من الخزف .
- * دمية من البرونز اتجه رأسها الى الخلف كما لو أنها تستمع لنداء مفاجئ من سيدها .
- * خاتم من الذهب عليه اسم توت عنخ آمون .
- * مقبض مروحة ذهبية .
- * صولجان مرصع بقطع من العقيق الاحمر .
- حلئ على هيئة شارات عسكرية . زخارفها دقيقة لا يمكن رؤيتها دون اجهزة تكبير مما يدل على الجهد الذى بذل فيها
- * ملء فنجان من سائل التخنيط المجفف .
- * قطعتان من الخشب المطلى من المعبد الرابع

- * قطعة من النسيج البالى من الكفن الملكى .
- * منسوجات فى جوال ضخمة .
- قطعة من حجر الكوارتز مأخوذة من التابوت ذى اللون الوردى .
- * جرو برونزى صغير رائع .
- * صندوقان من العاج لادوات التجميل .
- * تمثال من العاج لكلب يجرى وفكه متحرك وتسدلى من عنقه قلادة .
- * إناء فاخر للطور من الالباستر طوله ٣ بوصات ويعتبر قطعة نادرة من الفن المصرى ، وتزين الاناء صور رائعة لفتيات رقيقات فوق زهرة لوتس .
- * قطعتان فنيتان عبارة عن وجه ألوان وآخر للكتابة . . والاثنتان من العاج . وتحمل احدهما فرشتين من الغاب .
- * لوحة لغزال أفريقى ارتفع ٦ بوصات رسمت على العاج فى دقة بالغة .
- * لوحة لحصان منحوتة على العاج الملون . عينا الحصان من العقيق الأحمر . ولكن سقطت احدى العينين .
- والحصان يبدو اشبه بطائر ضخم يحلق فى الهواء بحركة رشيقة .
- ولقد سجل متحف المتروبوليتان فى وثائقه أن بعض هذه الآثار من مقبرة توت عنخ آمون .
- وسجل المتحف بالنسبة لبعضها أنها اشترت عام ١٩٢٦ وهذا غير حقيقى . . وللتمويه .

وفي إحدى رسائل « كارنارفون » المحفوظة في لندن والتي بعث بها إلى « كارتير » قال يصف له لوحة الحصان : « أعجب الجميع باللوحة التي اشتريتها من القاهرة . وقالوا انها من الأسرة ١٨ وأنه لابد عثر عليها في سقارة .

وكان اللورد يقصد التمويه فان ملوك مصر لم يستعملوا سقارة مقرا للحكم منذ الأسرة الخامسة أى قبل ألف سنة من عصر توت عنخ آمون » .

والمقصود بشراء اللوحة من سقارة .. التمويه أيضا ..

وتسربت بعض آثار توت عنخ آمون إلى متاحف أخرى مثل ٤ تحف اشتراها متحف بروكلين في نيويورك من ورثة اللورد كارنارفون بعد وفاته .. مما يدل على أن اللورد أخذها من القبر .. واحتفظ بها حتى مات .

ووجدت ٤ تحف من آثار توت عنخ آمون في متحف بروكلين في نيويورك وهي :

* فتاة دقيقة الحجم من العاج تقف على قاعدة من الخزف الأزرق .

* قلادة عريضة من الخزف الأزرق .

* ملعقة دهان دقيقة منحوتة من العاج .

* زهرية صغيرة من الزجاج الأزرق .

وقد اشتريت هذه التحف من وسيط في لندن اشترانا من ورثة هوارد كارتير .

وحرص المتحف سنوات طويلة على اخفاء مصدر هذه التحف ،
ولكن أمين القسم المصرى - جون كونى - ذكر فى دليل المتحف عام
١٩٤٨ على الإشارة - تلميحا - إلى هذه القطع باعتبار أن لها صلة مبهمة
بهبوارد كارتر وتوت عنخ آمون ومقبرة ملكية هامة من الأسرة الثامنة
عشرة .

سئل أحد موظفى القسم المصرى عام ١٩٧٨ عما إذا كانت هذه
الآثار جاءت من مقبرة توت عنخ آمون فقال :
- وهل هناك مصدر آخر ؟

ويعتقد جون كونى الذى أوصى بشراء القطع الأربع أنها من ذلك الكنز
العجيب . . أى مقبرة الملك .

ويقول « توماس هوفنج » ان هذه الآثار تشبه فى أسلوبها وتصميمها
ورقتها آثار المقبرة .

واشترى ثرى أمريكى اسمه جينول تحفة عن طريق وسيط فى نيويورك
وهو جوزيف برامر حصل عليها من ورثة كارتر .

وهذه التحفة عبارة عن تمثال جرادة عاجية صغيرة بلغ من دقتها أن
الحشرة تبدو وكأنها على وشك الطيران .

وقد أقرضها صاحبها لمتحف المتروبوليتان منذ عام ١٩٤٧ حتى
الآن . ولا تزال تعرض فى المتحف وأن كانت ملكيتها رسميا لجينول
وورثته .

وتحتفظ ٣ متاحف أمريكية أخرى ببعض آثار توت عنخ آمون .

* في متحف سنسناتى نمر رائع من البرونز بعيون من حجر الكوارتز الشفاف العديم اللون يبحث عن فريسة وقد رفع ذيله إلى أعلى في حذر . وأدار رأسه الجميل جانبا .

* وفي متحف الفن بولاية كليفلاند توجد تعويذة صغيرة على شكل قطعة منحوتة من حجر الهيماتيت الأسود .

* وفي قاعة وليم روكهيل نلسون « بكانساس سيتى » توجد قطع من الذهب المطعم من قلادة ملكية اشترت بواسطة جون كونى أيضا .

وهاتان القطعتان أهداهما كارتر لطبيب أسنانه وقال له إنها جاءتا من المقبرة . وقد باع الطبيب القطعة الذهبية لوسيط في لندن .

وهناك ٦ قطع أخرى نقلها كارنارفون وهوارد كارتر من القبر ولكنها لم تترك مصر .

إحدى هذه القطع :

* حلية ذهبية تزين الكتف يظهر فيها الملك الشاب مندفعاً إلى الأمام في عربته الحربية وقد تحلى جزئياً بوشاح من الذهب الخالص بدا كما لو أن بذورا ذهبية دقيقة قد نثرت عليه .

وقد أهداها الملك فاروق للمتحف المصرى بالقاهرة قبل شهور من عزله .

والأرجح أن كارنارفون أخذها من القبر وأهداها للملك فؤاد .

* * *

وقد أنكر متحف المتروبوليتان منذ البداية حصوله على قطع من
آثار توت عنخ آمون .

بقيت نقطة هامة ، وهى اخطر ما يتعثر بهذا الكشف .
يوم افتتاح المقبرة بعث مراسل صحيفة التايمس من الاقصر يقول انه
وجد فى المقبرة صندوقا مليء « بلفات » من الورق ستكشف عن
معلومات تاريخية ضخمة .
وقد نشرت هذه البرقية فى صحيفة التايمس البريطانية والنيويورك
تايمز الامريكية .

وفى اول ديسمبر عام ١٩٢٢ أى بعد ثلاثة أيام من افتتاح المقبرة
رسميا كتب اللورد كارنارفون رسالة الى ارنست واليس بادج أمين
القسم المصرى بالمتحف البريطانى قال فيها :

« وجدنا ابرز اكتشاف عرف فى مصر والعالم وجدنا صناديق لم
افتحها بعد . ولكن يوجد فيها بعض أوراق البردى ، واقداح ،
ومجوهرات ، وياقات زهور ، وشمعدانات كل هذا فى الغرفة الامامية
بالاضافة الى مواد اخرى كثيرة لا نستطيع رؤيتها » .

نشر بادج هذه الرسالة فى كتاب اصدره عام ١٩٢٣ ، بعد وفاة
اللورد ، وأهداه اليه وعنوانه « توت عنخ آمون . الامونية .
الاتونية . والوحدانية المصرية »

واشار السير بادج الى احتمال اكتشاف اوراق بردى فى المقبرة .
وقال :

« ربما يكون اللورد قد حصل من المقبرة على معلومات تضاعف
ماتعرفه عن توت عنخ آمون ، فاذا كان قد فعل ذلك فانه لم ينشر
مالديه » .
وادلى السير الان جاردنر بحديث لصحيفة التايمس يوم ٤ من ديسمبر
قال فيه

« ان اهتمامه الاول ينصب بصفة خاصة حول صندوق اوراق البردى
الذى وجد في المقبرة » .

وقال جاردنر انه لايعرف ما اذا كانت هذه الاوراق مجرد كتاب
الموتى « الذى يوجد في كل المقابر ام لا » ؟

ومن هذا يتضح ان اللورد وجد اوراق البردى داخل المقبرة طبقا
لرسالته الى السير بادج وكتاب امين القسم المصرى بالمتحف
البريطانى .. لأن اللورد رأى ابلاغ المتحف بكشفه الخطير .

ورغم ذلك فان اللورد وكارتر اعلنا انهما لم يجدا في المقبرة ورقة
بردى واحدة ، كما لم يجدا « كتاب الموتى » .

وفي كتاب « البحث عن ذهب توت عنخ آمون » تساءل
الصحفى الأمريكى ارنولد براكان عما إذا كان اللورد وكارتر قد
صادرا هذه الأوراق. فإن كل ما قاله اللورد، في رسالته أنه
اكتشفه في المقبرة، وجد فعلا فلماذا اختفت أوراق البردى بالذات
وما الذى يمكن أن يكون فيها من معلومات يهم اللورد وكارتر
عدم إعلانها؟»

الموضوع الوحيد هو العلاقة بين توت عنخ آمون والنبى موسى عليه
السلام وهل كان توت عنخ آمون ، هو الفرعون الذى تم في عهده خروج
اليهود من مصر .

هناك عدة مدارس ، أو عدة آراء في هذا الشأن . وهذا جانب منها :

الأول يقول ان اليهود خرجوا من مصر في عصر رمسيس الثانى اثناء الاسرة التاسعة عشرة أى بعد عصر توت عنخ آمون .

والثانى يقول انهم خرجوا في عصر ميرنبتاح الذى خلف رمسيس الثانى .

والثالث يقول ان اليهود طردوا من مصر في اواخر عصر توت عنخ آمون بواسطة قائده حور محب الذى اعلن نفسه بعد ذلك فرعوناً لمصر ، وصاحب هذا الرأى هو العالم والصحفى ارثر ويجال الذى تابع اكتشاف المقبرة في الأقصر .

وينادى بهذا الرأى ايضا عالم النفس سيجموند فرويد .

والرابع يقول ان اليهود طردوا في اوائل عهد الاسرة الثامنة عشرة ، لا في أواخرها أى قبل توت عنخ آمون .

والخامس يرى ان اليهود لم يغادروا مصر دفعة واحدة بل غادروها خلال فترة ربما امتدت مائتى عام طبقا للفرص التى اتاحت لهم وعلى أساس حركات الشعوب وهجرتها .

وفي ظل هذه النظرية يكون توت عنخ آمون أحد الفراعنة الذين شهد عصرهم جانبا من خروج اليهود من مصر .

والخامس يرى ان اسم زوجة فرعون التى راودت سيدنا يوسف يشابه اسم زوجة توت عنخ آمون وربما تكون هى نفسها .

واذا كان كارنارفون وكارتر قد عثرا على أوراق تكشف الحقيقة فما

هى ياترى ، ولماذا اختفت الاوراق كل هذه المدة ، وهل أعدمت لما فيها من اسرار .

ولن تظهر الحقيقة الا من خلال اثار أخرى ، وأوراق بردى ربما تكون مدفونة - حتى الان - فى قلب الأرض المصرية تكشف عن هذه النقطة الغامضة وتزيع الستار عن سر وفاة توت عنخ آمون صغيرا . وعلى اية حال فان توت عنخ آمون فرض انتصارا ضخما على مصر والعالم .

كانت له حياة أخرى بعد حياته الاولى ، وتحققت بالحرف الواحد الكلمات التى وجدت على تابوته ، والتى تقول :
« رأيت الأمس ، وعرفت الغد » . !

حتى الملكة تفحنى !

عاد الوفد برئاسة مصطفى النحاس إلى الحكم يوم أول يناير عام ١٩٣٠

كان النحاس في الرابعة والخمسين من عمره . تخرج في مدرسة الحقوق وعين قاضيا . بدأ حياته السياسية في الحزب الوطني . واشترك في ثورة عام ١٩١٩ ثم انضم للوفد . نفى مع سعد زغلول إلى جزيرة سيشل عام ١٩٢١ وعاد إلى مصر بعد الإفراج عن سعد عام ١٩٢٣ إختاره سعد وزيرا للمواصلات في يناير ١٩٢٤ ومنحه الملك فؤاد رتبة الباشوية .

وعاد إلى المحاماة بعد إستقالة الوزارة في نوفمبر . وترافع عن أحمد ماهر ومحمود فهمى النقراشى أمام محكمة الجنايات في قضية الاغتيالات السياسية التى حكم فيها ببراءة الوزيرين الوفديين السابقين .
أختير وكيلا ثانيا لمجلس النواب عندما كان سعد رئيسا للمجلس وبعد وفاة سعد أُنْتُخِبَ رئيسا للوفد ورئيسا لمجلس النواب .
تولى رئاسة الوزارة لأول مرة ٣ شهور عام ١٩٢٨ وأقاله الملك أحمد فؤاد .

وعاد رئيسا للوزراء بعد فوز الوفد في الانتخابات فعين بهى الدين بركات وزيرا للمعارف الذى أصبح بحث تنبعه مصلحة الآثار .

كان من محمد بهي الدين بركات في التاسعة والثلاثين . درس القانون .
في مصر وفرنسا . وعمل قاضيا بالمحاكم الوطنية والقضاء المختلط ..
وتولى منصب وكيل وزارة العدل .

وكان سعد زغلول خال أبيه فتح الله بركات باشا .
رأى الوفد أن ينهى - إلى الأبد - موضوع مناصفة آثار المقبرة بقانون
يقره مجلس النواب بحيث يتعذر على أية وزارة ، بعد ذلك ، أن تفرط في
قطعة واحدة من آثار توت عنخ آمون .

وقدم محمد بهي الدين بركات وزير المعارف مذكرة إلى مجلس
الوزراء يوم ٣٠ من مارس ١٩٣٠ قال فيها :

« أسفر التنقيب عن إكتشاف مقبرة توت عنخ آمون التي حوت من نفيس
التحف الأثرية ما كشف عن صفحة مجيدة من تاريخ مصر القديم .
وأضاف إلى كنوز المتحف المصري أكبر ذخيرة تركها الماضي للحاضر .
وإتجهت نية الحكومة طورا إلى أن تجامل عائلة اللورد كارنارفون
بمبلغ من المال ، وطورا إلى أن تمنح الحكومة العائلة جمعا مختارا ذا
قيمة من الأشياء المزدوجة التي لا يترتب على إخراجها من المجموعة ضرر
علمي .

ومنذ حين طلبت عائلة كارنارفون أن تبت الحكومة في تعويضها عما
إحتملته من النفقات والمتاعب .

وقد ردت النفقات بمبلغ ٤٢,٩٣١ جنيهها حسبما هو مفصل في دفاتر
المستر كارتر الذي قام بالتنقيب .. منها مبلغ ٧٩٦٠ جنيهها يوازي
ما احتمله متحف نيويورك الذي عاون في أعمال التنقيب .

وترى وزارة المعارف العمومية أن المنقبين أهل لان يكافأوا على ماتحملوه من المتاعب والنفقات .

ولاترى النظر في مكافأتهم بمجموعة من التحف المكتشفة . ولو أمكن الاستغناء عن بعضها بلاضرر علمي ، فإن الأليق بمصر أن تحتفظ بمجموعتها الفريدة وأن تصونها من التجزئة .

ولهذا السبب تقترح وزارة المعارف أن يكافأوا خصوصا وأن نصف هذه النفقات صرف في ترميم وإصلاح وربط ونقل ماإستخرج من التحف الأثرية . وهذا الترميم لم يكن واجبا على المنقبين بمقتضى الاتفاق ولكنهم تطوعوا به مجرد تطوع .

يضاف إلى ذلك أن الحكومة طلبت إلى المنقبين الاذن للجُمهور بزيارة المقبرة أثناء مواسم العمل في سبع سنين متوالية . فتضاعف زمن التنقيب وزادت النفقات .

ويلاحظ فوق ماتقدم أن اكتشاف المقبرة زاد في إيرادات مصلحة الآثار ونشط السياحة إلى مصر مواسم متعددة .

وبما أن مجموع النفقات قد بلغ ٤٢,٩٣١ جنيها إحتمل منها متحف نيويورك مايساوى مبلغ ٧٩٦٠ جنيها . لهذا تقترح وزارة المعارف إرجاء النظر في أمر المبلغ الأخير وأن يفتح إعتداد بمبلغ ٣٤,٩٧١ جنيها .

بحثت اللجنة المالية الوزارية مذكرة المعارف في إجتماع تم يوم أول أبريل . أى بعد يومين برئاسة محمود فهمى النقراشى باشا وزير المواصلات ، الذى كان يتولى في ذلك الوقت منصب وزير المالية أيضا بالنيابة بدلا من مكرم عبيد باشا لسفره للخارج .

قررت الموافقة على الاعتماد ورفعت الأمر إلى مجلس الوزراء الذى وافق عليها يوم ٣ من أبريل . وأحيل إلى مجلس النواب مشروع قانون بفتح اعتماد بمبلغ ال ٩٧١, ٣٤ جنيها يصرف كمنحة لورثة اللورد كارنارفون .

فقرر المجلس بجلسة ٧ من أبريل أحالته إلى لجنة المالية والتجارة والصناعة .

ناقشت اللجنة المشروع في ٣ جلسات عقدتها في ١٤ و ٢٨ أبريل وأول مايو ١٩٣٠ وقررت وقف نظر المشروع حتى تقدم وزارة المعارف الأوراق الدالة على أن الورثة قبلوا المبلغ .

عرض تقرير اللجنة على مجلس النواب يوم ٦ من مايو ١٩٣٠ لمناقشته فقال بهي الدين بركات باشا وزير المعارف :

« خصص لآثار توت عنخ آمون جناح خاص في دار الآثار المصرية وربما كانت أجمل جناح في الدار .

وطلبت الليدى كارنارفون إعطاءها أشياء من التحف .

ودارت مخابرة مع وزارة سابقة فرأينا من الأنسب أن نعوض الورثة مالا .

وفعلا تكلمنا معهم فلم يحددوا مبلغ التعويض .

وهم لا ينازعون الان في أخذ هذا المبلغ على سبيل المنحة .

وقلنا للجنة المالية لمجلس النواب أضيفى باتشائين من الشروط حتى لا يكون في هذا العمل أدنى مسئولية على الحكومة .

وعندما نقول لنا اللجنة أين المكاتبات فنحن نقول لا توجد مكاتبات

وغاية الأمر أننا نقبل كل الشروط التي تراها اللجنة .
قال عضو مجلس النواب حسين هلال بك :
- طلبت اللجنة تفصيلات من الوزارة . وتعيد إليها الموضوع ولا تزيد
رفضه بل نريد بحثه .

قال رئيس مجلس النواب ويصا واصف بك :
- وزير المعارف يقول لا توجد مكاتبات
قال الدكتور زكي ميخائيل :
- تريد اللجنة أن تستوثق هل حددت عائلة كارنارفون هذا المبلغ أم لا
عبد العزيز الصوفاني : يعاد الموضوع إلى الوزارة بدون إبداء رأى
من المجلس حتى يمكن بحثها

راغب أسكندر : القصد إعطاء المجلس سعة من الوقت لدرس
الموضوع

ويصا واصف بك : أنا مثم فاهم طالبين أية
محمد زغلول باشا : أحنا عاوزين مدة طويلة
الرئيس : تعاد إلى اللجنة مرة ثالثة .

* * *

عقدت اللجنة المالية إجتماعا رابعا في ٣ من يونيه وعرض الموضوع
على مجلس النواب للمرة الثانية في ٥ من يونيه ١٩٣٠ فتلا ميخائيل غالى
مقرر اللجنة تقريرها وقال بعد أن شرح قصة الحفريات :
أن الحكومة المصرية كانت مستعدة دائما للنظر في أمر المنقبين
بعطف ورعاية .

بعد فتح مقبرة توت عنخ آمون تبين أنها ليست من المقابر التي يحق للمرخص له أن يستولى على جزء من محتوياتها . وليس للمنتخبين الحق في أى شيء من محتويات المقبرة وبالتالي لا يكون لهم أى حق في تعويض ما .

غير أن اللجنة ترى الموافقة على الاعتماد المطلوب على اعتبار أنه هبة ومنحة لاحق

حسن يس أفندى - وزارة المعارف العمومية غير ملزمة وكان اللورد كارنارفون من المولعين باستكشاف الآثار فضلا عن أنه كان يملك ثروة طائلة حتى أن الاسطبلات التي يملكها تشبه القصور العامة ، وأظن أن ورثته ليسوا في حاجة إلى مثل هذا المبلغ الذي له قيمة كبيرة في الوقت الحاضر .

محمود سليمان غنام أفندى - على أى أساس تسم تقدير هذا المبلغ ؟

بهي الدين بركات باشا - قدر هذا المبلغ على أساس المصاريف التي أنفقتها اللورد والليدي كارنارفون في سبيل الوصول إلى هذه المكتشفات ، وصيانتها ، ونقلها ، وكانا ينقلان هذه المكتشفات على حسابهما الخاص بطريق السكة الحديد المصرية ، كما أن نفقات ترميم هذه الأشياء كانت تدفع من مالهما الخاص .

محمود سليمان غنام أفندى - أشيع وقت العثور على هذه المكتشفات أن بعضها تسرب إلى الخارج فهل تحققت الوزارة من عدم صحة هذه الاشاعة ؟

. ميخائيل غالى مقرر اللجنة - بحثت لجنة المالية هذا الامر واتصلت
بوزارة المعارف العمومية فقررت الوزارة - بناء على تأكيدات من المسيو
لاكو مدير مصلحة الآثار - أنه لم يتسرب شيء من هذه المكتشفات
مطلقا ، وأن مراقبة مصلحة الآثار المصرية كانت دقيقة ، وأن العمال
الذين كانوا قائمين بالعمل لا يمكن أن يقدموا على أمر مثل هذا .
محمود سليمان غنام أفندى - قلت أنها أشاعة وأردت التثبت
منها .

عبد المجيد الرمالى أفندى - أعرف أن هناك عقد إتفاق بين
الحكومة واللورد كارنارفون فهل ورد به نص على دفع النفقات ؟
ويصا واصف رئيس مجلس النواب . هذا المبلغ يراد إعطاؤه على
سبيل المنحة .

محمود سليمان غنام أفندى - ومن الذى إقترح منح هذه المنحة ؟
بهى الدين بركات باشا - كان اللورد كارنارفون غنيا أثناء حفرياته ،
ولكن بعد وفاته أصبحت حالة أسرته على غير ماكانت عليه أثناء حياته .
وليس لى أن أتدخل فى الأسباب التى أدت إلى هذا لأن ذلك ليس موضع
بحث .

الرئيس - هل توافقون على مشروع القانون ؟
وافق الأعضاء على فتح اعتماد بمبلغ ٣٤٩٧١ جنيها بأغلبيه ١١٠
أصوات ضد ١٦ صوتا .

وكان بين الموافقين محمد زغلول باشا الذى كان وكيلا لوزارة
الأشغال ، والذى أبلغ كارتر بمنع زوجات مساعديه من دخول
المقبرة ، وكان ذلك سببا مباشرا للأزمة .

وكان بين المعارضين عباس محمود العقاد ، ومحمود سليمان غنام ، وحسن يس .

ولم يكن مقرر اللجنة المالية لمجلس النواب ميخائيل غالى يعرف وهو يؤكد للنواب أن شيئا من الآثار المصرية لم يسرق من مقبرة توت عنخ آمون أن كارتير سرق أشياء كثيرة !

ولم يدرك لاكمدير مصلحة الآثار الذى ظل فى منصبه طوال هذه المدة أن جانباً من الآثار قد سرق وهو لا يدري !

* * *

عرض مشروع القانون بعد ذلك على مجلس الشيوخ يوم ٩ من يونيه ١٩٣٠ فأحالته إلى اللجنة المالية التى وافقت عليه وعرض على المجلس بعد أسبوع فى ١٦ من يونيه

تساءل شيخ واحد وهو محمد كامل صدقى بك قائلاً :

- هل إرتضت الأسرة قبول هذا المبلغ وليست لها مطالب أخرى ؟

قال محمد بهى الدين بركات بك :

- هذا المبلغ منحه وستكون المخالصة صريحة فى أنه ليس للأسرة حق المطالبة بأى شىء آخر .

قال كامل صدقى :

- ألا يخشى الوزير قبل أخذه المخالصة أن تتعدى مطالبتها هذا المبلغ بعد أن يكون قد تقرر لها بقانون ملزم للحكومة بالدفع .

رد الوزير :

- ليطمئن حضرة الشيخ المحترم أصرح بأنه سبق أن تخاطبنا مع

الأسرة . وهى على إستعداد لاعطاء المخالصة على الصورة التى نطلبها .

وافق ٦٨ عضوا وعارض شيخ واحد .

* * *

أستقالت وزارة مصطفى النحاس يوم ١٨ يونيو وتولى رئاسة الوزارة
إسماعيل صدقى باشا .

كتب السير برسى لورين المندوب السامى البريطانى فى سبتمبر عام
١٩٣٠ إلى وزارة المعارف المصرية يقول ان المتحف البريطانى يرغب فى
الحصول على الآثار المكررة من آثار توت عنخ آمون . ولاضرر من ذلك
لأن الحكومة المصرية لم ترع أثناء تسوية المسألة مع أسرة اللورد أن
يدخل المتحف البريطانى طرفا فى الموضوع .

نشرت الصحف هذا النبأ . فأشهرت الأقلام المصرية تدافع عن قبر
الملك الفرعونى وتقول ان قرار البرلمان المصرى نهائى . وأن الحكومة
المصرية لاتستطيع أن تتنازل عن قطعة واحدة من الآثار !

إضطر المندوب السامى السير برسى لورين إلى الرد عن طريق
صحيفة « الاجبشيان جازيت » الناطقة باللغة الانجليزية والتى تعبر
دواما عن رأى المندوب السامى .

قالت :

أن إقتراح حصول المتحف على الآثار المكررة من المقبرة قدم فى
وقت سابق قبل قرار البرلمان .

وقد أراد المتحف البريطانى أن يسجل أمله فى الحصول على القطع

المزدوجة إذا رغبت الحكومة المصرية في التصرف فيها بإعتبار أن الكشف الذى قام به اللورد يعطى المتحف إهتماما خاصا بهذه الآثار ، ولذلك يريد أن تكون له أولوية الحصول على معظمها .
وإعترفت الصحيفة بأن دار المندوب السامى أبدت هذه الرغبة .
لحكومة مصر .

وهاجمت الجازييت تسريب الأخبار إلى الصحافة الوطنية «
وقالت دار المندوب السامى « أن المتحف البريطانى يتمنى أن يكون أول من يعرض هذه الآثار خارج مصر » !
ولكن هذا الأمل لم يتحقق لبريطانيا فقد عرضت بعض الآثار فى دول أخرى ، ولم تعرض فى المتحف البريطانى إلا بعد ٤٢ عاما !
وكان واضحا من هذا الخطاب أن بريطانيا لم تياسأ أبدا من الحصول على آثار من المقبرة .

* * *

بقى كارتر فى مصر حتى آخر فبراير ١٩٣٢ عندما استطاع أن ينقل إلى المتحف المصرى بالقاهرة أخر قطعة أثرية من الخمسة آلاف قطعة تقريبا التى ضمتها تلك المقبرة التى لم تتجاوز أربع حجرات بعد ١٠ سنوات كاملة من إكتشافه التاريخى .

وأكتفى المتحف بعرض ١٧٠٣ قطع غير مكررة .

* * *

أمضى كارتر السنوات العشر الأخيرة من حياته يحفظ ويرمم ويسجل كل آثار المقبرة وألف كتابا عن قبر توت عنخ آمون فى ثلاثة أجزاء ضمت

نحو ألف صفحة ولكنه اعتبره مجرد مذكرات شخصية تروى قصة الكشف ، وأنها تمهيد للعمل العلمى الذى ينبغى أن يقوم به .

وقدر - عام ١٩٢٦ - نفقات إصدار السجل العلمى لمذكراته عن الآثار بمبلغ ١٥٠ ألف دولار . وارتفع التقدير إلى الضعف عام ١٩٦١ وقيل أن الرقم يصل الآن إلى نصف مليون دولار .

ولم تصور هذه المذكرات بطريقة الميكروفيلم وهى محفوظة الآن فى معهد جريفيث فى أكسفورد بإنجلترا .

وعاش كارتر بعد إنتهاء عمله فى إنجلترا سبع سنوات ، لاحقه المرض ست سنوات منها فلم يستطع ، أوربما لم يفكر ، فى تنفيذ أحلامه القديمة فى البحث عن الآثار فى أثيوبيا .

وكان قد قرر فى وقت من الأوقات أن ينقب عن قبر الاسكندر الأكبر فى مدينة الاسكندرية .

وقال بعض العلماء أن كليوباترا نهبت ذهب قبر الاسكندر الأكبر لسداد ديونها .

وقال آخرون أن قيصر وأنطونيوس هما اللذان نهبا القبر . ولكن كارتر قال أن المليونير الأمريكى تيودور دافيز أعلن أنه إكتشف قبر توت عنخ آمون ولم يكن ذلك صحيحا ، وليس صحيحا أيضا ما قيل بالنسبة لقبر الاسكندر الأكبر .

ورأى كارتر أنه يمكن الوصول إلى القبر .

ولكن كارتر زار مصر عدة مرات ولكنه لم يعد إلى التنقيب عن الآثار وكان كل حياته كانت وقفا على قبر توت عنخ آمون !

كرمت جامعة ييل الامريكية كارتر فمئحته درجة الدكتوراة
الفخرية ، وجعلته أكاديمية التاريخ الاسبانية في مدريد مراسلا لها .
واستقبله رئيس جمهورية الولايات المتحدة مرتين ، ولكن لم
يستقبله ملك انجلترا ولم يدع ابدا إلى رقم ١٠ داوننج ستريت مقرر رئيس
وزراء بريطانيا .

وكان هاينريش شليمان الالماني مكتشف ذهب طرواده وآثارها قد
كرمه قيصر بلاده واستقبله رئيس وزراء بريطانيا ومنحته جامعة اكسفورد
درجة الدكتوراة الفخرية في القانون واختارته كلية الملكة « كوينز
كوليدج » زميلا فخريا .

ولكن الجامعات البريطانية والمصرية أمتنعت عن تكريم كارتر مع أنه
بقي في مصر أكثر من أربعين عاما يحفر وينقب عن الآثار .

ورفض الاثريون البريطانيون اعتباره واحدا منهم لأنه لم يتلق تعليما
في مدرسة أو جامعة .

ونظر اللوردات والنبلاء اليه على أنه خدم أحدهم وهو اللورد
كارنارفون !

وظل الجميع يعاملونه في ظل الاصول الطبقيّة على أنه من « الناس
الى تحت » !

وأقام المتحف المصري تماثيل نصفية - في حديقته - لعلماء الآثار
ولصوصها أيضا مثل مارييت ، وماسبيرو ، وبروكش ، وليسبيوس ،
وغيرهم ولكن المتحف لم يضع تماثلا لكارنارفون أو كارتر !

* * *

مات هوارد كارتر يوم ٢ من مارس عام ١٩٣٩ ليلة عيد ميلاده
السادس والستين فنعتة الصحف البريطانية التي طالما هاجمته وحاربه
وقالت انه من « عظماء رجال علم المصريين » .

ودفن يوم ٦ من مارس ، ولم يشيع جنازته سوى عدد محدود من
الأشخاص بينهم الليدى إيفلين كريمة اللورد كارنارفون والتي أحبه في
شبابها وفتنت بعلمه وشخصيته .

* * *

بعد شهر من وفاة كارتر سمحت مصر لأذاعات العالم « بنفخ »
نفيري الملك توت عنخ الفضى والنحاسى اللذين وجدا في المقبرة وكأنها
علامة وداع لكارتر أو إستقبال توت عنخ آمون له !! .

ظل الانجليز يحلمون بأثار الملك توت خمسين عاما حتى سمحت
مصر بعرض هذه الآثار في الخارج على أن يستغل الايراد لانقاذ آثار النوبة
ومعبد أبى سمبل .

عرضت خمسون قطعة - بينها قناع الملك - في معرض مدينة طوكيو
نظمتة صحيفة « أساهى » اليابانية عام ١٩٦٦ .

وأقيم معرض ثان لهذه الآثار عام ١٩٦٧ في المتحف الصغير في
باريس نظمتة الحكومة الفرنسية .

ورأت صحيفة « التايمس » البريطانية أن تستعيد ذكرى عقد إحتكارها القديم فنظمت معرضا للقطع الخمسين في المتحف البريطاني .
إستغرقت المفاوضات لعرض هذه الآثار ٣ سنوات .
وعقد إتفاق لهذا الغرض نص فيه على التأمين على الآثار المصرية بمبلغ ١٠ ملايين جنيه .

وتم التأمين على الآثار بمعدل عشرة آلاف جنيه عن كل كيلو . .
بينما كان ثمن كيلو الذهب - في ذلك الوقت - نحو ألف جنيه . . فكأن قيمة الكيلو من هذه الشحنة عشرة أضعاف كيلو الذهب !
وأمن على قناع توت عنخ آمون وحده بمبلغ مليون جنيه في سوق لندن .

وأمن على إحدى القلادات وفيها جعران يحمل قاربا وهو من الأحجار شبه الكريمة بمبلغ نصف مليون جنيه .
وأمن على سرير محمول على بقرتين بنصف مليون جنيه .
وأمن على قلادة يعلوها قرص الشمس بمبلغ ٣٠٠ ألف جنيه .
ولم يقل التأمين على أية قطعة من القطع الخمسين التى يضمها المعرض عن خمسة آلاف جنيه وهو المبلغ الذى أمن به على عصا الرماية المعقوفة وهى عصا صغيرة من الخشب .
وإتفق على إتخاذ إجراءات غير عادية لحماية المعروضات . .
بحيث لا يزيد عدد الزوار داخل المتحف ، فى أى وقت ، على ألف شخص والأعداد ، تراقب أتوماتيكيا .

شهدت إفتتاح العرض في لندن في مارس عام ١٩٧٢ .
نقلت آثار الملك إلى لندن ٣ طائرات الأولى حربية والثانية والثالثة
بوينج ٧٠٧ ونقلت كل طائرة ألف كيلو جرام من آثار الملك ، وكان عدد
الحراس داخل كل طائرة يفوق عدد الذى تولوا حراسة السير اليك
دوجلاس هيوم وزير خارجية بريطانيا ، ورئيس وزرائها فيما بعد ، عندما
زار مصر قبل ذلك بعام .

أشرف على شحن الصناديق الدكتور زكى إسكندر مدير عام مصلحة
الآثار .. وهو كيميائى .
حرص على علاج الآثار كيميائيا وتغليفها وشحنها وملء صناديقها
ببلاستيك .. ووضع كل صندوق داخل عدة صناديق مبطنة حتى تستطيع
الآثار مقاومة الضغط الجوى .. والحريق !

ووصلت الطائرة بشحناتها إلى قاعدة جوية قرب مدينة أكسفورد .
قال الدكتور زكى إسكندر لمندوب الشركة البريطانية الفرنسية التى
تخصصت في تغليف هذه الشحنات الغالية :

- إنتهى الفصل الأول من مهمتكم .

رد مندوب الشركة :

- أننا عندما نقلنا لوحة « الجيوكوندا » من فرنسا لأمريكا بالباخرة
إتخذنا الاحتياطات ليسبح الصندوق الذى شحنت فيه لوحة ليوناردو
دافنشى .. إذا سقطت الطائرة والصندوق فى البحر !

وقام السلاح الجوي البريطاني بنقل آثار الملك من القاعدة الحربية حتى المتحف البريطاني .

كان في إنتظار كل طائرة خمسون من جنود إسكوتلاند يارد راكبي الموسيقىكلا لا يعرفون شيئاً عن الشحنة . . ولا عن الطريق الذى سيسيرونها فيه . . ويتلقون أثناء الرحلة من المطار حتى دار المتحف تعليمات لاسلكية تحدد لهم الشوارع التى يخترقونها .

وكانت سكوتلاند يارد عن طريق العقول الاليكترونية تفتح إشارات المرور أمام شحنة الآثار المصرية حتى وقفت أمام المتحف البريطانى حيث الحراسة خيالية .

وعندما إستقرت الصناديق فى الدور الأول من دار المتحف . . أحس الجميع بالأمان . . فقد أقيمت شبكة اليكترونية للحراسة . . وإنتشرت عدسات التليفزيون فى كل حجرة .

وأصبح مستحيلا إختراق أرض المتحف لأى عصابة من لصوص الآثار فأن اجراس الأنذار تدق فى كل إدارات الشرطة فى العاصمة البريطانية . . عند أية محاولة للسرقة .

وقام رجال الشرطة بمراقبة الجمهور بعدسات تليفزيونية دون أن يندسوا (وسط الزوار) .

* * *

فرض الملك توت عنخ آمون نفسه على إنجلترا والانجليز .

قالوا :

- كان العامل المصرى والمهندس المصرى والفنان المصرى يبدعون
 فى عمل هذه الآثار العظيمة بينما لانعرف نحن تاريخا لنا إلا منذ الغزو
 النورماندى . . أما قبل ذلك فكنا نلبس الجلود .
 . . . والألوان مازالت محتفظة بريقها مما يدل على خلود الفن
 المصرى القديم .



وتغيرت لندن بسبب العرض .
 فى واجهات محلات المجوهرات . . قطع جديدة من الحلى
 والعقود تقليدا لقناع الملك وآثاره والعقود التى وجدت فى قبره . . وكان
 التقليد متقنا إلى الحد الذى دفع الأثريين المصريين إلى أن يطلبوا إلى
 صانعى هذه المجوهرات أن ياعدوا بين الأصل والحقيقة على قدر
 الطاقة !

وكل الشركات المنتجة للسلع الاستهلاكية أصبحت تنشر إعلانات
 فى صفحات كاملة من صحف لندن تنصدها صورة كبيرة للملك-توت
 باعتبار أن هذه الصورة هى التى يمكن أن تجذب إنتباه الناس .

وإحدى شركات السجائر سبقت غيرها عندما نشرت صورة سيجارتها
 الجديدة مع صورة توت وكأنها تريد أن تقول للمواطنين . . هذه سيجارة
 توت المفضلة .

وهناك أدوات ومستحضرات تجميل وباروكات شغرى قليلة إنها من
 لوازم الملك وزوجته الملكة !

وفي محلات الملابس « بلوزات » وقمصان عليها رسوم لأثار الملك .

وفي محلات القمار والكازينات أوراق لعب وزهر « النرد » طاولة قالوا أن الملك الفرعوني لم يكن يلعب إلا بمثل هذا الزهر وتلك الأوراق !

حقائب وملابس وتحف وإسطوانات وقطع موسيقية وشرائط تسجيل لموسيقى قيل أن الملك كان يستريح إلى أنغامها !

وكتوس قيل أن الملك لم يكن يشرب الخمر إلا فيها .
بل ان المطاعم إبتكرت عشاء خاصا وقالت للراغبين :
- تناولوا عشاءكم على طريقة توت .

والأغرب من هذا كله أنهم صنعوا توابيت وعوامات للسباحة أطلقوا عليها إسم توت .

باختصار طبع توت الحياة في العاصمة البريطانية بطابعه .
وربح التجار والمبتكرون كثيرا من وراء الملك وآثاره .



وفي قاعات السينما عرضت أفلام عن الفراعنة .. بعضها تسجيلي وبعضها روائي .

وفي قنوات التلفزيون برامج عن المعرض والملك توت ومصر القديمة والحديثة .. حتى أن مخرجا ذكيا قدم برنامجا طريفا إسمه « كيف تهرب من توت ؟ » فان هذه الآثار حاصرت الانجليز بحيث أصبح من الضروري أن تقدم إليهم وسيلة للفرار من هذه الآثار !

ولكن الصحافة ، التي قدمت ملاحق كثيرة عن مصر ، قدمت أيضا عرضا طريفا عن تأثير الكشف الأثرى على الموضوعات والأزياء عام ١٩٢٢ كما قدمت آراء غريبة عما ينتظر حدوثه في العالم كله لو أن آثار تسوت إكتشفت هذه الأيام !

ان ما حدث عند إكتشاف المقبرة عام ١٩٢٢ تكرر بعد نصف قرن . ولا تزال هذه الآثار تفتن العالم !



إفتحت المعرض الملكة اليزابيث الثانية ملكة بريطانيا العظمى . تساءلت الملكة وهي تقف أمام أحد التماثيل لفرعون مصر وهو يمسك حربة قالت :

- ألاحظ أن التمثال الخشبي فيه إنحناءة . . هذه أول مرة أرى فيها تمثالا لفرعون مصر وهو ينحني .

أسرع الدكتور جمال مختار مدير هيئة الآثار والدكتور أحمد قدرى الذى خلفه فى منصبه يقولان لصاحبة الجلالة :

- فراعة مصر لا ينحنون . . ربما كان الخطأ فى عدم إستقرار قاعدة التمثال أو تأثير عوامل التعرية على الخشب .
إبتسمت صاحبة الجلالة . . .
وانحنى - فى رقة - أمام قناع الملك !

الاعتراف

ملأت الآثار التي نهب من مصر على امتداد ألفى سنة متاحف إنجلترا وفرنسا وألمانيا وبلجيكا وهولندا وإيطاليا والولايات المتحدة كما تجتمعت في هذه الدول ، آثار أخذت قسرا من الدول المحتلة . ونجحت الدول « المنهوبة » في صياغة اتفاقية لإعادة ، أو رد الممتلكات الثقافية إلى بلدانها الأصلية وافق عليها المؤتمر العام لمنظمة اليونسكو في اجتماعه بتاريخ ١٤ نوفمبر عام ١٩٧٠ .

ووجه مدير عام اليونسكو نداء للدول لإعادة التراث الثقافي الذي لا يمكن تعويضه إلى أصحابه .

وعرض الأمر على الجمعية العامة للأمم المتحدة فدعت - أكثر من مرة - إلى رد الأعمال الفنية والآثار والتحف والوثائق وسائر الكنوز الثقافية أو الفنية الأخرى التي تعتبرها الدول ذات قيمة روحية وثقافية أساسية لها إلى بلدانها .

وقعت على اتفاقية اليونسكو ستون دولة حتى الآن ، بينها مصر . وقد انضمت إلى هذه الاتفاقية ألمانيا الغربية عام ١٩٧٤ والولايات المتحدة في ديسمبر عام ٨٣ ورفضت الانضمام إلى هذه الاتفاقية كل من بريطانيا وفرنسا اللتين ترفضان إعادة الآثار . وتعللت الدولتان بأن الاتفاقية لا تضع تعويضا كاملا ومحددا للعمل الفني !

وكانت من نتيجة هذه الاتفاقية ، والضغوط التي قامت بها الدول النامية أن بدأت عملية إعادة بعض الآثار والأعمال الفنية المحدودة إلى أصحابها الأصليين .

وأشهر الأعمال الفنية التي ردت مخطوطات أدبية من العصور الوسطى أعادتها الدانمرك إلى ايسلندا يوم ٢١ ابريل عام ١٩٧١ . حملتها فرقاطة دانمركية وخرج سكان ايسلندا ، جميعا ، ينتظرون عودة المخطوطات وأذيع الوصول والاستقبال على الهواء في الاذاعة والتلفزيون ا

وكانت ايسلندا مستعمرة دانمركية فلما استقلت عام ١٩٤٤ ظلت ربع قرن تطالب بالمخطوطات حتى وافق البرلمان الدانمركى . أعادت فرنسا للجزائر ٣٠٠ لوحة ، وبلجيكا لزاثير آلاف القطع ، وأمريكا لجواتيالا قطعة كانت محفوظة في متحف بروكلين ، وقطع أخرى لبها ، وسلمت نيوزيلندا قناعا أثريا ، إلى بابوا في غينيا الجديدة ، وهولندا وقعت اتفاقا مع أندونيسيا لإعادة قطع هامة ، وفرنسا قدمت للعراق بعض قوانين بابل ، وردت جنوب أفريقيا إلى زيمبابوى تماثيلا لعصافير ، ومن معهد ويلكام في انجلترا أخذت اليمن مجموعة جُمَيْرِيَّة .. وأعيدت آثار إلى أثيوبيا وأكوادور وبيرو وكينيا .. الخ .

والأمثلة كثيرة فإن سرقة الآثار شائعة حتى أن الكاتب الفرنسى الكبير أندريه مالرو الذى تولى منصب وزير الثقافة انتهز - فى شبابه - فرصة قيامه بأبحاث أثرية فى كمبوديا عام ١٩٢٧ فسرقت قطعاً من

معبد وحكم عليه بالسجن ثلاث سنوات ولكن محكمة الاستئناف في سايجون خفضت العقوبة إلى الحبس سنة مع إيقاف التنفيذ ! ورأى بعض الوطنيين أن يستردوا آثار بلادهم بأنفسهم فسرق الاسكتلنديون قطعة حجرية أثرية من كنيسة وستمنستر في قلب لندن ليلة عيد الميلاد عام ١٩٥٠ وأعادوها إلى بلادهم .

وسرق صحفي مكسيكى اسمه جوزيه لويس كاستانيدا مخطوطا مكسيكيا من ١٨ صفحة من المكتبة الوطنية في فرنسا وسلمها إلى معهد المكسيك للأنثروبولوجيا والتاريخ .

أما مصر فحصلت على تمثال لآمون أعادته محكمة فرنسية عام ١٩٨١ .

ولكن لا يمكن رد كل الآثار بإعادة سرقته مرة أخرى ، وليست العملية سهلة كما أن أغلب السرقات تمت أثناء الاحتلال وفي ظروف لا يمكن أن تتكرر .

وقالت الدول التي سرت الآثار أنه لا يوجد ما يدعو لإعادتها فأننا نعيش في عصر يعتبر الفن بلا عنوان وملك للبشرية جميعا وأن المتاحف الآن بلا أسوار إذ يمكن تصوير كل ما في متاحف العالم في أفلام للفيديو تعرض في كل مكان ، وفي البيوت أيضا فتنتقل الآثار إليك وأنت في مكانك .

وهذه النظرية تبرر السرقة وتحمي اللصوص ويمكن الرد عليها بإعادة الآثار لأصحابها وتكتفى الدول الكبرى بهذه الأفلام ! ومن ناحية أخرى فلا بد أن تتكرر مطالبتنا بإعادة بعض القطع

ذات الأهمية القومية في حضارتنا مثل حجر رشيد وتمثال « الكاتب
الجالس » و « سقف الأبراج » الزودياك المنزوع من معبد دندرة أثناء
الحملة الفرنسية والمحفوظين بمتحف اللوفر وتمثال نفرتيتى بمتحف
برلين . الغربية .

والمطالبة لا تعنى ولا تقتضى الاستجابة ! !

بقيت الآثار المصرية التى نهبت على امتداد ألفى سنة من
المومياوات والتوابيت والتماثيل والآثار وأوراق البردى فى أغلب
متاحف العالم .

ولم تتمكن مصر من استرداد آثارها لأن بعضها صدر فى ظل
تشريعات كانت تسمح بتصدير واهداء وبيع الآثار أيضا .
ولم تستطع مصر إقامة آلاف الدعاوى للمطالبة بآثارها إذ
لا توجد أدلة قانونية يستند إليها فضلا عن أن ذلك يتكلف مئات
الملايين من الجنيهات .

ورأت مصر أن تجرب أسلوب التفاوض لإعادة جزء من ذقن
تمثال أبو الهول الذى نحت عام ٢٦٠٠ قبل الميلاد ، والتى أضيفت
للمثال بعد ١٣٠٠ سنة من بنائه فى عهد تحتمس الرابع .
وقد وجدت الذقن بين مخالب التمثال الضخمة ، وقدمت
للمتحف البريطانى حوالى عام ١٨١٨ .

طلب وزير الثقافة المصرى عبد الحميد رضوان إعادة جزء من
الذقن يوجد بمخازن المتحف البريطانى للحاجة إليه فى ترميم التمثال

وبالذات لرأسه التى تزن ٩٠٠ طن .
قالت الحكومة البريطانية إن طلب مصر سيرفض إلا إذا أثبتت
بما لا يدع مجالا للشك أن القطعة مسروقة !
ولم تذكر الحكومة البريطانية أبدا كيف حصلت على ذقن
أبو الهول أو جزء منها !
عرضت مصر أن تقدم تمثال أنوبيس الذى يحتفظ المتحف
البريطانى برأسه ، ويريد جسده ! !
خشى المتحف أن يعيد الذقن فتكون هذه « سابقة » لمصر وغيرها
من الدول فتطالب بآثارها وقال إن قوانينه تمنع التنازل عن أية قطعة
إلا إذا كانت مزدوجة وأنه مستعد لإقراضها وإعادتها لمصر مدة
١٠ سنوات على أن تحفظ بالمتحف المصرى .
قال وزير الثقافة إن هذا الجزء من الذقن الذى يرتفع نحو ثلاثة
أقدام سيوضع فى تمثال أبو الهول نفسه ، ولا يمكن إعادته بعد ذلك
ولابد أن يكون « القرص » دائما .
قال المتحف أن الإعادة ستمد كل ١٠ سنوات .
استمرت المفاوضات التى بدأت عام ٨٢ حتى نوفمبر عام ١٩٨٤
عندما أعلن المتحف فى الصحف الموافقة .
وفى نوفمبر ١٩٨٥ ، أى بعد عام ، أعلن السير دافيد ولسون
مدير المتحف البريطانى أن ذلك الجزء من ذقن « أبو الهول » لم يعد إلى
مصر ولن يعود .. وأنه ليس مطلوبا فى القاهرة ! ! .

وبقيت آثار توت عنخ آمون وحدها تطوف قطع منها فرنسا وأمريكا واليابان ثم تعود ثانية إلى مصر التي نسيت تماما عملية السرقة حتى فوجئت بصحيفة «الأوبزرفر» البريطانية تنشر في صفحتها الأولى يوم أول نوفمبر عام ١٩٨٧ أن صالة كريستى الشهيرة للمزادات ستطرح للبيع ١٢٧ قطعة من الآثار المصرية بينها اللوحة الذهبية لتوت عنخ آمون .

وهذه اللوحة تبين حفل تتويج الملك توت وحوله الإلهان «أتون» و«رع» . طولها ٩ بوصات وعرضها ٣ بوصات وهى من الأثاث الجنائزى للملك الفرعونى وجزء من عرشه . وقالت مؤسسة كريستى أنها لا تعرف كيف وجدت هذه اللوحة أو من أين أخذت أو انتزعت !

وأضافت إن البائعين هم ورثة جامع التحف الألمانى ولهم هورن الذى ولد فى برلين عام ١٨٧٠ ، وقد اشترى هذه التحفة الأثرية فى الثلاثينيات من هذا القرن . . أى بعد اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون . وكان هورن صديقا لهوارد كارتر !

وقالت الدكتورة انسل جرين مستشارة دار كريستى فى علم المصريات أن ثمن اللوحة يمكن أن يصل الى ١٥٠ ألف جنيه استرليني فهى المرة الأولى التى تطرح فيها بعض آثار الملك الفرعونى بالمزاد العلنى .

وأضافت أن هذه القطعة سرقت من مصر ! تحركت وزارة الثقافة فى القاهرة أبلغت البوليس الدولى وراجعت

القوائم التى سجلها كارتر لمقتنيات المقبرة فتبين أنه لم يسجل هذه اللوحة وبالتالي فلا بد أنها خرجت من مصر بطريقة غير قانونية . وطلبت الوزارة إلى هيئة اليونسكو فى باريس بحث حقيقة اللوحة . وأبرقت إلى السفارة المصرية فى لندن لوقف البيع . وكتبت السفارة المصرية إلى مؤسسة « كريستى » تحذرها من البيع لأن مصر تملك اللوحة والمزاد يعتبر غير قانونى ، واحتجت السفارة على إجراءاته .

تدخل المجلس العالمى للمتاحف ، بناء على طلب اليونسكو ، فوجد أن اللوحة مزيفة ، قام بصنعها مزيف ألمانى معروف فى برلين خلال الثلاثينيات من هذا القرن .

وقال متحف برلين إن هذه القطعة مسجلة لدى المتحف فى « كتالوج » ضمن القطع المقلدة .

وأكد ذلك أيضا الأستاذ هارى جيمس مدير قسم مصر بالمتحف البريطانى الذى قال إن الخبراء البريطانيين تأكدوا تماما بعد فحصهم للوحة أنها مزورة ! .

سحبت اللوحة من « قاعة كريستى » ولم يعرف عنها شيء بعد ذلك ، وأيضا لم يعرف شيء عن اللوحة الفرعونية الأصلية ! وهكذا فرضت لوحة مزورة اسم الملك توت عنخ آمون على الصحافة المصرية والعالمية .

بعد ثلاثة شهور تقريبا أصبح اسم توت عنخ آمون موضوعا رئيسيا فى كل صحف العالم بنفس الصورة التى حدثت قبل ذلك بستين عاما : فقد نشرت صحيفة « التايمس » البريطانية يوم ٧ من مارس عام ٨٨ بعنوان عريض ضخم « مانشيت » فى الصفحة الأولى « كنوز أثرية لها علاقة بكشف توت عنخ آمون » .

وقالت « التايمس » إنها كانت أول من نشر فى ٣٠ نوفمبر عام ١٩٢٢ عن اكتشاف آثار توت عنخ آمون وهى ملحمة تزخر بالكنوز الأثرية والخيال وإرادة الانسان فضلا عن الأهمية العلمية الهائلة . وقالت « التايمس » إنها تكشف الآن قصة مذهلة أخرى عن مزيد من الكنوز الأثرية أخفيت عن الأنظار طيلة الستين عاما الماضية فى منزل أسرة كارنارفون !

وأعلنت « التايمس » اكتشاف ٣٠٠ قطعة من الآثار المصرية فى قلعة « هايكلير » التى يملكها اللورد كارنارفون منها وجه خشبى لجد توت عنخ آمون الملك أمينوفيس الثالث الذى توفى عام ١٣٠٣ قبل الميلاد وكان يدعى أحيانا « المدهش » وكانت مصر حينئذ فى قمة ثروتها وفنها وازدهارها . ورقائق من الخزف الأزرق مختومة باسم والد أمينوفيس يرجع تاريخه إلى ٣٢٠٠ عاما ، وعقد من الخزف منذ عام ١٧٠٠ قبل الميلاد ، وزخرفة لمومياء فردت جناحيها لتلف جسد الميت وتمثال لقرايين ، وعجل أبيس مصنوع من البرونز ، وغطاء للمعصم لحمايته من السهام صنع من الجلد المزين ، ورأس مزدوجة لصقر وأبو الهول من الخزف المصرى الملون وقدران من الخزف الأزرق مزينة

برسم زهرة اللوتس باللون الأسود . ويقايا سيد قشطة وشفدة
وأسد ومجوهرات ضخمة وتمثالين من البرونز يمثلان الاله حورس
الطفل وتاج أزرق وصندوق مجوهرات بمحتوياته كاملة من عقود
العقيق الأحمر والجعارين . . .

و . . . آثار مصرية أخرى كثيرة تكون الـ ٣٠٠ قطعة التي
ذكرت الصحيفة البريطانية أنها وضعت في القصر منذ العشرينات
دون أن يعلم اللورد أو أى من أفراد أسرته بوجودها .

والغريب في الأمر أن اللورد كارنارفون مكتشف المقبرة مات قبل
أن يعلم بوجود مومياء توت عنخ آمون ، ومات ابنه دون أن يعرف
بوجود هذه الآثار في قصره ، أو أنه احتفظ « باللعنة » دواما في
قصره . . . وهو لا يدري !

ورددت الصحيفة القصة التالية ..

مات اللورد بورشستر نجل اللورد كارنارفون في سبتمبر عام
١٩٨٦ وخلفه ابنه حفيد مكتشف توت عنخ آمون .

ولد الحفيد عام ١٩٢٤ أثناء الصراع الدامي بين ورثة جده
والحكومة المصرية على ملكية الآثار ، وقد اشترك في الحرب العالمية
الثانية وأمضى ثلاثة أيام في القاهرة أثناء الاجازة عام ١٩٤٣ .

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية سقط رئيس وزراء بريطانيا
المحافظ ونستون تشرشل في الانتخابات وجاء حزب العمال فظن
الحفيد أن ملاك الأراضي لن يستطيعوا الاحتفاظ بها إلا إذا زرعوها

بأنفسهم فأراد أن يعد نفسه كمزارع ليتولى زراعة أرضه فلا مستقبل لتأجيرها فالضرائب باهظة .

وهكذا آلت قلعة « هايكلير » إلى الحفيد .
والقلعة ، كما هو معروف ، أقامها المهندس المعماري شارلز باري عام ١٨٤٢ وقد بنى دار البرلمان البريطاني بعد ذلك .
وتقع القلعة وسط ضيعة مساحتها ٥٥٠٠ فدان ، زرعت فيها أشجار الأرز لأول مرة في بريطانيا .
ولهذا السبب وخلافا لكثير من الضياع ظلت « هايكلير » لا تمس .

ورأى الحفيد إعادة تنظيم البيت وطلائه وجرد الأثاث والفضيات وقطع الصبني واللوحات الزيتية التي تملأ كل الحجرات وعهد بذلك إلى مؤسسة « سوثنى » المنافسة لشركة « كريستى » .
استعان اللورد بكبير الخدم السابق للأسرة واسمه روبرت تيلور وهو فى الخامسة والسبعين من عمره ويعرف الكثير عن القصر ويتمتع بذاكرة قوية !

وقد التحق تيلور بخدمة اللورد عام ١٩٣٦ ، وجند فى الحرب العالمية الثانية وأصبح بطلا كقائد دبابة ثم عاد إلى القلعة فى يناير عام ١٩٤٦ وبقي بها حتى اعتزل الخدمة ثم عاد ليساعد اللورد كارنارفون الجديد فى تجديد القصر وجرد محتوياته .

أخذ الرجلان ، اللورد وكبير الخدم ، يتجولان فى يوليو ١٩٨٧ داخل القصر الكبير .

قال اللورد :

- يبدو أن ذلك هو كل شيء في الجرد .

قال تيلور :

- نعم ياسيدى اللورد عدا الآثار المصرية .

قال اللورد :

- انى أعرف كل شق في القلعة وأعرف « هايكلير » أفضل من أى

انسان آخر في العالم وأظن أنه لا يوجد عندنا شيء مصرى .

وأضاف :

- أنت تعلم أن أبى كان يرفض الحديث عن مصر اطلاقا .

قال تيلور :

- كل فرد في « هايكلير » كان يعتقد خلال فترة عملى أن الأسرة

قطعت علاقتها بمصر منذ عام ١٩٢٤ بعد ما خسرت قضيتها ضد

الحكومة المصرية بشأن طلب امتلاك نصف آثار توت عنخ آمون وكنا

- نحن الخدم - نرى أباك خائفا من لعنة الفراعنة .

وأضاف كبير الخدم :

- هناك الدولابان السريان .

ومرة أخرى نظر اللورد إلى كبير خدمه متسائلا .

قال تيلور :

- لقد عرفت سر هذين الدولابين منذ سنين ووجدت أنها

يحويان آثارا قديمة وافترضت أن الأسرة على علم بها .

قاد كبير الخدم ، قوى الذاكرة ، اللورد إلى البابين اللذين يربطان حجرة الرسم بحجرة التدخين ، وقد ظلّا مغلقين لسنوات طويلة بمناضد وضعت خلفها . وبين البابين مساحة طولها ثلاثة أقدام فيها دولابان يمتدان داخل الحائط غطيا بأعشاب ويوحى حجمهما بأنهما يحتويان على كمية كبيرة من المواد .

وكان الدولابان مملوئين بالعلب ووبر القطن ، وكلها مخبأة في فتحات .

فتح تيلور الدولاب الأول وأخرج علبة سجائر مصرية . وأخرج اللورد بعض القطع المعدنية والعقود الخرزية تبرق بلون أزرق وأخضر زاه مذهل .

تعرف اللورد على بعض الآثار وقال :
- كنت أعتقد أن كل قطعة من الآثار المصرية نقلت من القلعة منذ زمن طويل .

وطلب من تيلور الصمت لأن فريقا سينهايا كان - مصادفة - يصور داخل القلعة ولأن هذه المجموعة من الآثار قد تكون لها علاقة بتوت عنخ آمون .

وفى ظل هذه الحالة من الانفصال اتصل بدار « سوثنى » وكذلك هارى - جيمس المشرف على الآثار المصرية فى المتحف البريطانى لفحص هذه الآثار المصرية .

ظلت شركة « سوثنى » وخبراء المتحف البريطانى يجوبون القلعة ، يفتشون غرفها ، ويفحصون كل قطعة فنية من الأثاث لعلها تكون مصرية خلال الشهور الثانية التالية .

وبالفعل « اكتشفوا » آثارا كثيرة فى كل مكان . . . تقريبا . وجدوا بعضها فى حجرة التحميص الخاصة بالتصوير التى كان يستعملها اللورد مكتشف المقبرة .

وكان الحفيد يفحص « الكراكيب » فى حجرة التحميص هذه عندما وجد رأسا صغيرة من البرونز مثبتة عند قاعدة النافذة . . . وتحت أنابيب التدفئة وجدوا الجعران المقدس فى مصر القديمة .

.. وفى حجرة الوثائق التى لم تستعمل منذ سنوات عثروا على زهرية كبيرة من المرمر .

.. وفى حجرة نائية متربة مليئة بالأسمال البالية كان يلعب فيها أحد أبناء العاملين « البنج بونج » رأوا قطعة من الحجر عليها نقوش بالكتابة الهيروغليفية .

وتتابع « اكتشاف » الآثار فى حجرات القلعة المهمة .

قال اللورد :

.. كانت هناك قطع من الأخشاب متناثرة على الأرض لا نلاحظها

عادة وتحولت إلى أن أصبحت وجوها جنازية وصناديق للمجوهرات ، ولم يفعل الدكتور ريفز - خبير ترميم الآثار في المتحف البريطاني - شيئا سوى أنه ضم الشرائح جنبا إلى جنب في المكان الذي وجدت فيه لنرى أنها صندوقا للمجوهرات !

وكان ريفز منفعلا للغاية كما لو أنه فاز في سباق هام فهذا مجاله وأرض سباقه .

وقال :

- يمكن التعرف على كثير من القطع مما ورد في كتابات هوارد كارتر بما في ذلك مثلا علبة مجوهرات .

.. يقصد ريفز بذلك ، القول بأن هذه الآثار ليست مسروقة منذ أشار إليها كارتر في كتاباته عن حفرياته قبل مقبرة توت عنخ آمون !

ظلت عملية البحث عن الآثار وحصرها وجردها وتسجيل قائمة بها مستمرة ثمانية شهور كاملة دون الاعلان عنها حتى أذاعت « التايمس » نبأ الاكتشاف الجديد لتعيد قصة الكشف الأول للمقبرة مما جعل اسم توت عنخ آمون يتردد مرة ثانية في صحف واذاعات العالم .

وظلت التايمس تروى القصة لمدة اسبوع ..
وتميز النشر ، هذه المرة بالحرص الشديد .

كتب عن بعض الآثار أنها تمثل عصورا وأزمنة وتواريخ للملك
عاشوا بعد توت عنخ آمون حتى تنفى تماما أن هذه الآثار وجدت في
مقبرة توت عنخ آمون !

وقالت الصحيفة :
« اكتشفت جميع هذه القطع على يدى اللورد كارنارفون وهوارد
كارتر » خلال عدة مواسم للتنقيب عن الآثار وذلك قبل كشفها لمقبرة
توت عنخ آمون عام ١٩٢٢ ، أو اشتراها اللورد لضمها إلى
مجموعته ، وكان اللورد وكارتر يشحنون هذه الآثار إلى « هايكلير » في
نهاية كل موسم . خلال السنوات من ١٩٠٧ حتى عام ١٩١٤ وقد
وضعا كتابا عنوانه « خمس سنوات استكشاف في طيبة » .

وقالت التايمس :
« كان الكتمان والصمت أول ما خطر على بال اللورد كارنارفون
عندما اكتشف القطع لأن أية آثار مصرية تعيد إلى الأذهان ، على
الفور ، اسم توت عنخ آمون .

واعتقد اللورد أن المكتشفات لابد أن تكون من مقبرة الملك
الشاب .

وإذا كان الأمر كذلك فمن شأنها أن تثير ضجة مع الحكومة
المصرية حول المالك الحقيقى فإن المصريين احتجوا في ديسمبر عام
١٩٨٧ على بيع قطعة ذهبية في صالة « كريستى » قيل إنها من
المقبرة .

وعلى أية حالة فقد بين خبراء المصريات هارى جيمس المشرف على الآثار المصرية القديمة بالمتحف البريطاني ومساعدته الدكتور نيكولاس ريفز أن أيا من هذه القطع الهامة ليس لها علاقة مباشرة بمقبرة توت عنخ آمون على ما يبدو .

وقد نقل الخبراء محتويات الدولابين وغيرهما إلى لندن أولا حيث جرى فحصها ودراستها عن كثب ثم أعادوها إلى « هايكلير » حيث جرى مزيد من الدراسة حولها .

وقال هارى جيمس إن القطع من مقبرة جد توت عنخ آمون أمينوفيس الثالث لها أهمية خاصة .

وحرصت الصحيفة على تأكيد أن أغلب الآثار من شرق الدلتا وسخا ومن مقبرة الملك أمينوفيس الأول وأمة وقرية القرنه وأنها جميعا اكتشفت خلال السنوات من ١٩٠٣ حتى ١٩١٤ .. أى قبل اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون !

ورغم هذه التأكيدات كلها فإن « التايمس » نفسها ألفت بذور الشك فى نفس القارىء .

قالت :

* مصدر الـ ٣٠٠ قطعة التى أعيد اكتشافها فى « هايكلير » ليس مؤكدا بعد .

* لم يعرف حتى الآن من الذى وضع القطع الأثرية فى

الدولابيين ، وليس عروفا ما اذا كان الهدف اخفاءها أم لا .

ويقول الدكتور ريفز :

- من الصعب القول بمجرد النظر إلى الدولابيين ، اذا كان المفترض أنها غباين أم لا ، ولا أعتقد أن أحدا يعرف جميع أسرار « هايكليير » .

ولم تقدم التايمس تفسيراً منطقياً يبرر عدم العثور على هذه الآثار المتناثرة في كل مكان إلا بعد مرور ٦٤ سنة على اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون عندما أصبح الحديث عن استعادة مصر لهذه الآثار أمراً صعباً أو مستحيلاً .

ولماذا لم يعلن عنها اللورد أو كارتر قبل بدء البحث عن مقبرة توت عنخ آمون ، ولم الحرص على إخفائها بهذه الصورة والأهم من ذلك كله :

- لماذا ظل اللورد يخفى أمر هذه الآثار ثمانية شهور كاملة مستعينا بالمتحف البريطاني وخبرائه حتى يمكن نسبة هذه الآثار إلى عصور أخرى من خلال إعادة دراسة التاريخ المصرى وآثاره المكتشفة ؟ وعلى أية حال فقد اعترفت « التايمس » بسرقة كارنارفون وكارتر لبعض آثار توت عنخ آمون .

قالت التايمس :

« آثار توت عنخ آمون التى ظهرت فجأة في المتاحف الأمريكية

والأوراق التي وجدت ، بعد سنوات ، في متحف المتروبوليتان في نيويورك تبين أنها ، أى القطع ، نقلت من المقبرة بشكل غير رسمى .

وبررت الصحيفة البريطانية ذلك بقولها :

« هذا أمر لا يثير الدهشة فقد جرت العادة فى تلك الأيام أن يقتسم علماء الآثار اكتشافاتهم مع الحكومة المصرية بنسبة النصف ، كما كان التقاط بعض القطع قبل هذه القسمة أمرا عاديا للغاية .

وكان هذا العرف هو الذى أدى إلى انتشار وتشتت الآثار المصرية القديمة بشكل عشوائى فى جميع أنحاء العالم » !

ويعتبر هذا اعترافا صريحا بالسرقة من الصحيفة التى حصلت على حق احتكار وامتياز نشر اكتشافات كارنافون وكارتر !

* * *

قرر اللورد فتح قصره شهرين كل عام حتى يتجول الناس داخل القصر لا ليروا المكتب والكرسى اللذين كانا يوما ملك نابليون وحجرة النوم التى كان يستخدمها اللورد الحالى وزوجته الأمريكية جين عند زفافهما ولكن ليروا الكنوز المصرية التى يرجع تاريخها إلى ثلاثة أو أربعة آلاف عام ، والتى ظهرت أخيرا لتؤكد عملية السرقة والشكوك التى راودت رجال الآثار فى مصر بأن كارنافون وكارتر من اللصوص !

* * *

لم تتوقف الصحف عن نشر أنباء توت عنخ آمون وآثاره
المتنوعة !

عادت « التايمس » ، بعد شهرين ، تكتب ، وفي الصفحة
الأولى أيضا ، عن اكتشاف الجيوب والبذور النباتية الخاصة بمراسم
دفن الملك الفرعونى توت عنخ آمون فى عدة صناديق للحفظ بحدائق
« كيو » الشهيرة فى احدى ضواحي لندن .

قالت يوم ١٨ مايو عام ١٩٨٨ أن هذه الجيوب أحضرها كارتر
معه إلى لندن عقب اكتشافه للمقبرة عام ١٩٢٢ وأودعها الخديقة .

وقام كارتر بتسجيل كل صنف من هذه الجيوب ، بعناية ، فى
كتالوج ولكنها ، بمرور الوقت ، أهملت . وقد اكتشفها أحد
الدارسين بجامعة لندن فقام ، بتكليف من الجامعة ، بإعادة ترتيبها
وتجميعها .

وقالت الصحيفة إن المسئولين عن الحدائق أكدوا أن الجيوب
يرجع تاريخها إلى عام ١٣٢٥ قبل الميلاد وتملكها الحكومة المصرية
وقد أعطتها هيئة الآثار المصرية لكارتر عام ١٩٣٢ لإجراء البحوث
اللازمة عليها والتعرف على نوعها .

وكانت هذه أول مرة تعلن فيها هيئة بريطانية عن استعادتها
لإعادة بعض آثار الملك توت !

وعلى أية حال وافقت هيئة الآثار على احتفاظ حدائق « كيو »

بجزء من الجوب للاستفادة بها للأغراض العلمية في انجلترا
ومؤسساتها وإعادة باقى هذه المواد لمصر .

ولم تعد لمصر ، حتى الآن ، باقى الجوب ا

* * *

وفى ١٥ يوليو عام ١٩٨٩ نشرت التايمس مرة أخرى ، وفى
الصفحة الأولى أيضا أن القلعة كشفت مرة أخرى مزيدا من الكنوز
المصرية .

قالت الصحيفة أنه عثر على رأس من الالاباستر ارتفاعها
٣ بوصات للملك أمينوفيس الثالث ، جد توت عنخ آمون ، تشبه
تلك التى توجد فى متحف المتروبوليتان فى نيويورك .

.. وأن اللورد سيفتح فى قصره قاعة شاي ثلاثة يجلس فيها
الناس ليروا الآثار المصرية .

ومرة أخرى قال الدكتور نيكولاس ريفز أن كارتو سجل هذه
القطعة فى أوراقه وكان الجميع يعتقدون أنها فقدت ا

ولم يعرف ، على وجه اليقين ، هل عثر على هذه الرأس من
قبل ، أم أنها جزء من حملة الدعاية لزيارة قصر اللورد كارنارفون ا
الذى رأى أن يحتفظ « باللعنة » التى أصبحت مصدر ايراد ضخمة
جديد .. للحفيدة ا

وتجدد الحديث مرة أخرى عن توت عنخ آمون ، وفى الصفحة
الأولى من صحيفة التايمس .. أيضا .

نشرت الصحيفة يوم ١٥ أكتوبر ١٩٩٠ أن الدكتور نيكولاس ريفز عرف مكان أوراق البردى التي اختفت من مقبرة توت عنخ آمون ويعتقد أنها لاتزال داخل تجويف أثرى في تمثالى الحارسين اللذين يقفان على جانبي الممر المؤدى إلى حجرة المدفن داخل المقبرة .

وقال ان بلزوني عندما اكتشف مقبرة سبتي الأول عام ١٨١٧ وجد داخل تمثال خشبي ارتفاعه ٤ أقدام لفة من أوراق البردى . وفي تمثال من مقبرة أمينوفيس الثاني (١٤٢٧ - ١٤٠١ ق . م) وجد تجويفا مماثلا في ظهره بردية ملفوفة جيدا .

وفي تمثال لحارس بالحجم الطبيعي ، يوجد بالمتحف البريطاني منذ عام ١٨٢٣ ، الأرجح أنه من مقبرة رمسيس التاسع (١١٣١ - ١١١٢ ق . م) نزع طبة ذهبية فكشفت عن تجويف يكفى لإخفاء وثيقة بردية طولها ٢٠ قدما .

وقال الدكتور ريفز أن تمثالى الحارسين بالحجم الطبيعي ، في مقبرة توت عنخ آمون ، تخفى وظيفتهما الأصلية فهما يحرسان داخلهما أوراق البردى لأن هناك عدم استواء واضح في صدور التمثالين طلى بالذهب لإغلاق التجويف الذى يحتمل أنه يخفى أوراق البردى .

ومعنى ذلك أنه لابد من فض التجويفين لمعرفة ما اذا كانا يخفيان أوراق البردى أم لا ؟
ومرة ثانية سيحتشد العالم في مقبرة توت عنخ آمون في وادى

الملوك ليعرف ماذا يخفى فى مقبرته من أسرار ، وما الذى سيكشف عنه هذه المرة فى أوراق البردى ، ان وجدت ، من حقائق تاريخ صاحب الجلالة ومصر الفرعونية ، فإن هذا الملك يتجدد كل يوم ولا يريد أن يخفى اسمه خبراً من الصحف بين الحين والحين ، منذ اكتشف قبل ٦٨ سنة .

انه يفرض اسمه علينا فى رحلاته أو من داخل قبره ونتبعه فى دهشة وفى ذهول ونحن نتساءل أى سحر فيه وهلبقى سرفيه ١٩ .



إذا لم تكن هذه كلها أدلة حاسمة على سرقة ملك مصر توت عنخ آمون ، فهناك ، أخيراً ، الاعتراف وهو سيد الأدلة كما يقول رجال القانون .

أوصى كارتر أن يقوم بتنفيذ وصيته ، بعد وفاته ، هارى بيرتون المصور الذى التقط كل صور المقبرة ، أما وريثته الوحيدة فهى الأنسة ووكر ابنة شقيقته .

مات كارتر فى ٢ من مارس عام ١٩٣٩ ، ويسافر انجلترا أمين المتحف المصرى الى لندن لقضاء اجازته فيكتب إليه بيرتون بأنه وجد ضمن مقتنيات كارتر الشخصية ، فى بيته بلندن ، بعض آثار توت عنخ آمون ، وأنه مقتنع بأن المكتشف سرقها وهربها بطريقة غير قانونية إلى انجلترا .

وانجلترا كان مفتشاً عاماً لآثار الوجه القبلى عند اكتشاف المقبرة ،

ولم يبلغه كارتر ليلة الاكتشاف . وشك انجلباك في أن كارتر سرق في تلك الليلة وغيرها آثاراً من المقبرة .

ولم يقدم انجلباك شكوى الى السلطات المصرية المشتولة بل اكتفى بإخطار ريجن السكرتير بدار المندوب السامى البريطانى الذى أبرق بذلك إلى وزارة الخارجية البريطانية في ٧ من فبراير عام ١٩٢٣ . ويعود انجلباك إلى القاهرة فيتبعه بيرتون مصرأ على اعادة الآثار إلى المتحف المصرى .

ومرة ثانية يفضل انجلباك إبلاغ السفارة البريطانية بالسرقة بدلاً من المسئولين المصريين .

كتب في ٢٠ نوفمبر ١٩٣٩ الى السير مايلز لامبسون - الذى أصبح فيما بعد اللورد كيلرن - السفير البريطانى فى القاهرة الرسالة التالية : « أجزؤ وأطلب مشورتكم ، وإن أمكن مساعدتكم ، فى أمر غير سار بالمرّة أبلغنى به ، عندما كنت فى إجازة ، مستر هارى بيرتون الذى قام بتصوير مقبرة توت عنخ آمون لهوارد كارتر وهو منفذ وصيته ويوجد الآن بالقاهرة .

وهذا الموضوع لا يتعلق بى أو بمصلحة الآثار مباشرة . لكن ، إذا أصبح معروفاً للمصريين ، الذين قاموا أخيراً بكل ما فى وسعهم دون جدوى لاثبات أن أحد الأوربيين ، بل انجليزى ، غير أمين أو على الأقل مهمل فى مسألة الآثار - فسوف يثير ذلك فضيحة مروعة وسيكون له أسوأ الأثر على المسئولين الانجليز والفرنسيين فى مصلحة الآثار وفى مختلف أعمال التنقيب عنها .

ولاشك أنك تعرف أنه طبقاً لعقد هوارد كارتر مع الحكومة المصرية فإن كل ما يوجد في مقبرة توت عنخ آمون يصبح ملكاً للحكومة المصرية .

وقد ظلت طوال السنوات الخمس الأخيرة أشك في أن هوارد كارتر لم يسلم كل ما عثر عليه من آثار في المقبرة للمتحف المصرى غير أن شكوكى كانت لا تقوم إلا على أقاويل .

ورغم أنى أخبرت لكو- مدير مصلحة الآثار- بما سمعت فقد اتفق معى فى أنه لا يمكن عمل أى شىء أو تقديم تقرير رسمى فقد تقام على المصلحة دعوى تشهير وقذف .

وفى انجلترا هذا الصيف كتب لى بيرتون يقول أنه وجد بين مخلفات كارتر قطعتين تحملان اسم توت عنخ آمون . وسألنى المشورة بشأن اعادتها إلى المتحف .

أجبتة قائلاً بأنى لن أمس هذه القطع فما بالك بإعادتها كما أنى لن أكون مخلص قط فى فضح سرقات رجل انجليزى وأفضل شىء هو إلقاء هذه الآثار فى نهر التيمس !

ولكنى سأقوم بالتشاور مع الدكتور دريوتون مدير مصلحة الآثار ومستر برنتون نائب أمين المتحف المصرى قبل اتخاذ قرار نهائى . ومنذ عدة أيام دخل بيرتون المتحف المصرى دون أن تكون معه هذه الآثار وأبلغنى ، وأبلغ برنتون ، أنه بالاضافة إلى التمثالين هناك عدد كبير من التماثيل الصغيرة .

ولكن الأكثر أهمية أن كارتر نقل سرّاً الى انجلترا مسند رأس كبير

من الزجاج التركواز - الأزرق يحمل ختم توت عنخ آمون ، ويساوى آلاف الجنيهات .

ومن المؤكد أن إدخال مثل هذه الآثار من الجمارك المصرية مخاطرة لا يقدم عليها انسان عاقل ، ولا يقدم عليها بيرتون تحت أى ظرف .

واقترح بيرتون ضرورة أن تقوم مس ووكر ابنة أخت كارتر ووريثته الوحيدة بإهداء أو بيع القطع إلى متحف المتروبوليتان للفنون بنيويورك ، الذى استخدم بيرتون ، مدعية أن الحكومة المصرية مدينة لهما بمبالغ كبيرة من المال مقابل الخدمات التى قدمت لها .

وليس لدى علم بذلك لكفى لا أوافق على تقديم القطع ، فهى مسروقة ، ولا يمكن اعتبارها جزءاً من ممتلكات كارتر . وقد نصحنا بيرتون بأن يدع مس ووكر تعرف رأينا فوراً بأنه ليس لها أى حق فى هذه الأشياء .

وقد أكدت أنى لن أحاول إدخال القطع فى سجل المتحف المصرى دون إبلاغ زملائنا المشرفين المصريين حتى ولو كان ذلك ممكناً . واتفقنا أنا والدكتور دريوتون وبرتون على أنه إذا تم تسليم القطع باسم مستعار للمصلحة فيمكننا إدخالها فى سجل المتحف باعتبار أنها « يحتمل أن تكون مسروقة من حفریات مقبرة توت عنخ آمون » . وبعد أن تصبح بين يدى بيرتون فى مصر يمكننا تفسير الأمور دون فضيحة .

وحتى إذا وصلت للصحف فلن تكون سوى مثال آخر على عدم

اكتر اكارث كارتر أو نقول أن بيرتون عثر عليها في منزل كارتر الذي جاء هو- أي بيرتون- إلى مصر لفحص محتوياته .

ويمكنني أن أضيف أنه تم العثور على قطع أخرى أقل أهمية في مناسبات أخرى سابقة وأمكننا إدخالها في سجل المتحف بهذه الطريقة .

ويمكنني القول بأنه لا يمر شهر دون تلقى قطع أثرية بأساء مستعارة من أشخاص يعتقدون أنها تحمل لعنة ويتم إدخالها تحت اسم «هبات من مجهول» .

وقد بحثت أنا وبرتون كل وسائل إدخال القطع إلى مصر ويبدو أن الطريقة المأمونة الوحيدة هي الحقبة الدبلوماسية للسفارة فإذا وافقتم على ذلك سنبلغ من يهمل الأمر» .

ويسلم انجليباك للسفارة البريطانية قائمة بـ ١٨ قطعة أثرية من مقبرة توت عنخ آمون وجدت في بيت كارتر وهي :

۱ مسند رأس زجاجی ازرق مخضر .

۱ « شوابی » Shawabbi كبير من الخنزف الأخضر .

۱ زوج « لازوردی اللون »

١ إناء. صغير للشرب من الخزف الأزرق .

١ قلع صغير لمراسم الدفن من الخزف الأزرق

١. تيممة للقدم من الخذف الأزرق .

٨ أظافر لها رؤوس من الذهب

٣ زينات من الذهب من عدة الحرب .

١ لسان معدني

* * *

كتب السير مايلز لامبسون في ٢٩ نوفمبر ١٩٣٩ إلى وزارة الخارجية البريطانية يقول :

« أنقل إليكم هنا نسخة من خطاب مستر انجليك أمين المتحف المصري بالقاهرة بخصوص بعض القطع من مقبرة توت عنخ آمون التي وجدت بين ممتلكات مستر هوارد الراحل في انجلترا . وأضمن الرسالة أيضاً نسخة من خطاب مستر بيرتون أحد منفذي ورثة مستر هوارد كارتر يحتوى على قائمة بالقطع موضوع الحديث .

٢ - هذه القطع التي لا بد أنها أخذت من المقبرة ونقلت إلى الخارج سراً ينبغي أن تعاد إلى الحكومة المصرية .

ويبين مستر انجليك أن الاعتراف علناً بحياسة مستر هوارد كارتر غير المشروعة لهذه القطع سيثير فضيحة خطيرة ويؤثر تأثيراً عداًئياً على أعمال علماء الآثار الأجانب في مصر . والمصريون بالفعل غارقون في حملات معادية لعلماء الآثار الأجانب .

٣ - هناك أيضاً مسألة الحيابة غير القانونية لعدد من الأشخاص والمتاحف في أوروبا وأمريكا لآثار مصرية .

ومن الممكن أن يدفع الكشف ، عن حيابة هوارد كارتر لقطع أثرية ، المصريين إلى التمسك باستعادة الآثار ، والتي هربت سراً من مصر ، إلى مؤسسات أجنبية أو في حيابة أجنب .

ومن الممكن أيضاً اتهام اللورد كارنارفون الراحل بتهريب آثار توت عنخ آمون إلى الخارج .

٤ - واقترح مستر انجليك هو أن تعاد القطع الأثرية إلى مصلحة الآثار تحت اسم مستعار وأن تدخل إلى مصر في الحقيبة الدبلوماسية لوزارة الخارجية البريطانية لتفادى فحص الجمارك وتعرفها عليها .
ويميل مستر بيرتون إلى التفكير في أن من الأفضل له أن يعيد القطع إلى مصلحة الآثار باعتبار أنه تم العثور عليها في منزل مستر هوارد كارتر بالأقصر الذى يقوم بتصفيته ، وبذلك يصبح الاعلان عن وجودها فيه أمراً لا غبار عليه ، ولكنه يتفق مع اقتراح مستر انجليك في طريقة إعادتها إلى مصر .

٥ - أبلغت مستر بيرتون حين زارنى يوم ٢٢ نوفمبر أنى أميل إلى أن أشرح بصراحة لرئيس الوزراء على ماهر أن قطع الآثار محل الجدل وجدت بين حاجيات مستر هوارد كارتر وأنها لا بد وصلت هناك بطريق الخطأ وأنا نقترح إعادتها إلى مصلحة الآثار ، غير أننى أحيل الأمر إليكم فى انتظار التعليقات .

٦ - إذا نحنونا هذا النحو مع على ماهر باشا فمن الممكن جداً أن يصل الأمر إلى علم الجميع .

٧ - والمسألة إذن هى هل نكون صرحاء نخاطر بفضيحة وبما قد يكون لها من آثار على الأعمال الأثرية فى مصر أم علينا أن نلجأ إلى الحيلة كما اقترح مستر انجليك ومستر بيرتون .

وخطورة الاتجاه الثانى أن عدداً من الأشخاص يعلمون بوجود

القطع المسروقة ضمن ممتلكات مستر هوارد كارتر في انجلترا .
ومن الممكن أن تتسرب الحقيقة رغم السرية البالغة المفروضة على
إعادة هذه القطع الأثرية إلى مصلحة الآثار . كما أننى - وقد أشركت
في الموضوع - أشعر أن سيادتكم ستكونون أكثر شعوراً بالارتياح منى
لعدم التورط في عملية تدليس .

٨ - وربما يكون الأفضل رفض أن نكون على علم بالموضوع وترك
منفذى الوصية يتصرفون بالشكل الذى يرونه الناس .

٩ - ويمكن أن تقررنا استشارة خبراء الآثار المصرية فى لندن سراً
رغم شكى فى حكمة ذلك .

وفى الوقت الراهن قد تكون مشورة سير فريديريك كينيون مدير
المتحف البريطانى مفيدة رغم أنه اعتزل ادارة المتحف البريطانى الآن
نظراً لأن له خبرة طويلة فى النزاعات الماضية بشأن تهريب الآثار
المصرية القديمة .

١٠ - ومهما كان القرار فمن المرغوب فيه أن يوجه تحذير فى حينه
للمنفذين وللدكتور دريوتون » .



كانت الحرب العالمية الثانية قد اشتعلت بين ألمانيا من ناحية
وبريطانيا وفرنسا وغيرهما من دول أوروبا من ناحية أخرى فى ٣ سبتمبر
عام ١٩٣٩ ، ومع ذلك فإن وزارة الخارجية البريطانية فرغت جانباً
من اهتمامها لقضية ١٨ قطعة من آثار توت عنخ آمون سرقها كارتر
من المقبرة وهربها إلى لندن ووجدت فى بيته ويريد منفذ الوصية هارى

يبرتون إعادتها إلى القاهرة في الحقيبة الدبلوماسية للسفارة البريطانية حتى لا يتهم كارتر أو اللورد كارنارفون بسرقة هذه القطع وغيرها . قال طومسون أول مسئول في القسم المصرى بالخارجية البريطانية عرضت عليه هذه الأوراق :

« لا أرى إعادة هذه القطع إلى مصر وأميل شخصياً إلى القائها في نهر التيمس أو إرسالها بشكل ما إلى متحف المتروبوليتان الأمريكى أو للمتحف البريطانى حيث تختفى من العالم بشكل فعال وإذا كان لابد من إعادتها فربما يمكن ذلك إذا قامت السفارة بتصرف ما لمنع فضيحة حتمية إذا ترك المديرون المنفذون يتصرفون بطريقتهم الخاصة . ولا أحيد فكرة إشراك الحكومة البريطانية في الموضوع بإرسال القطع في الحقيبة الدبلوماسية وعلى ذلك أميل إلى الموافقة على اقتراح سير مايلز لامبسون بضرورة أن يقوم بشرح الموضوع بصراحة لرئيس الوزراء » .

وأيد المسئول الثانى رأى طومسون . ورفض المسئول الثالث - استشارة السير فردريك كينيون المدير السابق للمتحف البريطانى في لندن . أما السير دافيد كيللى الذى عمل في القاهرة وأصبح وكيلاً مساعداً للخارجية البريطانية فقال :

« لست واثقاً ما إذا كان من العدل وصف مستر هوارد كارتر بأنه لص .

كانت له شكاوى مالية جادة تجاه الحكومة المصرية (التى لم يكن

لها في الواقع نصيب في الاكتشافات التي لفتت إلى حد كبير نظر السياح فان المجموعات الأقدم من الآثار في القاهرة مختلطة ببعضها ولا تلقى الاهتمام الكافي) وربما يكون قد أقنع نفسه بأنه إنما يحصل فقط على جزء من مستحقاته خاصة وأنه لم يحاول أبداً أن يبيع القطع الأثرية محل النزاع .

ولا أرى سبباً لاقحام الحكومة البريطانية نفسها في هذا الموضوع . والطريقة الوحيدة لمعالجته هي في نظري أن يقوم سير مايلز لامبسون بإبلاغ مستر بيرتون بأن القطع المسروقة ينبغي إعادتها . وليس هناك محل لتسترنا على الجريمة بإساءة استخدام الحقيبة الرسمية الدبلوماسية بأي شكل كما أنني غير مستعد لأن أشير بأي شكل آخر من التصرف السري حتى يختفى إلى الأبد أن هذه القطع القيمة تم تهريبها بشكل غير قانوني من مصر .

ويخصوص رئيس الوزراء المصري أقر بضرورة أن يخول السفير بأن يبلغ على ماهر في الوقت الذي يراه ضرورياً بأن هذه القصة غير السارة قد وصلت إلى علمه وأنه أصر فوراً على إعادة الكنوز إلى مصر .

ومع تقديري التام لقلقكم بشأن امكانية انتقادات معادية وغيرها من ردود الفعل السيئة إذا ، أو ، عندما تعرف الحقائق في مصر فإنى لا أرى محلاً لأن تقوم الحكومة البريطانية بتسهيل إعادة القطع سراً والتي أخذها مستر كارتر الراحل بشكل غير مشروع والتي تم العثور عليها بين حاجياته .

وفي هذه الظروف أرى أن هناك طريقاً واحداً يمكن اتباعه وهو ابلاغ المديرين المنفذين لوصية المستر كارتر الراحل بأن القطع الأثرية محل الاشكال ينبغي إعادتها في أقرب وقت ممكن إلى أصحابها الشرعيين .

ويوافق وكيل الوزارة الدائم على ذلك .

* * *

وتكتب وزارة الخارجية في ١٧ ديسمبر ١٩٣٩ إلى السير مايلز لامبسون :

« بخصوص رئيس الوزراء المصرى فإنك مخول بإبلاغ على ماهر باشا ، في الوقت الذى تراه ضرورياً أو مرغوباً بأن هذه القصة غير السارة وصلت إلى علمك وأنتك نصحت المديرين المنفذين للوصية بترتيب إعادة القطع المسروقة » .

وهكذا تتخلى وزارة الخارجية البريطانية عن مسئوليتها في إعادة الآثار إلى مصر .

وخوفاً من أن تعرف الحكومة المصرية عن طريق دريوتون مدير مصلحة الآثار أو غيره بقصة العثور على هذه الآثار فإن الخارجية البريطانية تكتفى بلفت نظر هارى بيرتون إلى ضرورة إعادة الآثار إلى مصر بالطريقة التى يراها .

ولا يوجد فى الوثائق الرسمية ما يدل على أن السير مايلز لامبسون قد أبلغ على ماهر باشا نبأ الـ ١٨ قطعة أثرية فإن الأزمات السياسية بين رئيس وزراء مصر والسفير البريطانى تصاعدت بشدة فالسفير

يريد أن تعلن مصر الحرب على ألمانيا بينما اكتفى على ماهر بقطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين !

ويتهى الخلاف بتوجيه إنذار بريطاني للملك فاروق لعزل على ماهر فيرغمه صاحب الجلالة على الاستقالة بعد أزمات متعددة مع السفير البريطاني ، في ٢٣ يونية عام ١٩٤٠ .

ويموت هاري بيرتون في العام نفسه .

ويتبعه انجليك بعد ست سنوات .

ولم تعد الـ ١٨ قطعة أثرية إلى مصر .

ولم يعرف أبداً ما إذا كانت هذه القطع قد بيعت إلى متحف المتروبوليتان أو غيره من المتاحف .

ولكن لأن ثمن احداها يصل إلى آلاف الجنيهات فالأرجح أن الأنسة ووكر ابنة شقيقة كارتر لم تلق هذه القطعة وغيرها في نهر التيمس في انجلترا ، بل اقتدت بخاها واللورد كارنارفون في الحصول على الثمن المرتفع .

وتبقى هذه الوثائق كلها دليلاً حاسماً واعترافاً بسرقة ملك مصر !

رقم الايداع بدار الكتب

١٩٨٥ / ٧١٢٥

مطابع الاهرام التجارية القاهرة - مصر

فى هذه الطبعة الثانية من كتاب « سرقة ملك مصر » ، يروى الكاتب الصحفى محسن محمد آخر الأسرار عن سرقة آثار توت عنخ آمون وغيرها من الآثار ، التى امتلأت بها - فضلا عن متاحف العالم - خزائن سرية فى قصور من اكتشفوا هذه الكنوز ونهبوها لحسابهم الشخصى ، وماتوا حتى دون أن يرشدوا ورثتهم عنها ، حتى ظهرت بالصدفة .

وهذه معلومات جديدة لم تتضمنها الطبعة الأولى من الكتاب ، التى جمع فيها بين تاريخ مصر الفرعونية وتاريخ مصر الحديثة ، من واقع الوثائق المصرية والبريطانية والأمريكية ، وشرح بالمستندات عملية سرقة نفانس توت عنخ آمون وكيف تمت ومن هم اللصوص ، وعملية تهريب تمثال نفرتيتى ، ومحاولة نهب المتحف المصرى .

كما يروى الكتاب قصص رؤساء وزراء مصر الذين حافظوا على آثارها ، والذين سهلوا للأجانب سرقة هذه النخائر .

الناشر

مركز الأهرام للترجمة والنشر
مؤسسة الأهرام

التوزيع فى الداخل والخارج : وكالة الأهرام للتوزيع
ش الجلاء - القاهرة

